

رواية

إلى حَدِ الألَـم

فاطمة الشيـشيني

تشكيل للنشر والتوزيع

إلى
حد الألم

رواية

فاطمة الشيشيني



Email publish@tashkeel- publishing.com
Website www.tashkeel-publishing.com
Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

I.S.B.N : 978-977-6555-000-00

رقـم الإيــــداع: 00000/ 2019

تصميم الغـلاف : أحمد فرج

المراجعة اللغوية: أميرة أسامة

الإخراج الفنــــي : ضياء فريد

المـديــــر العــام : سيد شعبان



الأدب

ما هو إلا إغداقٌ

لكابوسية الحياة علينا.




أنتِ عظيمة
لولا نفاق الآخرين في مشاعرهم.



إهداء

إلى الذين صدقوا مشاعرهم فعلقت
قلوبهم بمن لا يستحقون، جاهدوا
حتى تخرجوا منهم سالمين.



"غيابهم لا يعني رحيلهم، إنهم باقون في قلوبنا جدًا".

كان صيفًا كئيبًا جدًا حينما فقدت الأم ولداها وحفيدها في يوم واحد، لم تكن تتخيل أليفة يومًا أن نضال أسرتها سينتهي بفقدٍ موجعٍ كهذا الذي تعرضت له.

فذات صباح مؤلم سمعوا صراخَ النساء وبكاء الأطفال وعجز الرجال بالخارج ومَا أدراكم ما حال رجلٍ يعجز عن الدفاع عن حرماته.

شجاعتها هي وولداها عبد الرحمن وعابد أجبرتهم على الخروج لمعرفة ما الذي يحدث تحديدًا والتدخل في الأمر قدر استطاعتهم.

خرجوا جميعًا ليروا ما لا يتحمله نظر ولا يصلح أن يفعله من يمتلك ذرة إنسانية.

خمسة أطفال لجيرانهم المسلمين معصوبين الأعين ومقيدين اليدين يقودهم مجموعة من الجنود إلى مقابرهم راغبين في دفنهم أحياء.

جريمة تهتز الإنسانية كلها لها، لكن من يثور؟، من يواجههم بجرم فعلتهم؟، ومن لديه شجاعة الوقوف في وجه شياطينهم؟

وقف الجميع باكين لا يمتلكون من أمرهم شيئًا أمام كم الأسلحة وعدد من يقومون بتلك الجريمة.

رَفَض عبد الرحمن كما الجميع بقلبِهِ ما يحدث لكنه بالأخير لم يستطع صبرًا فانهال ضربًا بيده وبقدمه في وجه هؤلاء الذين لا خشية لهم من أحد، هؤلاء الذين دفنت الجهات المسئولة عنهم إنسانيتهم وعلموهم كل ذلك العداء والكره للأقليات المسلمة الموجودة في بلادهم، ونسوا أن الوطن يملكه الجميع لا الأغلبية المعتقدة بإيمانٍ واحد؛ وهو أن تلك الأقليات لا حق لهم في الحياة، هؤلاء الذين يسلبون الأمهات فلذات أكبادهم، فالموت لقلوب الجميع أو الهجرة عن البلاد التي لا يعرفون غيرها أو الانخراط في معتقدات الأغلبية وإيماناتهم.

قد تذهل وأنت تقرأ أن هناك إلى الآن من يقتل لمجرد أن الآخر مختلف معه في المعتقد والإيمان، ولعلك لا تُدهش حين أقول لك أن هناك بقعًا على وجه هذا العالم تتعرض لأبشع وسائل القمع ورغم

ذلك تصمت كل المنظمات الحقوقية عن ذلك وكأنهم مغشي عليهم لا يرون ولا يسمعون.

طرحوا عبد الرحمن أرضًا ومن بعده أخاه عابد الذي حاول إنقاذه، ثم سقط تحت أقدام الأغلبية القوية آباء الأطفال الخمسة وأبرحوهم ضربًا، وكاد جندي من هؤلاء أن يطلق الرصاص في صدورهم، لكن جنراله صاح فيه كي يتوقف عن فعل ذلك؛ لا لرحمةٍ أو لشفقةٍ منه بل لما هو أسوأ مما يعتقده أحد؛ فلقد أوقفه عن ضربِ الرصاص كي يعذب هؤلاء لا بفقد أولادهم بالموت كما كان المقرر بل بأخذهم عنوة أمام أعينهم لتعتصر قلوبهم وتنشق نصفين لعدم معرفتهم مصائر ذويهم.

صوب الجنود أسلحتهم في وجه الجميع ودخل البعض الآخر بيت أليفه وأخرجوا منه حمزة عنوة من بين أحضان والدته "**آسيا**".

كاد عابد والد الطفل وآسيا يخرج الدم من أدمغتهما لعجزهما عن إيقاف هؤلاء عن جرمهم، ولعجزهم التام عن إيقاف الظلم.

سُحب الستة أطفال كالأنعام وسط عجز الجميع عن تخليصهم من المصير المجهول، صمت الرجال وحبسوا دمعهم وصرخت الأمهات حد عنان السماء لعل الله يسمعهم.

انحنت آسيا إلى الأرض والتقطت حجرًا كان قد سكن تحت قدمها ورمت به الجنرال من ظهره؛ فحبس الجميع أنفاسهم لأنهم يعون جيدًا ما الذي من المتوقع أن يحدث لآسيا.

الموت بالنسبةِ لها كان أرحم لها من أن تعيش وهي تشعر بالخزي لعدم دفاعها عن حقها في التمسك بفلذة كبدها حمزة، فالموت عظيم في مقابل الشعور بالذنب والإحساس بالعجز، الموت أفضل من العيش

بنفسية محطمة ودواخل هشة وكلمات محبوسة لا أحد يشعر بها، والآخر لن يشعر لا لغلظة قلبه بل لأنه لم يمر بالتجربة نفسها بكل تفاصيلها ووجعها وقسوتها.

أمسك عابد بذراع آسيا وأخفاها خلف ظهره ليحميها من بطش هؤلاء.

نظر الجنرال إليهما والشرر يتطاير من عينيه وأمر معاونيه بإحضار آسيا وبنظرةٍ منه فهموا ما يرمي إليهم به؛ إنه يرغب أن يأخذ شرفها مقابل شجاعتها في الدفاع عن ابنها بقذفه بحجر، في أي عرفٍ يسمى هذا عدلًا؟، عامةً العدل في أغلب المناطق ليس ما يقرره العقل أو الإيمان أو الضمير؛ إنما يقرره ذوي سلطة القوة والمال وهذا ما لا يجب أن يكون وقد أصبحت الحضارة في أوج مراحلها، لكن من يسمع ذلك ومن يؤمن إيمانًا قويًا بالعدل؟

وفي أي عقيدةٍ يتحمل أن يرى الرجل امرأته في وضعٍ كهذا؟ وأي إيمانٍ يسمح لأحد انتهاك الآخر بكل تلك البشاعة؟

غلى الدم في عروق عابد لعرضه وانتفض عبد الرحمن لعرض أخيه وزوجته وما إن هموا لمحاولة فك قيود آسيا حتى طرحوا أرضًا إثر انهيال الرصاص في أدمغتهم.

وما إن فرغ أعوان الجنرال من آسيا حتى كان مصيرها الموت كما زوجها وأخوه، لم تمت آسيا إثر رصاصهم؛ بل عقب إصابتها بأزمةٍ في قلبها وجعًا لكرامتها وفقدًا لأسباب الحياةِ بالنسبة لها فيكفيها ابنها ذا المصير المجهول ورجلها المفقود الذي لن تجد في أمانته عليها رجلًا آخر وأخو زوجها الذي ثار لشرفها.

بتلك الحادثة فقدت أليفة ولديها وزوجة الأكبر وحفيدها المخطوف حمزة.

أدخل الجيران أليفة إلى منزلها بأعجوبة إلا أنها رغم دخولها ظلت تبكي وتصرخ باسم زوجة ابنها الأصغر وحفيدتها مؤمنة، فهاتان لم تظهرا بالخارج ولم ترهما أعين أثناء الحادثة.

ظل الجيران يبحثون عن مؤمنة ابنة عبد الرحمن المغفور له وزوجته خديجة وبقوا على ذلك الحال لأكثر من نصف ساعة إلى أن وجدهم أحد الجيران مغشيًا عليهما فوق سطح المنزل بوسط غرفةٍ كانوا قد صنعوها لوضع أغراضهم المهملة فيها.

صاح الجار بالجميع فلحقوا بالصوت واستعانوا بعدها بطبيبٍ جعله الله سببًا في إفاقة خديجة وابنتها التي أخبرتهم أنها ما اختبأت خوفًا على نفسها؛ بل خشيةً على صغيرتها مؤمنة خاصة بعدما رأت بأم عينها ما حدث لحمزة من خطف، ولم تكن أبدًا تتوقع أن حمزة سيكون مصيره إلى المجهول، وما إن شعرت أن حمزة يُفقد حتى فقدت وعيها هي وصغيرتها التي لم تتجاوز الأربع سنوات.

يا الله من سيخبر خديجة إذًا أنها فقدت عبد الرحمن زوجها إضافة إلى عابد وآسيا؟، من يمتلك شجاعة إجابتها على سؤالها أين رجلي؟، من يوقفها عن البحث عن آسيا التي تعتقد أنها ما زالت على قيد الحياة، ومن يجرؤ على البوح بما حدث لمن كانت تعتبرها أختها التي لم تلدها أمها؟، من يتفوه لها بأن هذا البيت لم يبقَ فيه سوى أليفة الجدة وهي وابنتها مؤمنة؟

تشجعت أليفة المكسور قلبها على أقرب الناس إليها والتي أسكن الله فجيعتها بانقاذه لخديجة ومؤمنة ومن قبلهما طه ابن ابنها الأوسط

عزيز الذي توفاه الله قبل سنوات رحمة منه لتدهور صحته، ودانة أخت حمزة والتي قد اصطحبتهما زوجة عزيز للجلوس معها في بيت والدها والدراسة هناك؛ لأن منزل والدها يقع في بلدٍ آخر بعيد عن كل ذلك العبث الذي يحدث في بلد أليفة، وأخبرت أليفة خديجة بشجاعة عبد الرحمن وعابد في الدفاع عن الحق وأنهم لم يكونا أبدًا صاغرين للشيطان وأن آسيا ماتت شريفة رغم كل ما حدث لها، وأفهمتها أن الله غالب وأن الجميع باقون في قلوبهم وأن رحيلهم عن الحياة لا يعني غيابهم عن القلوب، هذا ما يجب على الجميع فهمه.

كل كلمات المواساة لم تشفع لأن يكون قلب خديجة سليمًا ونفسها متماسكة، ولم يثلج قلبها إلا كتاب الله الذي اقترحته إحدى الجارات عليها؛ لتواسي قلبها بكلمات السماء، وما إن فعلت حتى غابت عن الحياةِ بالنوم.

أما أليفة لم يسكن قلبها إلا حينما جال بخاطرها شيء ما بخصوص مؤمنة ابنة غاليها.

فراقها سيكون محببًا بالنسبةِ لأليفة؛ فرحيل مؤمنة إلى فرنسا للإقامة مع خالتها لم يكن أمرًا سهلًا على أليفة، لكن ذلك أحب إليها من الفقد على يد من لا يعرفون الرحمة، ولم تستطع أليفة أن تقترح أن تذهب مؤمنة إلى بلد زوجة عزيز فيكفيها تحمل دانة مع طه.

ذلك هو الأمر الذي فكرت فيه أليفة واقترحته على خديجة التي لم تتردد لحظة في الموافقة على إرسال ابنتها إلى أختها التي هاجرت منذ سنواتٍ إلى فرنسا تاركة كل شيءٍ خلفها بعد زواجها من مصري يقيم في فرنسا.

لكن خديجة لم تكتفِ بالموافقة واقترحت على أليفة أن يرحلن هن الأخريات مع مؤمنة، حين ذلك اكفهر وجه الجدة فهي لا تريد أن ترحل عن بلدها لتأخذ ثأرها، وحتى مؤمنة لا تريدها إلا أن تتعلم لترجع عظيمة وذات شأنٍ لبلدها ولديها اعتقاد قوي أن الله غالب وأن الحق يومًا سيضرب الظلم في عنقه ويجلس على العرش لينظر المظلمون فرحين بما أتاهم الله من فضله.

استنكرت أليفة رأي خديجة، ثم فاضت عيناها من الدمع؛ لا لكلمات خديجة فحسب بل لشعورها بالعجز عن إبقاء مؤمنة إلى جوارها، بكت لوجعها على الحق الضائع والحرية المكممة فيها، ألمها جاء لرغبتها في إرجاع حق أسرتها اليوم قبل الغد، لكن كما تعلمون غالبًا الأماني تؤجل إلى موعدٍ يجهله البشر.

بنفاذِ صبرٍ أعلنت أليفة أنها لن تهجر بلدها إلَّا إلى الله، وأنها ستظل تدافع عن حقها في الثأر للأقليةِ المهدور إنسانيتها في وطنها إلى الموت، وأن إبعاد مؤمنة عن كل ذلك جاء قبيل عدم تحملها فقدًا آخر.

بين رأي خديجة التي لا تستطيع العيش دون ابنتها، ورغبة أليفة في البقاء على أرضها؛ صمتت مؤمنة التي لا رأي لها لصغر سنها، فالآن هما فقط من يقرران عنها مصيرها.

توقف النقاش بين الجدة وزوجة الإبن إثر سماع صوت الرصاص بالخارج، من سيُقتل تلك المرة؟، من ستُنتهك حياته لرغبة أحدهم بفرض سيطرته وفكره على الآخرين؟، ومتى يلتفت العالم لكل ذلك العبث الذي يحدث تحت سمع الجميع وبالأحرى متى سيعيش العالم في سلام؟

احتضنت خديجة ابنتها مؤمنة واحتضنت الجدة الاثنتين وهي تقول الله غالب والحق يومًا سيكون، ولنا رب عظيم سنخبره بكل ذلك الألم الذي تسبب فيه أُناس لا يلتفتون لقلوب الآخرين ولا يشعرون بالذنب تجاه من يمارسون عليهم ظلم أفكارهم وبشاعة وسائلهم.

تهديد بالخارج من أعوان الجنرال أنهم سيقتلون عشرة رجال من ذويهم إن لم ينفذوا الأوامر.

أية أوامر؟، الجميع يحبس أنفاسه ويسأل نفسه ما الذي يرغبه هؤلاء؟، ألم يكفِهم القتل والخطف وكل تلك الوحشية؟

في ظل خشية الجميع والصمت المميت، أخيرًا أفصح أحدهم أن الأوامر تجبر تلك البلد على إخراج خمسة فتيات ممن يتراوح سنهم ما بين العشر والخمس عشرة سنة ليعملوا بمنزل الجنرال.

ثم أوضح معاون آخر أن الخادمات سيتمتعن في منزل الجنرال بكل ما تشتهي الأنفس بدلًا من حالة الفقر التي يعشن فيها، وسيقمن بزيارة أهاليهن كل ثلاثين يومًا ثلاثة أيام.

بعدما صمت المعاون الأخير عن الحديث تحدث رئيسه، بصوتٍ أجش وجسدٍ عملاق هدد الجميع أن عليهم الاختيار بين إخراج الخمس فتياتٍ أو قتل بعضهم وخطف الأخريات للعمل بالإجبار بمنزل الجنرال وحينها لن يعرف الأهل عن بناتهن شيئًا.

صمت الجميع رافضين إخراج فتياتهم إلى أن تهجَّم المعاونين على حرمات المنازل؛ فأوقفتهم والدة يلدس إحدى الفتيات التي كادت أن تُقتل تحت رصاص المعاون وقالت له:

- أوافق على تركها لك للعمل في منزل الجنرال على أن تهبني زيارتها كما قُلت لي كل ثلاثين يومًا ثلاثة أيام.

كاد أن يجيب عليها المعاون لكن رئيسه أوقفه عن الحديث ليتحدث هو قائلًا:

- سأوافق على عدم قتل الفتاة وأخذها للعمل في منزل الجنرال لكن هذا لن يحدث إلّا إذا خرجت أربع فتيات أخريات للعمل معها.

صمت الجميع مرة أخرى لعجزهم عن الموافقةِ على طلبٍ مُرهقٍ كهذا، فمن يستجيب لتسليم ابنته إلى هؤلاء؟، من له قلب الاستجابة لفقد ابنته باختياره؟ عد رئيس المعاونين لرقم تسعة وقبل أن يُكمل العشرة أخرج أحدهم ابنته لكي تمنح الفتاة الأولى حق الحياةِ إلى أن اكتملن خمس فتيات من بينهن فتاة أخرجها والدها لفقرهِ وعجزهِ عن تلبية مأكلها؛ فأعطاها لهم رغم رفض الأم لذلك بقوة، ورغم قلبه المفطور عليها آملًا أن تجد لقمة العيش هناك، وركب الجميع السيارة ورحلوا متجهين نحو قصر جنرالهم وسط نحيب الأمهات وعجز الآباء وفزع الأخوة.

يلدس هي الفتاة التي وقع عليها الاختيار للعناية بغرفة الجنرال الخاصة بهِ بالإضافة إلى مكتبهِ، أما باقي الفتيات خُصصن للعنايةِ بباقي القصر وحُرِّم عليهن مكتب الجنرال وغرفة نومه.

الفقد مُحبط جدًا حينما لا يكون متوقعًا، وحينما يكون بتلك الطريقةِ البشعة، والأسوأ أن يعيش مجموعة من البشر في تلك الظروف البشعة، إذًا متى سيعيش الجميع في سلام؟، ومتى نقرر أن نكون إنسانيِّن أكثر منا أعداء؟، ومتى يحترم كل واحدٍ منا معتقد الآخر؟ وإن اختلفا فليكن الحوار نقطة اتفاق، لقد خص الله وطن أليفية للجميع فلماذا يحاول البعض تهجير وإقصاء الآخر لمجرد الاختلاف معه؟،

لم تكن أبدًا الفطرة الإنسانية تدعو لكل ذلك العنف؛ إنما هذا العنف ناتج وراثي يُلقنه الآباء للأبناء من جيلٍ إلى آخر، حمقى هم من يُلقنون العنف بدلاً من السلام والعداوة بدلاً من الحب.

في ظل تلك الأحداث اقتنعت خديجة بإرسال مؤمنة إلى خالتها، وأن تظل هي وأليفة في عقر دارهم لمواجهة كل ذلك الكره حتى تبلغ مؤمنة وتتعلم وتستطيع معهم مواجهة كل تلك الأحداث، وما وافقت خديجة على ذلك إلا لأنها استنتجت أنهم يستهدفون الأطفال، وكأنهم يقضون عليهم بتلك الوسيلة كي لا يبقى منهم أحدٌ فيما بعد فيضطر الكبار إلى الهجرةِ غير آسفين على شيء.

ودعت مؤمنة منشأها دون إدراكٍ منها وإلى عالمٍ تجهله رحلت.



"الأسوأ ألا يشعر بدواخلك المُحطمة أحدٌ"

ابنة أبي وأمي: أميرة.

"لا كتب الله عليكِ الفقد، لم أكن أتخيل يومًا أنني سأفقد أسرتى بطريقةٍ مأسوية كتلك، زوجي أحتسبه عند الله، أما عن ابنتي مؤمنة فأوصيكِ بها خيرًا وسأرسل لكِ تكاليف مصروفاتها كل شهر، شكرًا لقبولكِ ابنتي كابنكِ آدم حفظه الله."

أختكِ خديجة

ذلك هو الخطاب الذي أوصت خديجة زوج أختها أمين أن يسلمه لها فور وصوله بمؤمنة باريس، وقد نفذ الوصية فور لقاءه بزوجته.

ازدادت أميرة عصبية فور قراءتها للخطاب، وحينما سألها أمين عن سبب ضيقها صاحت في وجههِ مخبرة إياه أن خديجة تقارن في الخطاب ابنها آدم بابنتها السوداء مؤمنة؛ فكيف يُقَارن الفرنسي ذو المال الذي يعيش بعلو شأنٍ في وطنه بفتاةٍ سوداء لفظها وطنها عنوة لتأتي مختبئةً من الدماء بباريس.

اندهش أمين من حديث زوجته أبعد أن أرهقته بالموافقةِ على مجيء مؤمنة للعيش معهم، وبعد أن أقنعها أن مؤمنة لن تكلفهما شيئًا من المال؛ فخديجة ستتكفل بها، وبعد أن أوضح لها أن لون الطفلة المعترضة عليه لن يسبب لهما أية إشكالية، وبعد أن سافر ليأتي بالطفلة بعد رفض أميرة للسفر للإتيان بها وهي التي تعلم جيدًا أن أختها لن تستطيع بأي حالٍ من الأحوال ترك أليفة وحدها فيكفيها فقدًا، الآن تأتي عقبة المقارنة وتعلية شأن أحدهما على الآخر، أمين مندهش من أميرة لنسيانها أننا نقف في الصلاةِ جنبًا إلى جنب تاركين بطاقاتنا الشخصية وحساباتنا البنكية وأصولنا جنبًا راغبين فقط بقبول الله لنا قبولًا حسنًا، وأن الله يخبرنا بذلك صراحة ألا فضل لبشرٍ على الآخر إلا بالعمل الصالح.الأسوأ من الفقد ألا يشعر بدواخلك المحطمة أحد حتى أقرب الناس إليك، ربما لأنهم لم يمروا بتجربتك فلن ينتبهوا للمأساة التي تمر بها، فلو شعرت أميرة يومًا بما تمر به أختها ما قابلت الخطاب بتلك الطريقة، ولرفقت بحال مؤمنة على الأقل لصغر سنها ولطفولتها التي بدأت بفقد أبيها ووطنها.

بعد عدة أيام من إقامة مؤمنة ببيت خالتها لم يكن الحال بخير على الإطلاق؛ فلقد زارت أميرة صديقتها المقربة أماليا وصدفة رأت مؤمنة تلهو مع آدم فسألت من تلك الطفلة السوداء؟ ستندهش حين تعرف أن إجابة أميرة كانت قاسية جدًا؛ فقد وصفت مؤمنة بأنها طفلة المربية، وأنها فقيرة جدًا فيعطفون عليها بكونها تستخدم ألعاب آدم، لم تكن أبدًا إجابة أميرة شافية لأماليا التي استنكرت بالأخير لعب طفلة سوداء مع ابنها، فكان من الأصوب أن ترسل أميرة لتلك الطفلة لعبة أو لعبتين مع والدتها، أما أن تجعلها تختلط بابنها فتلك كارثة على أخلاق

الطفل من وجهة نظرها، وما كان من أميرة بعد ذلك الاستنكار إلا أن قامت من مجلسها، ونهرت الطفلة وأبعدتها عن ابنها، وأمرت المربية أن تأخذها للغرفة الخارجية للمنزل.

البكاء أصبح حال مؤمنة بعد تلك الحادثة، وعلى الرغم من صغر سنها إلا أنها فهمت أنها منبوذة وأن ذلك المنزل الواسع يضيق بطفلةٍ سوداء مثلها، إنها لا تشعر بالأمان، حينما كانت بوطنها ورغم أن الموت كان يحاصرها إلا أن حضن والدتها وجدتها كانا يشعرانها ألا يستطيع أحد على الإطلاق مسها بسوء، الوطن رغم كل مساوئه في حالةِ مؤمنة أفضل من الإحساس بالدونية وكبرياء الآخرين عليها، الوطن برغم قسوته يبقى أحن من كل بقاع الأرض على مواطنيه، هذا ما يجب أن يكون.

بكاء الطفلة ذات الأربع سنوات زاد من ضجر أميرة التي لم يتسع صدرها لفتاةٍ قدرها الغربة، أميرة التي تصرخ بوجه الطفلة بسببٍ وبدون سبب مُنحِّية كل عواطفها جانبًا، بل إن الأمر تعدى الصراخ ووصفِها بالخادمةِ إلى الضرب باليد.

لم يستطع أمين صبرًا لرؤية نفسية مؤمنة تتدهور يومًا بعد يوم، إنه وبصمْتِه يخالف كل إيماناته الإنسانية ويخلف وعده لخديجة في أنه سيكون أمانًا للطفلةِ مهما كلفه ذلك، وأخيرًا قرر وضع حدٍ لكل ذلك العبث، وإلى جوار أميرة جلس أمين يُحدثها بهدوءٍ وبالصراحةِ التي يؤمن أنها أقرب وسيلة لإصلاح المواقف، بدأ كلامه مفهمًا زوجته أن أقرب حل لهدوءها النفسي أن تبتعد نهائيًا عن مؤمنة كأنها ليست موجودة على أن ترعاها مربية آدم مع إضافة بعض النقود إلى راتبها

الأصلي، لكن كبرياء أميرة رفض أن تكون مربية ابنها هي نفسها مُربية مؤمنة.

لم يدخل أمين بجدالٍ مع زوجته لأنه يدرك جيدًا عدم جدوى فعل ذلك معها؛ فهي لن تقتنع بشيءٍ ترفضه منذ البداية؛ فترك ذلك جانبًا واقترح عليها أن يأتوا للطفلةِ بمربيةٍ أخرى ترعاها بعيدًا عن مربية آدم؛ فوافقت على أن يُقمن بالغرفةِ الخارجية للمنزل؛ فوافق أمين غصبًا لإبعاد مؤمنة عن قسوة خالتها.

بعد ثلاثة أيام جاءت مربية إلى المنزل، وبعد أن رأت مؤمنة لاحظت الشبه الكبير بينها وبين طفلتها نازك التي توفيت قبل السنة الماضية إثر إصابتها بحمى شديدة، الفرق الوحيد بينهما يكاد يكون لون البشرة؛ فطفلة المربية كانت تنتمي لذوات البشرةِ البيضاء.

اغرورقت عينا المربية بالدموع، لكنها بالأخير ابتسمت للطفلةِ وقبل أن تتفوه بكلمةٍ نزلت أميرة من الطابق الأعلى تسألها عن المبلغ الذي ترغبه مقابل رعايتها لمؤمنة، وقبل أن تجيب المربية أجاب أمين الذي أوضح أنه اتفق مع المربية على كل شيءٍ وأنه لا داعي للحديث مجددًا في الأمور المادية.

اكفهر وجه أميرة عقب كلمات زوجها لكنها تماسكت وتحدثت بصلابةٍ وأخبرتهما أن المبلغ الذي سمعته وهما يتحاوران كثير وذلك لأن خديجة لا ترسل إلا زيادة على مأكل الطفلة وملبسها واحتياجاتها الشخصية خمسين دولارًا فقط.

- سأمنح أنا المربية الفرق "**قال أمين وهو يحاول عدم إفلات أعصابه ليحل الأمر**".
- امنح الفرق لابنك "**بفظاظةٍ ردت أميرة**".

كاد النقاش أن يشتد بين الزوج والزوجة لولا أن تدخلت المربية في الحديث قائلة:

ـ لقد أحببت مؤمنة، أوافق على العمل مقابل منحي الخمسين دولارًا شهريًا.

بكبرياء نظرت أميرة إلى المربية وتركتها وذهبت وقد تدارك الموقف أمين الذي شكر المربية، وبعد أن اطمأن أن أميرة قد غابت عنهما وعدها أن يمنحها النقود المتفق عليها قبل تدخل أميرة في الموقف على أن يظل ذلك سرًا وأن تعده أنها ستهتم بأمر الطفلة ولا تسيء التعامل معها.

خرجت مؤمنة مع مربيتها بعد أن وجههما أمين نحو الغرفة الخارجية للمنزل، دخلت مؤمنة مكانها الجديد والأمل يداعبها على أن تُمنح من السيدة الجديدة بعضًا من الود الذي افتقدته ببعدها عن خديجة، وبالفعل استطاعت المربية بحنانها وتلبية احتياجات الطفلة كسب ثقتها وحبها.

مر على مؤمنة بذلك ثلاثين يومًا مع المربيةِ التي أرسلها الله لتكون عونًا لها في تلك الحياةِ الشاقة، ومر على حمزة ابن عمها ستون يومًا ولا أحد يعرف عنه شيئًا، وتجاوزت يلدس الطفلة التي جعلوها خادمة للجنرال أربعين يومًا ولم تأخذ إجازة لزيارة أهلها كما الاتفاق المبرم، لكن علينا جميعًا أن نؤمن أن الوعود ليست كلها محل تنفيذ، وعلينا أن نتيقن أن من أسباب أوجاعنا هي أننا نثق بكل الكلمات التي تُقال دون أن نُدقق في الفعل، وأننا نرفع من سقف توقعاتنا فنصاب بالخيبة، علينا ألا نثق بوعود من يستبيح الدم ومن يستبيح القلب؛ ليحقق ما يرغب دون أدنى شعورٍ بالذنب.

ذات يوم وكمن يعيش عمره مهددًا بالخوف عاصرت يلدس أكثر الأشياء رعبًا لمن هم في مثل عمرها؛ فاقشعر بدنها رعبًا حينما رأت آلة حديدية مسنونة من إحدى أطرافها ونيران مشتعلة وشخص لا يعرف الرحمة يُمسك بذراع كل طفل يعمل بالقصر ليقوم الآخر برسم بعض الحروف بأعلى ذراعه بالآلة الحديدية بعد غمسها في النيران.

جاء دور يلدس وفُعل بها كما بقية أقرانها، لكنها لم تكتفِ بالبكاء مثلهم وقالت بشجاعة في وجه القاسية قلوبهم:

- "**أخبرونا قديمًا أننا سنلتقي بربنا يومًا وحينها سأخبره بكل ذلك الألم**".

لطمها الرجل الذي كان يرسم الرموز بعدما انتهى من رسمه بقسوة على وجهها؛ لتسقط أرضًا مغشيًا عليها دون أن يتحرك نحوها أحد، ومن سيتحرك في قصر القسوة لأجل طفلة؟، أفاقت وحدها بعد فترة قصيرة فوجدت أطفالًا يرتدون زيًا موحدًا يدخلون القصر ويُفعل بهم مثلما فُعل بيلدس وغيرها، وحينها لم تمتلك يلدس من أمرها شيئًا غير أن تجر قدميها وتخرج مغمومة من تلك الغرفة لاستئناف عملها وإلا سيكون العقاب مصيرها.

بعد ثلاثة أيام من تلك الواقعة أذن كبير الخدم ليلدس وبعض الفتيات بالذهاب إلى ذويهم على أن يحضرن قبل غروب اليوم الثالث.

لم يكن هناك شيء يسر قلب يلدس غير أن ترى أسرتها، لكنها خافت أن يعتصر قلب والدتها عليها إثر رؤيتها لأثر الجروح بذراعها، وماذا عن قلب أمها لو سردت لها الحقيقة؟، وماذا عن قلبها لو لم تذهب إليها؟، بالأخير رفضت يلدس فكرة عدم الذهاب؛ لأن هذا عذاب لا تستطيع هي عليه كما أمها، وظلت يلدس شاردة الفكر إلى

أن قررت إخفاء جروحها بقطعةٍ من القماش مقررة أنه في حال كشفت والدتها للجرح فستبرر لها ذلك بسقوطها من فوق درج السلم.

المهم أن الفتاة حبست دمعها ووجعها وذهبت إلى أسرتها وقبل أن تُكمل سلامها على جميع أفراد عائلتها دخلت أليفة وخديجة يسألنها عن حمزة متمنين أن تكون يلدس لمحته أو سمعت عنه شيئًا.

لكن الله قدر لأليفة وخديجة أن يظلا على قلقهما على حمزة حيث أن يلدس أخبرتهما بالحقيقة من حيث أنها لا تعرف أي شيءٍ عن حمزة ولم تسمع عنه خيرًا أو سوءً.

أوصت الجدة الفتاة أن تتدقق النظر بالقصر وإن علمت أي شيءٍ عن حمزة عليها أن تبلغها لهما في الزيارةِ القادمة.

الفقد الغير معروف مصيره؛ هو أصعب أنواع الفقد، فلو عُرف عن حمزة أنه لن يعود للقائه ربه أهون بكثير من المصير المجهول، أبعد الله عنكم فقدًا يؤلمكم كهذا.



"لا ترفع سقف توقعات بقاء أحدهم معك"

سترهق قلبك لو اعتقدت أن الفراق أمر بعيد عنك وستتألم أكثر إن رفعت سقف توقعاتك بالنسبةِ لبقاء أحدهم معك للنهاية، كن على يقينٍ أن الأمور تتبدل وتتغير في لحظةٍ من الزمنِ نجهلها.

وعليك أن تعلم أن الفراق على الأرجح يحدث بطريقتين إما فجأة وبطريقةٍ غير متوقعة وإما بمقدماتٍ ومؤشراتٍ لا نستوعبها إلا بعد الفراق، أو على الأدق لا نرغب في تصديق تلك المؤشرات مدَّعِين أنها محض تخوفاتٍ وخيالاتٍ من أنفسنا؛ فنصدم فيما بعد أنها واقعية وهذا ما يجعلنا نصف أنفسنا بالسذاجة والحمق، والأسوأ أننا بعد فترةٍ لا نثق بالكلمات ونبالغ في التخوفات ولا نقترب من أحدهم بسهولةٍ بل نكاد أن نغلق دائرة العلاقات الجديدة من الأساس.

لم تكن تتخيل مؤمنة أنها ستعود لوجعها الأول، وزادت من توقعاتها ببقاء مربيتها الفاضلة معها إلى حين رجوعها إلى خديجة، لكن الأمور غالبًا ما تسير عكس توقعاتنا؛ فبعد عامين من الهدوء النفسي الذي وهبته المربية لمؤمنة فيكفيها أنها أبعدت مؤمنة عن بعض أسباب حزنها؛ كقسوةِ أميرة التي لم تعد تراها إلا نادرًا خاصة بعد اقامتها بالغرفةِ الخارجية للمنزل، ويكفيها أنها كانت تتحدث يوميًا إلى

خديجة وأليفة من هاتف المربية دون عناء، ويكفيها أن المربية علمتها ألا تُزعج خديجة وأليفة بالبكاء حين تتحدث إليهما وأن تمنحهما السعادة بإشعارهما أنها بخير.

لكن الأمور تغيرت ففي إحدى الأيام الكئيبة رأت أميرة زوجها يقف مع المربية عند باب الغرفة، ورأته وهو يعطي المربية راتبها مع بعض النقود الأخرى لتشتري ثيابًا جديدة لمؤمنة لإسعادها، وكان ـأسعده اللهـ كثيرًا ما يفعل هذا دون علم زوجته، وعلى سرعة اقتربت أميرة بكبريائها منهم تسأل عن أمر النقود وقبل أن يجيبها أحد؛ أخذت النقود بالقوة من يد المربية لتعرف حينها أن النقود زائدة عن راتب المربية وعن ثمن الثياب؛ فاستدرجت المربية بعد أن اتهمتها بسرقة أمين الذي لا يعرف الثمن الحقيقي للثياب فزادت من ثمنها جشعًا، حينها كشفت المربية سرها بخصوص أن أمين يزيدها عن الخمسين دولارًا، ذلك الكشف ما كان إلا لوجعها على كرامتها وليس لخيانة من أكرمها.

استشاطت أميرة غيظًا وأقسمت على طرد المربية؛ فكان لها ما أرادت رغم بكاء مؤمنة وتعلقها الشديد بمن كانت لها الملاذ في تلك الغربة المكانية والنفسية.

أميرة قاسية فلا هي تركت المربية لمؤمنة ولا هي تركتها تلهو وتجلس معهم في المنزل خوفًا من دخول إحدى صديقاتها عليها، فبماذا تبرر وجود فتاة سوداء تجلس بأريحية بينهم، وقررت عقابها بحبسها في الغرفةِ وحدها، ربما الوحدة في حالة مؤمنة أفضل بكثير من البقاء مع العبوس والكراهية التي تنبعث مع كل كلمة ونظرة موجهة من أميرة إليها، لكن الأصعب أن تشعر أنك معاقب على لا شيء كما مؤمنة

التي لا تدرك تحديدًا ما الذي اقترفته ليحدث لها كل ذلك؟!مرت ساعتان كئيبتان على طفلةٍ لم تختر بحياتها أي شيء إلى الآن، ثم فُتح باب الغرفة الخارجية للمنزل فإذا هو أمين يجد الطفلة متكورة في ركن الغرفة ترتجف خوفًا؛ فسقاها وطيب خاطرها ودعاها للخروج معه ليجلب لها بعضًا من الحلوى، استطاع أمين أثناء ذلك رسم الابتسامة على فاه الفتاة، ثم دخل بها إلى المنزل، لكن قلب أميرة أبى أن يظل على الأقل صامتًا، وبضجرٍ تحدثت وهي تشير إلى مؤمنة:

ـ لماذا جئت بتلك إلى هنا؟

ربت أمين على كتف أميرة مخبرًا إياها أن مؤمنة لا ذنب لها في شيء، ومن غير المعقول أن تظل الطفلة وحدها بالخارج دون أن يرافقها أحدً وأن عليها الصبر لحين الإتيان بمربيةٍ أخرى.

ـ الإتيان بمربيةٍ أخرى!

رددت أميرة الكلمات باستنكارٍ وأوضحت أنه من المستحيل أن توافق مربية بالعمل مقابل مبلغ زهيدٍ من المال وإلا كانت قد فعلت سابقتها.

بنفاذ صبرٍ أخبر أمين أميرة أن المربية السابقة ما طلبت زيادة عن الاتفاق وأنه هو من رغب في كرمها لأخلاقها ورعايتها الحسنة لمؤمنة، لكن كل الكلمات لا تُجدي نفعًا مع أميرة التي قررت أن تهاتف خديجة لزيادة النقود لأجل ابنتها التي زادت متعلقاتها، ورغم تصميم أميرة على مهاتفة خديجة إلا أن أمين وقف بوجهها رافضًا ذلك الحل نهائيًا؛ فهو يدرك جيدًا حجم المأساة التي تعيش بها خديجة فكيف له أن يزيد من أعبائها؟، إنه حقيقة ليس من العدل أن نستغل مأساة أحدهم للضغط على نفسيته أكثر ليفضل الموت على الحياة.

- إذًا لنرجعها لبلدها أو لتعمل خادمة لدينا، أنا لا أستطيع تقبل فكرة أن أعلن للناس صراحة أن ابنة أختي سوداء! علاقاتي ستنهار وكل ما بنيته بالأمس سيصبح رمادًا بين ليلةٍ وضحاها، وشريكتي أماليا سأخسرها للأبد؛ إن لديها تحفظات كثيرة على من يشبهون مؤمنة، لست على استعدادٍ لخسارة شراكتي مع أماليا، "**قالت أميرة**".

بغضبٍ نظر إليها أمين وحينما شعرت أميرة أن الموقف لن يمر مرور الكرام على زوجها استدركت حديثها وقالت:

- أقصد أن تعتاد مؤمنة على قول أنها خادمة حينما يزورنا أحد معارفنا فنحن في غنى عن القيل والقال.

وقبل أن ينطق أمين بكلمةٍ دق جرس المنزل فإذا هي "**رفقا**" جارتهم الكاثوليكية والتي يُلقبها الجميع بالقديسة، قابلتها أميرة وأمين بُحسنٍ وجلست رفقا بأدبٍ جم، وبعد عدة دقائق من الترحيب أعلنت القديسة عن سر زيارتها غير المعتادة وتحدثت بهدوءٍ:

- دون قصدٍ مني رأيت السيدة أميرة تطرد مربية صغيرتكم وأنا شخصيًا لا أعرف لماذا؟، ولا أرحب بفكرة المعرفة، وحضراتكم كما تعلمون أنني امرأة لا زوج لها ولا ابن ولن أنكر عليكم أنني حينما رأيت المربية ترحل راودتني نفسي للمجيء إليكم لأعرض العمل كمربية للطفلة.

اندهش أمين وكذلك أميرة واتخذ أمين من الصمت موقفًا، لكن أميرة فرحت بالتأكيد، إنها لا تريد إضاعة فرصة عظيمة كتلك التي تستبعد فيها السوداء عن منزلها لتعود إلى صديقاتها العنصريات اللواتي يساعدنها لتحقيق أعلى مراتب النجاح بفرنسا، الأغرب أن أميرة لم

تعد ترى صديقاتها على خطأ بل اتخذت من منهجهم التعسفي منهجًا لها ونسيت أن دينها لم يحث أبدًا على تلك العنصرية.

ابتسمت أميرة ابتسامة سمجة وادعت أن ذلك الأمر سيكون سخيفًا فليس من الوجاهة الاجتماعية أن تعمل رفقا كمربية للطفلة.

وبذكاء من كلمات اقترحت القديسة أن تعيش مؤمنة معها في المنزل وذلك لن يكون أمرًا شاقًا حيث أن منزلها مجاور للسيد أمين، وقبل أن يعترض أمين على مغادرة مؤمنة للمنزل كانت أميرة قد وافقت على عرض رفقا معللة ذلك أن غرفة مؤمنة بالخارج ومن غير اللائق أن تسكن القديسة تلك الغرفة، وما دامت مصممة على رعاية الطفلة فلا مانع من أن تعيش مؤمنة معها على أن يقوموا بزيارتهم من حينٍ لآخر.

لم تكن رفقا تتخيل أن قبول عرضها سيتم بأشبه ما يكون بعدم المعارضة، لعله الله أراد أن تعيش مؤمنة دون قسوة من حولها فيكفيها قسوة الفقد.

أقل من نصف ساعة ورحلت مؤمنة من بيت خالتها برفقة القديسة، في البداية سكن قلب مؤمنة الخوف؛ فهي لا تدري بالتحديد ما الأمر الذي تُقبل عليه، لكن سرعان ما اطمأن قلبها حينما هرولت نحوها مربيتها المطرودة التي ما استطاع قلبها أن يترك مؤمنة لقسوة أميرة دون فعل شيء؛ فطرقت بيت القديسة لما تعرفه عنها من دماثة خلق، وسردت لها بالتفصيل ما حدث وكيف أن مؤمنة ستتعرض لقسوةٍ لا حد لها من خالتها، وبعدما استمعت رفقا لحديث المربية استعانت بربها وبشجاعتها وذهبت إلى منزل أمين تطلب مؤمنة بأريحية وهي راضية تمامًا عن قرارها، فكم تمنت في الفترةِ الأخيرة أن تتكفل بطفلةٍ

تؤنس وحدتها وغربتها النفسية التي قارنتها بالشهور الماضية أكثر من أي شيءٍ آخر.

مر شهر على إقامة مؤمنة مع القديسة رفقا، لم يزورهما خلال تلك المدة سوى أمين الذي ظل يكن لمؤمنة كل الود والرحمة ملبيًا احتياجاتها قدر استطاعته على الرغم من انقطاع خديجة لإرسال المال له؛ ليس بُخلًا على طفلتها لكن لعجزها عن توفيره؛ فقد ازداد حجم التضيق عليهم في بلدهم لدرجة أنها لم تعد حتى بمقدورها توفير الاحتياجات الأساسية لنفسها ولأليفة.

أخفى أمين عجز خديجة عن أميرة لأنه يعلم جيدًا أنه إذا باح لها فلن يجد قبولًا حتى وإن تعلق الأمر بابنة أبيها وأمها.

أميرة التي ظلت تُضمر الكره لأختها لشعورها أن والدتها كانت تُفضل خديجة عليها؛ فعمدت أن تظهر كل الكره لمؤمنة انتقامًا للونها الذي فضلته والدتها؛ فأحبت خديجة أكثر، ومؤخرًا لتبنيها العنصرية كما صديقاتها.

شعور أميرة بتفضيل والدتها لأختها عليها لم يكن أبدًا به شيئًا من الصواب؛ هي فسرت توجيه ونصح الوالدة لها لمواقفها الكثيرة الخاطئة وصمتها عن أختها الكبرى لعدم وجود سلوك خاطىء يدعو لنصحها هو من قبيل التفضيل.

لم تدرك أميرة حتى بعدما أصبحت أمًا لآدم أن النصح هو السلوك العملي للحب.

لم تكن مؤمنة قد التحقت بالتعليم وهذا ما سعت إليه القديسة؛ فجاهدت حتى أدخلتها مدرسة الراهبات.

في بداية الأمر لم يكن الأمر سهلًا على مؤمنة فقد وجدت صعوبة في التعامل بالفرنسية مع ذويها خاصة أن القديسة أصولها عربية وتعاملها مع مؤمنة لم يكن إلا بالعربية، الأصعب لم يكن في تعلم اللغة لكنه كَمِنَ في استحقار ذويها للغتها وللونها.

بكل مرةٍ تعود فيها مؤمنة لرفقا لم يكن سوى الحزن هو الإشارة الأساسية على ملامحها، وبعد استدراج رفقا لها لمعرفة الأمر تحديدًا سردت لها مؤمنة كم المضايقات التي تحدث لكونها ليست من أصولٍ فرنسية، لكن رفقا أخذت الموقف بهدوءٍ ووعدتها ألا يتكرر مثل هذا الشأن بعد ذلك.

وفي صباح اليوم التالي ابتاعت رفقا أفضل أنواع الشيكولاته بعدد الطالبات بصف مؤمنة وبالتنسيق مع إدارة المدرسة سُمح لها دخول الصف لمدة خمس عشرة دقيقة.

ابتسمت رفقا للطالبات ولمعت أعين مؤمنة لوجود من يدعمها وأشارت رفقا إلى صندوق الحلوى وقالت:

- من يحب الحلوى؟
- أنا، "**أجابتها جميع الطالبات**".

أخبرتهم رفقا أن الحلوى ملك مؤمنة لكنها أصرت بالأمس بعدما أعجبها مذاقها أن يتذوقها أقرانها بالصف حبًا فيهم، وستقوم هي بتوزيعها عليكم، وبالفعل قامت مؤمنة بتوزيع الحلوى في ظل ابتسامة وحب رفقائها وحُل الموقف واندمجت مؤمنة بذويها وعادت طفولتها إليها، علَّمت رفقا بذلك درسًا عمليًا لمؤمنة وهو مقابلة الكره بالحب والسيئة بالحسنة حينها فقط سيعلم من حولك كم كانوا مخطئين حينما أهانوك.

مر على مؤمنة عام كامل تتعلم العلم بدقة بمدرسة الراهبات وتتعلم الحب والإنسانية والسلام على يد رفقا.

وبآخر يوم بالاختبارات وحينما عادت مؤمنة لرفقا؛ كالعادة أخبرتها عما حدث لها خلال اليوم، وأول ما باحت به مؤمنة أن الاختبار كان رائعًا وستظل تحب يسوع الرب لأنه ساعدها على ذلك التوفيق.

صُعقت رفقا مما سمعته كيف لم تنتبه لتوجيه مؤمنة لدينها الإسلامي؟، وكيف تركتها للانخراط في المسيحية ولم تُفهمها أنها مسلمة؟، الآن ماذا عليها أن تفعل؟، أتتركها للانخراط بشكل كامل في المسيحية التي تؤمن بها هي شخصيًا والتي علمت أن مؤمنة اختبرت من قبل فيه ونجحت فيه عن جدارة، أم أن الأمانة تقتضي عليها تعليمها الدين الإسلامي حتى لو اضطرت للبحث والتدقيق لتعليمها إياه؟بالأخير لم يُملي على ضمير رفقا إلا أن توجه مؤمنة لدينها لأنها لو لم تفعل ذلك لانهارت خديجة وأليفة وستكون هي السبب الرئيسى في شقائهما، قررت رفقا أن تحاول جاهدة تعليم مؤمنة دينها الإسلامي وبعد أن أخبرت المدرسة أن مؤمنة مسلمة وأن عليهم اتخاذ اللازم تجاه ذلك؛ استعانت بشبكة الإنترنت وبمواقع موثوق فيها قد أخبرها بها شيخ المسجد القريب من منزلها وبدأت رفقا تعليم مؤمنة حب الله ورسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، وبعد مرور شهرٍ كامل تبرع شيخ المسجد بتحفيظ القرآن لمؤمنة عن ظهر فهم، وافقت رفقا على ذلك وارتاح ضميرها والتي لو كانت فعلت عكس ذلك ما كانت اليوم متمتعة بالصحة النفسية ذاتها.



"الأسوأ أن تتذكر كل الأشياء المؤلمة مرة واحدة"

نزاع جديد في منزل أمين بشأن زيارة مؤمنة لخديجة وأليفة، فأمين لا مانع عنده من السفر مع مؤمنة رضاءًا لرغبة خديجة التي أرسلت نفقات السفر لأمين بعدما جمعتها بكل ما امتلكت من جهد لاشتياقها لابنتها، والآن أميرة لا تعبأ بكل ذلك وترفض أن يذهب أمين مع الطفلة مقترحة أن تسافر مؤمنة وحدها مكتفية أن يوصلها أمين للمطار، وكما جرت العادة تحل الأزمة القديسة رفقا فقد ذهبت إلى أميرة مقترحة عليها أن يقوموا بعمل توكيلٍ لها بالطفلة لتستطيع السفر بها إلى بلدها؛ معللة ذلك برغبتها في التعرف على خديجة التي ظلت معرفتها بها قاصرة على الهاتف.

رحبت أميرة بالفكرة رغم اعتراض زوجها تاركة كل مشاعر الإنسانية جانبًا.

الإنسانية لا دين لها؛ هي فطرةٌ يهبها الله لمن يشاء، وشاء أن يهبها لمن لا تمت لمؤمنة بصلة دم.

أيام قليلة قبل وصول مؤمنة لحضن جدتها ووالدتها والفرحة التي تمتلكها مؤمنة الآن ما كانت أكثر الأشياء رفاهية بباريس لتهبها إليها.

إنها ذاهبة لوطنها المقدس الذي كلما تحدثت إلى خديجة أو أليفة بثوا حبه في قلبها وحكوا لها كيف دافع عبد الرحمن وعابد وآسيا عنه.

أيام وستُمنح مؤمنة جرعة أمومة لتقيها برد الغربة لعامٍ قادم أو لأكثر لحين استطاعتهم ترتيب زيارة جديدة.

أخيرًا وصلت مؤمنة بصحبة رفقا إلى مطار وطنها، الاستقبال للقديسة كان رائعًا باعتبارها سائحة فرنسية، وذلك كان سيسهل عليها دخول البلد لولا مؤمنة التي أوقفتها السلطات ليسأل المسئول موجهًا حديثه نحو رفقا:

- لماذا رجعت تلك الفتاة إلى هنا؟
- إنه وطني أعود إليه متى رغبت، قالت مؤمنة غير عابئةٍ أن المسئول يوجه حديثه نحو رفقا التي صمتت نهائيًا.
- أنتِ وقحة، "**قال المسئول مسيئًا لمؤمنة**".
- على العكس أنا أستطيع أن أتعايش بودٍ مع الجميع فماذا عنك؟ "**بهدوءٍ قالت مؤمنة**".

على إثر كلمات مؤمنة بُهت المسئول وتداركت رفقا الموقف بابتسامةٍ واعتذارٍ زائفٍ منها له رغم إيمانها الشديد أن مؤمنة لم تُخطيء، لكن فعلت ذلك لعدم رغبتها في إضاعة الوقت وتأخير مؤمنة عن أسرتها وليمر الموقف بأسرع ما يكون.

الأسوأ أن تتذكر كل الأشياء المؤلمة التي مرت بحياتك مرة واحدة وهذا ما حل بمؤمنة بعد تصرف المسئول معها، إن وطنهم يلفظهم فأي وطنٍ يقبل بهم؟!!تذكرت مؤمنة ما حل بوالدها وعمها وآسيا وحمزة، وكيف رحلت عن وطنها عنوة، وكيف نبذتها أميرة بلا شفقة، ولولا

رفقا ما هدأت مؤمنة ولظلت على حالتها من الاكتئاب الذي حل بها فور حوارها مع المسئول.

في بلد مؤمنة الأمور ازدادت سوءًا؛ فظل الكره والعداء هما السمة الأساسية، والدم والقتل هما الدرس الأول الذي يعلمه الأغلبية ضد الأقليات، والسلام لم تنشده المنظمات الدولية ولا الحقوقية ولم يتحرك له ساكنًا.

لقاء يعلوه الدموع بين مؤمنة وخديجة وأليفة وحديثٍ بطول سنوات البعد، مر شهر كامل على الجميع كأنه ثوانٍ معدودة إلى أن جاءت ليلة مغادرة رفقا بمؤمنة، لكنها كانت ليلة ذات أثرٍ في نفس مؤمنة؛ فقد حدث هرج ومرج بالشارع وخرج الجميع لإدراك الأمر؛ فإذا هي طفلة لم يتجاوز عمرها الثلاث سنوات ملقاة على الأرض ومصابة بحروقٍ من الدرجةِ الثالثة ولا أحد يستطيع مساعدتها، حتى والدتها لم يكن بيدها سوى الصراخ على طفلتها التي حُرقت على يد معاون الجنرال دون رحمة.

اقترحت رفقا أن يأخذوا الطفلة إلى أقرب مستشفى؛ فصرخت الأم معلنة أن المستشفى رفضت حالة سماح لعدم امتلاكها للمال، لم تتردد رفقا في إخراج المال والذهاب مع الأم وبعض الجيران لإنقاذ الطفلة، لكن المستشفى رفضت للمرة الثانية دخول الطفلة رغم توافر المال لكونها مواطنة تابعة للأقليات.

- أي عهدٍ ذلك الذي يفرق بين الناس على أساس الأغلبية السائدة؟، وفي أي شرع يُقبل بذلك؟ "**قالت رفقا بشجاعة**".
- إنها تعليمات أصحاب المسشفى ولا دخل لنا فيها، "**قال موظف الاستقبال**".

ـ إن لم تدخل سماح المستشفى فسأفضح ذلك الأمر أمام العالم كله، ولن أصمت إلا بالموت "**بغضب قالت رفقا**".

وقبل أن يجيب الموظف وقبل أن تدخل سماح المستشفى كانت والدتها تصرخ معلنة بذلك غياب ابنتها عن الحياة، توفيت سماح لأنها لا تمتلك رفاهية اختيار وطن يقدس طفولتها ويصون انسانيتها ويحافظ على حياتها، توفيت لأن سلطة المال والعنصرية علت فوق سلطة الرحمة والمواطنة الحقيقية.

بكت رفقا لعجزها وانهارت مؤمنة إثر فهمها لما يحدث تحديدًا، ثم قالت وهي خاوية القوى:

ـ لو كنا نعرف كيف نُحب ما ماتت سماح.

هذا الموقف ظل في ذاكرة مؤمنة إلى أن كان دافعًا قويًا لها بعد سنواتٍ للالتحاق بكلية الطب، تلك الكلية التي التحق بها آدم ابن خالتها قبلها بعامين، خالتها التي ظلت طوال تلك المدة الغابرة لا تهتم لشأن مؤمنة في أي صغيرة أو كبيرة.



"أن تعجز عن الدفاع عن معتقداتك ذلك هو الأوجع"

إذا كانت الديانات التوحيدية تستخدم العنف لتحويلنا عن معتقداتنا؛ فلنسلك الطريق الأكثر غلظة معهم لتحويلهم إلى عقيدتنا نحن)، تلك هي الكلمات التي يؤمن بها الأغلبية في موطن مؤمنة، والتي يستخدمها دومًا الجنرال لتبرير عمليات الحرق والقتل التي يأمر بها معاونيه، وليحرك مشاعر النفور من الأقلية المسلمة، ولكي لا يرق ضمير أحد ليعترف أن كل ما يفعلونه ضد المسلمين هو من قبيل الإجرام.

إنه كل صباح يبث تلك الكلمات الغليظة والأسوأ منها على مسامع أعوانه وحتى على مسامع الأطفال الذين يؤسسونهم على كره الأقليات وعدم التعايش معهم؛ فإما تهجيرهم أو التخلي عن معتقداتهم والاندماج معهم في إيمانهم وإما حرقهم وقتلهم.

وبعد أن انتهى الجنرال من بث خطبته عليهم انتظر الجميع أوامره وكانت تعليماته كالتالي: "**في مساء الليلة السابقة قد صَدمت فتاة مسلمة تُدعى مريم الراهب الأكبر سنًا في بلدنا، وأنتم تعرفون قداسة الرهبان فهم حماة الوطن، ونحن متأكدين أن الفتاة ما فعلت ذلك من تلقاء نفسها وإنما بتوجيهِ من هم أكبر منها سنًا**

لاستهتارهم بذات الراهب، وعلينا في تلك الظروف أن نرد على المسلمين ردًا رادعًا وذلك بواسطة خطة قد وضعناها بدقة".

الجميع حبس أنفاسه ليعرفوا الخطة المطلوبة لكن قبل أن يبوح الجنرال بشيءٍ توجه إلى شابٍ مناديًا عليه بصوتٍ قوي:

- محارب.

وقف أمام الجنرال حينها شاب قوي البنية والشجاعة تعلو ملامحه والحماسة تعلن عن نفسها وهو يجيب الجنرال بقوله:

- في الطاعة سيدي.

- ستكون قائد المجموعة التي ستُكلف بمهام اليوم، "**قال الجنرال**".

- شرف لي أيها القائد، بحماسة قال محارب.

بعد ذلك الحوار قام الجنرال بشرح المهمة الأكثر وجعًا وكانت حرق جميع المساجد المقامة في منطقة مريم ليكون ذلك ردًا قاسيًا لمن لا يعتبر.

تهلل الجميع فرحًا بما سيشرعوا في عمله لأن ذلك من شأنه الحفاظ على بلادهم وقداستهم كما يعتقدون.

أن تعجز عن الدفاع عن معتقداتك ذلك الأوجع، وهذا ما حدث لمؤمنة حينما علمت أن مقدساتها تتعرض لكل تلك الانتهاكات من قِبل محارب دون أن تستطيع تحريك ساكنًا، محارب الذي زاد عن حرقه المساجد حرق العشرات من المسلمين الذين اعترضوه رفضًا منهم لأفعاله.

محارب الذي سحل امرأة قالت له:

- أرجوك توقف عن حرق المساجد.

ما امتلكت مؤمنة أمام عجزها إلا أن تصنع فيديو عن بشاعة الموقف تقول فيه: "**أيها المحارب إن لم يكن لديك دين فليكن عندك عقل وإننا ندعوك إلى السلام، الحب، الإنسانية، المودة وأنت تدعو إلى الدم، الكره، الوجع، يا محارب إن كانوا قد علموك أن الإسلام دين عنف فلتعلم أن ما قيل لك هو من قبيل الزيف، لتدرس ولتعرف ثم لتُقيم في وجه من توجه سلاحك أو للتخلي عنه نهائيًا من أجل السلام، السلام يا محارب الذي نبدأ به تحية الإسلام الذي لا تعرف أنت عن جوهره شيئًا**".

مشاهدات الفيديو الذي نشرته مؤمنة على مواقع التواصل الاجتماعي كانت الأعلى مشاهدة، ومن بين المشاهدين كان محارب الذي وعد مؤمنة أن يكون رده عليها أقسى مما تتخيل هي، فيكفيه أنها صورته أمام العالم كله أنه يدعو إلى الدم وهو ما قصد من وجهة نظره سوى الدفاع عن قداسة معتقداته، أما الجنرال فنفى لمحارب صحة ما تقوله مؤمنة ثم كتب اسم مؤمنة على وريقة قد اعتلت مكتبه ووضع حولها دائرة حمراء بقلمه مفكرًا نحوها في شيءٍ ما.

ستة أشهر مرت على مؤمنة بكلية الطب وفي كل مرةٍ تيأس من تعلم شيء فيه؛ تتذكر صور الحرقى والمشرفين على الموت في وطنها؛ فتقسم على عدم ترك شيءٍ في الطب إلا وتكون فيه الأفضل، وتفوقت بذلك على ذويها بل وعلى أساتذتها أنفسهم، ورغم كل ذلك لم تسلم من أذى جوزيف الذي لطالما حلم أن يكون الأفضل بالكلية ليعين فيها؛ فوقفت مؤمنة بينه وبين حلمه ملفتة أنظار الجميع نحوها، وفي إحدى الأيام الكئيبة استوقفها جوزيف طالبًا منها المساعدة في تصوير بعضٍ من المحاضرات التي لم يتمكن من حضورها، وبابتسامةٍ وعن

طيب خاطرٍ أخرجت مؤمنة المحاضرات لمد يد المساعدة لزميلها، وما إن التقط جوزيف الأوراق من يد مؤمنة حتى مزقها وضحك بسخريةٍ وقال بعلو صوته:

- أنا لا أقبل أوراقًا من سوداء إرهابية، ولم يكتفِ بذلك بل إنه قام بالتطاول بيده محاولاً إفلات حجاب رأسها، وهنا تدخل آدم ابن خالة مؤمنة الذي التحق بالكلية قبل مؤمنة بعامين.
- ليس من حقك التطاول عليها، أبعد آدم جوزيف عن مؤمنة وهو يقول تلك الكلمات.

وكز جوزيف آدم في صدره وحذره من التدخل في الأمر؛ فصمت آدم ليجنب مؤمنة المشاكل ممسكًا بيدها محاولاً إيقاف الموقف عند ذلك الحد، لكن هيهات لجوزيف أن يتركهما لسبيلهما؛ فاعترض طريق مؤمنة ثانيةً مما اضطر آدم للدخول في اشتباك مع جوزيف المتهور ووصل الأمر إلى الأمن، ووجه الجميع إلى مكتب العميد ناظرين حكمه.

- ليس من الاحترام ما حدث بينكم داخل الحرم الجامعي.

قال العميد فصمت ثلاثتهم ثم نظر العميد إلى ثلاثتهم ثم إلى مؤمنة موجهًا اللوم إليها وهو يقول:

- أنتِ لستِ فرنسية وقد احتوتكِ فرنسا كأنكِ أحد أبنائها لدرجة أنكِ الآن تدرسين بأعرق الجامعات فيها.

وبأدب جم أجابت مؤمنة:

- إنني لا أنكر على فرنسا معروفها سيدي لكن جوزيف الفرنسي استخدم ضدي عنصريته ووصفني بالسوداء الإرهابية.

- أبناء فرنسا ليسوا عنصرين يا آنسة وإن كنتِ لا تستطعين التعامل معنا فلترجعي إلى وطنكِ بكل ما فيه من دماء، "**قال العميد**".

- نحن يا سيدي لم ندعُ يومًا للدماء، إننا ما حرقنا ولا قتلنا، نحن من يحدث لهم أسوأ من ذلك، ثم إنني أعرف أنك ممن يظهرون بوسائل الإعلام داعيًا إلى نبذ العنف والتطرف والعنصرية، حقيقة أنا في قمة الذهول من موقفك المعادي لي الآن، "**قالت مؤمنة**".

كاد أن يفصل العميد مؤمنة لتجاوزها معه لولا دخول مساعده إليه ليهمس في أذنه أن بعضًا من الطلبة يرفعون لافتات مكتوب عليها "**اخسر ما شئت لكن إياك أن تجعل فرنسا تحت مطرقة القيل والقال**"، ولافتات أخرى مكتوب عليها " **الإنسانية للجميع ولا لأبيض على أسود فضل**"، وثالثة مكتوب عليها "**فرنسا تتسع للجميع**".

اهتز العميد للموقف وأنهى الموقف بانذارٍ لثلاثتهم.

شكرت مؤمنة آدم لوقوفه إلى جوارها؛ فاستغل الفرصة وأخبرها أنه يريدها أن تزورهم في المنزل فمن غير اللائق أن يكونوا أقارب من الدرجة الأولى وتفضل الإقامة مع رفقا، ابتسمت مؤمنة بعدما أفهمته أن أمر الإقامة مع رفقا لا يمكن أن يتغير فرفقا وحيدة ولا أحد يزورها من أقاربها، وهي اعتنت بها منذ طفولتها فكيف لها أن تتركها اليوم.

- لم أقل إقامة عزيزتي فقط زيارة لنا، "**قال آدم**".

ـ سأنتظرك أنا مع والدك لتأتي إلينا،" قالت مؤمنة التي تعلم جيدًا كم سيكلفها مغامرتها بزيارة منزل أميرة.

احتملت مؤمنة أن يكون آدم خلوقًا كوالده أمين وأنه لم يأخذ عن أميرة طباعها لكنه ورث ملامحها، لكن الله وحده أعلم بما تُضمره النفوس.

علمت مؤمنة فيما بعد أن من خطط لتجمهر الطلاب هي إنجي صديقتها المقربة، وهي من أصولٍ عربية جهة الأب ووالدتها فرنسية وما فعلت ذلك إلا لعلمها أن عميد الجامعة على صداقة قوية بوالد جوزيف، ولمعرفتها أن العميد له مواقف عنصرية لا يبوح بها أمام الإعلام بل يتظاهر بعكسها، ومن وجهة نظر إنجي إن لم يكن للعميد رادعًا فلم يكن ليتورع أن يتصرف برعونةٍ مع مؤمنة.

بحبٍ شكرت مؤمنة إنجي وودعتها متجهة إلى منزلها.

كانت لتلك الواقعة أثرها السيء في نفس مؤمنة التي أصبحت دواخلها مُحطمة فلا باريس تقبلتها ولا وطنها احتواها.

ثلاثة أيام لم تدخل فيهم مؤمنة باب الجامعة، تُفكر في ترك كل شيءٍ في باريس لترحل إلى وطنها مهما كانت قسوته، وامتلكت الشجاعة لتعلن لرفقا عن رغبتها في ذلك.

لم تندهش رفقا لما سمعته من مؤمنة فهي ضمن أحد العناصر التي جعلتها تؤمن بقضية وطنها وبحقها المشروع في الرجوع إليه، لكن الوحدة القاسية لم تُعِد لها رفقا عدتها؛ لأن التوقيت مخالف لما توقعته، التوقيت الذي شارفت فيه مؤمنة على القرب من انتهاء عامها الأول بالكلية، ورغم الحزن الكبير لرفقا إلا أنها فكرت بهدوءٍ وقالت:

ـ غيابك سيكون إحدى المآسي الحقيقية التي ستمر بحياتي فأنتِ ابنتي دون شكٍ في ذلك، سأزوركِ أنا إن لم تفعلي ذلك أنتِ، أنا لن أسالكِ لماذا رغبتكَ تلك في ذلك التوقيت بالتحديد؟، ولكن لدي رجاء أرجو أن تقبليه وهو أمنيتي أن تخوضي امتحانات هذا العام الذي شارف على الانتهاء، ثم التحويل إلى جامعة بلدكِ بدلاً من إضاعة عام من عمركِ، وحينما تعودين لوطنكِ لو اتسعت لكِ الفرصة لمساعدة أبناءه بالمال والجهد فلتفعلي دون تردد، المال الذي من الممكن أن يهبه الله لكِ بين لحظةٍ وأخرى.

لم تجادل مؤمنة ولم تعترض رغم معرفتها الجيدة أن قلبها أصبح في غنى عن شهادة باريس التي تشعر في كل لحظةٍ أنها منة عليها، وكم هي مشتاقة لإثبات حقها وحق غيرها في وطنها، وافقت مؤمنة على البقاء لآخر يومٍ بالامتحانات ومن بعدها السفر مباشرة.



"نحن لا نخشى الحب، بل إننا نخشى النهايات"

قاسية هي تلك اللحظات التي تخشى أن تبوح لمن تحبه بشعورك، والأصعب أن تشعر أن المسافة بينك وبينه ليست باليسيرة لتخطيها، إنه يُحبها لكنه يخشى ردة فعلها إذا باح، ويموت رعبًا إذا شعر أنها بين لحظةٍ وأخرى يمكن ألا تكون له، والأصعب من ذلك غيابها دون مبررٍ فالأمر في الجامعة انتهى، فلماذا مؤمنة لا تذهب لكليتها؟، آدم الذي يشعر بكل الأحاسيس السابق ذكرها مع كل فتاةٍ تلفته إلى أن يشعر أنه امتلكها فيزهدها ويغادرها وكأن شيئًا لم يكن، شخصيته غريبة لا أحد يعرف ما الذي يرضيه بالتحديد؟، إن قلبه يشعر حقًا بكل فتاةٍ لكن لا أحد يعرف ما الذي يحدث له إذا شعر أنه امتلك قلب تلك الفتاة؟، إذًا ماذا عليه الآن أن يفعل في غيابها؟، وكم عليه أن يصبر دون فعل شيء؟، وإن صبر هو فكم لقلبه الذي يريد امتلاكها أن يصبر؟في مساء اليوم الثالث لم يطق آدم صبرًا فارتدى ثيابه وخرج من منزله قاصدًا بيت القديسة رفقا سائلًا عن مؤمنة التي استقبلته بابتسامةٍ باهته ووجه حزين.

ـ لقد انتابني القلق عليكِ، لم أرَكِ بالكلية منذ الواقعة، "**قال آدم**".

ـ لم أكن بمزاج جيد للذهاب وربما أذهب غدًا أو بعد غد، "**قالت مؤمنة**".

أخبر آدم مؤمنة صدقًا أن أمين يرسل لها السلام ولولا ظروف عمله لم يكن أبدًا ليقصر في زيارتها، وأعلن لها كذبًا أن أميرة ترسل لها الود والمحبة، وقبل أن يرحل تملكته شجاعة البوح بما في نفسه:

ـ إنني ممتن لكوننا استطعنا أن نكون بالقرب وإنني أعدكِ أن أقدسكِ إن قبلتِ بحبي لكِ.

ارتبكت مؤمنة إثر كلمات آدم الذي لم ينتظر منها ردًا مغادرها للقاء قريب.

قلب مؤمنة لا يتحمل غدرًا ولا مأساةً جديدة، إنها تخشى الحب ونهاياته وإنها لا تأمن على نفسها خوض تجارب لا تعرف عواقبها، الفقد بالنسبةِ لها هو الأسوأ على الإطلاق فيكفيها فراق والدها بالموت وفقد والدتها بالقهر، فماذا عن علاقةٍ جديدة؟ وماذا عن حياتها إن علقت بشخص ما؟، الأمر بالنسبةِ لمؤمنة ليس رفضًا لعلاقة آدم بقدر ما هو رفضًا للحب والارتباط، إن مؤمنة من ذلك النوع الذي إذا أحب فعل ذلك بكل ما امتلك من عاطفة، ووهب من يحب بأكثر مما يتخيل، وإنها ضمن هؤلاء الذين يُعلِّقون حياتهم ومصائرهم بمن يحبون، وفراقهم بالنسبة لها موت لا شك، وعلى الرغم من كل ما سبق مؤمنة متيقنة أن شكل العلاقة بينها وبين آدم إن وافقت لن يكون بالشكل العظيم الذي تتمناه كل فتاة، إنها تعلم جيدًا أن أميرة لن تقبل أن تكون زوجة ابنها سوداء، إذًا ليس عليها إرهاق دواخلها بآدم الذي لن يقبل ترك باريس ليقيم معها بوطنها الأصلي، إنها ليست محظوظة لتسير الأمور كما ترغب.

في صبيحة اليوم التالي ذهبت مؤمنة لكليتها بضغطٍ من رفقا، وكما توقعت وجدت آدم في انتظارها لا يطيق صبرًا لإجابتها عليه فاستقبلته بهدوءٍ وقالت له:

- عقليًا حبك لي لن يجلب سوى بعضٍ من الضغوط والألم النفسي وأنا أفضل أن نكون أخوة رائعين كما نحن.

اكفهر وجه آدم مستفسرًا عن الأسباب وبصبرٍ أجابته مؤمنة:

- إنني سأعود لوطني في نهاية هذا العام الدراسي وسأكمل دراستي وحياتي بالوطن الذي أدخله كغريبة، كما أنني غير مستعدة للزواج يا آدم في ظل ظروفي التي أعيشها.

- زواج من قال زواج؟! "**قال آدم وكأن الله أنطقه بما يريده لأن قلب مؤمنة طاهر لا يتحمل وجعًا كهذا**".

همت مؤمنة وحاولت الرحيل لكن آدم أمسك بذراعها مستوقفًا إياها.. وبنفاذ صبرٍ قالت مؤمنة:

- إنني فتاة مسلمة لا تقبل بأيةِ علاقةٍ لا يقبل بها الله، إنني عشت بفرنسا لكن الله أرسل لي من يعلمني ديني بحق فيكفيني شيخي ورفقا.

رفقا القديسة التي ليست على دينكِ! "**بسخرية قال آدم**". ثم أكمل حديثه:

- أنتِ معقدة تمارسين العقائد الإرهابية وعليكِ أن تفهمي قبل أن تغادريني أنكِ ملك لي وحدي، تذكري ذلك جيدًا.

لم تغضب مؤمنة من موقف آدم معها بل على العكس شكرت ربها كثيرًا لأنه أنقذها من شخصٍ لا يُؤتمن على قلبها، وشكرته كثيرًا على أنه لم يُعلق قلبها بمن لا يستحق، إنها راضية تمامًا عما تعرضت له

من قبل آدم؛ فإنه أفضل لها من التعلق والفقد والخيبة التي تعلم جيدًا أنها لن تستطيع تحملها، وعلى العكس هي لم تُدهش لموقفه معها لأنها تعلم جيدًا ما الذي بثته أميرة في عقل ابنها؛ فهي لم تنسَ تعلق آدم بأميرة على عكس يمنى أخته الصغرى فهي تميل إلى والدها أمين أكثر من والدتها بكثير، إن الذي كان يدعو للدهشة موقفه في الجامعةِ معها، لكن الآن الأمور اتضحت؛ هو ما دافع عنها إلا ليجذبها إليه ونسى أن الله يرى ويسمع ما في القلوب.

على أي حال درست مؤمنة الموقف بعقلها وقررت ألا يأخذ حيزًا أكبر من التفكير؛ فلو فكرنا في كل الأشياء التي لا تستحق لشبنا قبل أواننا، ولأضعنا عمرنا وندمنا على عدم استغلاله كما أمرنا الله عز وجل، وندمنا أكثر لإدخال أنفسنا بدائرة الوجع والحزن.

لكن ولعدم إيمان آدم أن للحديث خُلقه وأن القلوب مقدسة فيكفي أن الإيمان يركن فيها، لم يصمت ولم يخجل وذهب إلى منزله يشكو صنيع عمل مؤمنة معه ورماها زورًا أنها صفعته على وجه لأنه يريد إبعاد جوزيف عنها، لقد أدخل الموقف السابق ودفاعه عن مؤمنة ضد جوزيف بالموقف الحالي وأصبحت الأمور متشابكة حتى لا يعرف أحد الحقيقة.

انساقت أميرة خلف حديث ابنها وخرجت غاضبة إلى منزل رفقا التي حاولت استقبالها بودٍ لكن أميرة لم تعطها فرصة لذلك ورفعت يدها لتصفع مؤمنة على وجهها ثم أدارت ظهرها لها وهي تقول:

- لم يتبق سوى السوداء لتتعدى على آدم!

لم تنطق مؤمنة بكلمة والتصقت برفقا التي احتوتها بذراعيها وهي توجه حديثها لأميرة:

ـ ليس من حقكِ التعدى على الآخرين بمنازلهم.

ـ منازلهم!، إنها لاجئة ولا يمكن لأحد أن ينسى هذا، "**قالت أميرة بعصبية قبل أن تخرج من الباب**".

قبل أن تخرج أميرة من الباب الأساسي للمنزل قابلت زوجها وابنتها؛ لقد جاءوا لينقذوا الموقف بعدما ضغط أمين على آدم واعترف بكل شيء، صرخت أميرة بوجههم محذرة إياهم أن يدخلوا لمؤمنة، لكن تلك المرة لم يستجب أمين ولا يمنى وصمموا على الدخول لمؤمنة التي وجدوها منهارة من البكاء وهي تحكي حقيقة ما حدث لرفقا.

ليس كل شخصٍ يستطيع تطيب القلوب، لكن الله وهب أمين تلك الصفة؛ فقد استطاع ببراعةٍ تطيب خاطر مؤمنة واعدًا إياها ألا يتعرض لها آدم ثانية وما تركها إلا وهي راضية تمامًا.

أما يمنى فقد ظلت صامتة دون أن تتفوه بكلمةٍ واحدة ليس لضيقها من مؤمنة بل لصدمتها من مواقف والدتها المتعددة التي ما عادت لها القدرة على تفسيرها، ولا تستطيع أيضًا تصديق عقلها في أن والدتها قاسية ظالمة لأبعد مما يتخيل أحد، كلنا يمنى لا نستطيع تصديق أي شيء من شأنه تشويه صورة من نحب وأن ذلك في أغلب الوقت يجعلنا تحت ضغطٍ نفسي لا يُحمد عقباه، حتى إننا ولأننا نحب بصدق أحيانًا لا نرى سوى كل حميدٍ في من نحب، حتى أن شره نحسبه خيرًا ويهيأ لنا قسوته وأنانيته خوفًا علينا وحبًا عظيمًا لنا.



"الأسوأ أن تفقد شغفك نحو كل شيء"

الأسوأ أن تفقد شغفك نحو كل شيءٍ حتى تلك الأشياء التي كنت ترغبها بشدة في الماضي، إن تلك مأساة لمن هم في العشرينيات من عمرهم، وذلك ما حدث لطه ودانة حينما أخذت رأيهم سعاد زوجة عزيز للرجوع إلى وطنهم وعن مدى تأهلهم النفسي للاستقرار هناك، وكانت إجابتهم صادمة؛ لقد قالوا نفس الإجابة "**لا فرق**" تلك الكلمة التي لا يضاهيها في قسوتها شيء، فلا فرق فكل الأشياء في نظرهم باتت واحدة، لا فرق بين هنا وهناك، ولا حتى بين الحياة والموت، وحينما وجدت سعاد منهم ذلك قررت بالنيابة عنهما الاستقرار النهائي في بلدهم الأصلي، وما كان منهم موافقة ولا اعتراض فقط جهزوا حقائبهم منتظرين موعد سفرهم.

لم تصدق أليفة أن أحفادها في أحضانها وبكت طويلًا ليكمل الله عليها جميل فضله ويُرجع إلى أحضانها مؤمنة وحمزة، حمزة الذي لم ينسوه لليوم، وفي كل زيارة ليلدس إلى أهلها لا يتراجعون في الذهاب إليها لسؤالها عن فلذة كبدهم.

أثناء ذلك علمت أليفة وخديجة أن يلدس خادمة الجنرال في زيارةٍ لأهلها؛ فذهبوا إليها كما العادة ليسألوها عن معرفتها بأية أخبار عن حمزة.

وكما قال فيليب روث في روايته الوصمة البشرية "**حرب الحياة جعلتها امرأة خشنة**"، وهذا التعبير الدقيق الذي أصبحت عليه يلدس، ربما تكون صلبة من الخارج وهشة جدًا في دواخلها، وأضف إلى تلك الخشونة الزائفة ذلك الحزن الذي امتلأت به ملامح يلدس، في كل الزيارات السابقة لأليفة وخديجة ليلدس لم يكن ذلك الحزن باديًا عليها كما تلك الزيارة، شيء ما فيها انكسر وشيء آخر تريد أن تتفوه به لكنها ومع ذلك تُفضل كتمه في صدرها.

سألتها أليفة سؤالها المعتاد منذ سنوات:

- ألم تعلمي شيئًا عن حمزة لتثلجي به صدري؟، كانت إجابة يلدس تلك المرة ليست كما المعتاد؛ فهي لم تزد عن إشارةٍ برأسها تُعبر بها عن أنها لا تعرف شيئًا، ثم انسحبت من المجلس ودخلت غرفتها تبكي كما لم تفعل من قبل، ولم يستطيع أحد معرفة ما الذي أوصلها لتلك الحالة.

طلبت من الجميع أن يتركوها وحدها لتهدأ وانصاعوا لرغبتها وكل قلوبهم موجوعة لأجل حالة الفتاة التي لم تكن كذلك في السابق سوى التبسم والتفاؤل، تُرى ما الذي حدث؟

وحدتها التي فرضتها على نفسها لم تكن لتعفيها من التفكير فيما يُحزنها، فيكفيها عدم استطاعتها بالبوح بما في صدرها لأنها إن قالت سيكون الموت حليفها، هي لا تستطيع أن تستوعب أنها ستكون جزءً من جريمةٍ ستحدث لا مفر، إنها مندهشة من قرارها بعدم تنبيه

"**عالية**" من أنها في خطر، عالية تلك الفتاة المجاورة لهم في المسكن والتي حاول ابن الجنرال تعدي حدود أدبه معها فلم تستجب كأيةِ فتاةٍ مسلمة تعرف ما يُرضي ربها وصفعته على وجهه بنفس الحدة التي أهان كرامتها بها، وبنفس الجرأة التي رغب أن يأخذها بها، ابن الجنرال الذي كان يتعقب عالية يوميًا بعد رجوعها من عملها ليجذبها بكلماته إليه، وحينما رفضت تجاوزه معها باليد فما كان منها إلا أن تدافع عن نفسها أمام وقاحته.

سمعت يلدس ابن الجنرال وهو يتفق مع محارب أن يقتل عالية بعد أن يذلها أمام الجميع، وقد وافق مُحارب دون ترددٍ أن يفعل ما أُمر به فهو لا يهمه بشاعة ما سوف يرتكبه بقدر ما يهمه التقرب أكثر ما يمكن لعائلة الجنرال.

ماذا تفعل يلدس بعد معرفتها بذلك وبعد أن أمسك محارب بذراعها بعدما شعر أنها سمعت حديثه مع ابن الجنرال مهددًا إياها إن نطقت بكلمةٍ فسيكون مصيرها الموت؟ فما كان منها إلا أن تقنعه أن ولائها الأول والأخير للجنرال.

قبل أن ترحل أليفة وخديجة من المنزل استوقفتهما وأقسمت عليهما أن يجعلاها تتواصل مع مؤمنة متذكرة موقفها مع محارب حين حرق المساجد لعلها تستطيع لفت أنظار أيةِ مؤسسةٍ حقوقية فيرتعد محارب قبل أن يرتكب جريمته، ولعل الله يُحدث على يدها شيئًا دون أن تظهر هي في الصورة.

هاتفت أليفة مؤمنة لأكثر من خمسة مرات دون إجابةٍ منها، ورجعت يلدس لحزنها فاقدة أملها في حل الأمر فمحارب سينفذ العملية بأي وقت، إذا ماذا عليها أن تفعل؟، أتذهب لعالية وليحدث ما

يحدث، أم تصمت وتظل بألم شعورها بالذنب طوال حياتها؟بعد نصف ساعة من التفكير القاسي قررت يلدس الذهاب لمنزل عالية وليكن ما يكن، وأثناء طريقها للبيت سمعت أن محارب قد قام باختطاف عالية أمام مسمع الجميع دون أن يستطيع أحدٌ إيقافه عند حده.

رجعت يلدس إلى منزلها تجر خيبة تأخرها عن الفتاة التي تعلم جيدًا أن الذل مصيرها قبل الموت، دخلت يلدس تبكي ووالدتها تلح عليها لتبوح لها بوجعها، انفعلت يلدس لإلحاح والدتها وقالت:

ـ عالية ستُقتل، لن ترجع، سينتهكوا كرامتها ولن يكتفوا إلا بضحكهم لموتها.

وقبل أن تُكمل حديثها دخلت أليفة تعطي الهاتف ليلدس فقد عاودت مؤمنة الاتصال بعدما رأت الهاتف، تلهفت يلدس الهاتف كغريقٍ يبحث عن نجاته في قشة وتحدثت دون سلام:

ـ افعلي شيئًا يا مؤمنة لإنقاذ عالية.

ـ ما الذي حدث؟، "**سألت مؤمنة محاولة منها لفهم الموقف.**"

هدأت يلدس ثم سردت لمؤمنة كل ما حدث وأغلقت الهاتف معها لتلقي عبء الموقف على مؤمنة التي لم يكن بيدها سوى أن تصنع فيديو محتوي على ما يحدث من قِبل محارب تجاه عالية لعله ينجح ولعل الله يحدث به خيرًا.

اتجهت مؤمنة نحو هاتفها وفتحت الفيديو وقالت:

ـ "**إنها مُسلمة ولن تخجل من ذلك، على الجميع إدراك ذلك جيدًا**"، تلك هي الكلمات التي بدأت بها مؤمنة محتوى الفيديو.

ثم تنفست وحبست دمعها وأكملت حديثها بقولها: "**إنه يريد أن يأخذها غصبًا وهي لا تريد لأجل ربها ومقدساتها، فهل يكون الموت هو مصيرها؟، إنني أحدثكم عن جريمة وقعت وسيتم إتمامها بين لحظةٍ أو أخرى، سيكون الموت مصير عالية من قِبل محارب الذي لا يستخدم عقله ولا إنسانيته، إلى متى يا محارب ستظل كارهًا للسلام؟، إلى متى ستعيش بلا قلبٍ وبلا رحمة؟، لن تشعر بكلماتي إلا حينما تتذوق كأس من أوجعتهم في أهليهم**"، وبعد تلك الكلمات أكملت مؤمنة سرد قصة عالية مع ابن الجنرال بالتفصيل داعية ربها أن يحدث شيئًا، وانتظرت ردود الأفعال التي جاءت أغلبها رفضًا لما يحدث وعلى الرغم من ذلك لم يحرك أحدهم ساكنًا على أرض الواقع وعاند محارب وقتل عالية بعد أن أذلها بتصوير جسدها عاريًا.

ماذا على مؤمنة أن تفعل أتيأس وتقبل بالجنسية الفرنسية التي وعدتها رفقا أن تساعدها لأخذها، أم تعود إلى وطنها مهما كانت مساوئه؟، ولو حركت حجرًا واحدًا فسيكون أشرف لها من السكوت عن الحق في المواطنة، ولعل بها يتجاوز وطنها كل تلك الحماقات التي تحدث فيه ضد الأقليات، بكت مؤمنة عالية كما لو كانت أختها، بكت ضعفها لعجزها عن تغير مصيرها، بكت وجعها لضعف وطنها على حمايتهم لأن ذوي السلطة يرون أنهم أقل من أن يعاملوا بإنسانية، بكت لأنها لم تفعل شيئًا يُذكر إلى الآن على أرض الواقع، وكل ما تفعله أنها تجلس في أمانٍ تتحدث من هاتفها، لك يا الله الفصل وأنت السند والقوة لأناس مستضعفين عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم.

بتلك الجريمة اقترب محارب من الجنرال وابنه بأكثر مما يتخيل أحد، حيث أنه فعل الجريمة على مسئوليته مطمئنًا لهم بخصوص الرأي العام الذي إن تحرك فسيُعرِّض نفسه هو لكل الضغوطات التي ستحدث، ذكاء شديد منه فهو يدرك جيدًا ألا أحد سيتفوه بكلمةٍ وبذلك لن يتعرض لأذى، وكسب ود عائلة الجنرال بضربةٍ واحدة، آه يا محارب لو تستخدم ذكاءك فيما هو حسن لبقى حالك أفضل ومن حولك أفضل بكثير، لكن ها هو محارب يستخدم كل أساليبه في الذكاء سواء مشروع أو غير مشروع لمصلحته دون النظر لما هو صحيح وما هو خاطيء.



"الحب أن تكون سر سعادتها، واضعًا الله نصب عينيك حين تتعامل مع مشاعرها"

شيءٌ مرعب أن تتوقف حياتها كلها على شخص واحد في الحياة فحينما يتحدث إليها تُقبل على الحياة، وإذا ابتعد ولو قليلًا تُظلم الدنيا في عينيها وتضيق، لم تكن بحياتها تتوقع أنها ستصل إلى تلك الدرجة وأن تُنحي كرامتها جانبًا ليبقى فقط بجانبها، ليس من العدل أن يكون الحب قاسيًا على البعض بتلك الدرجة وسلطة تحكم وامتلاك لأشخاص على حساب آخرين، قولوا لي بربكم ما الذي سيحدث لو اعتدل الحب؟، فيومًا هو يبدأ بالحديث وآخر هي تبادره، ما الذي سيحدث إذا لم يهدد أحدهم الآخر بمغادرته وكان بقاؤه فضلًا ومنة على الطرف الآخر، ويجب عليه طوال الوقت أن يدفع ثمن بقاء الآخر معه؟، وماذا لو بادر بالصلح المذنب في حق الآخر وليس من يشتاق أكثر حتى لو لم يُخطئ؟، الحب بطريقة شخص يُحب الآخر أكثر فيتنازل في مقابل بقاء الآخر عن أي شيء ليس عدلًا، وعدمه أفضل من وجوده، فبوجوده يكمن الوجع، والحب ما كان أبدًا للوجع بل لمنح السعادة والسند والراحة النفسية، بربكم هل يعد الحب حقيقيًا إذا أصبحت الحالة النفسية لأحدهما تحت مستوى الصفر لمجرد أنه وثق

بأحد الأشخاص بحياته؟، والله ما كان أبدًا هذا بحب حقيقي، وعلى كل من يتعرض لذلك الصنف من الحب أن يرحل وهو راضٍ تمامًا عن نفسه لينقذ ما تبقى لديه من طاقةٍ للحب من جديد وإلا حُرم من الحب ما تبقى من عمره ويُترك مُحطمًا لا يصلح لشيءٍ وليحافظ على كرامته ونفسيته المُهدرة.

لو قرأت ذلك الكلام وأنت لم تتعرض لذلك اللون من الحب ستُرجح كفة المنطق وستقول البعد هو الحل، أما إذا كنت في غمرة ذلك الحب فلن يكون القرار بالنسبةِ لك سهلًا على الإطلاق كما "يُمنى" تلك الفتاة المليئة بالحزن رغم كل تلك الأموال التي تتمنى غيرها لو تمتلك جزءً ولو يسيرًا منها، تلك الفتاة التي خرجت تبحث عن الحب خارج منزلها فدخلت في نوبةٍ كبيرة من الألم النفسي.

نفسيتها مُحطمة بسبب سليم ذلك الشاب المصري الجنسية والذي يناهز الثلاثين عامًا والذي يعيش في باريس، سليم الذي ما يهاب أبدًا أن يُبكي يُمنى شوقًا له، إنه يبعد عنها بالأيام ولا يجيب على هاتفها، وعندما يتعطف عليها ويرد لا يسأم من تقديم الحجج الواهية عن سر ابتعاده، لا يخجل من كذبه عليها، وعندما تحاول كشف سره يثور عليها مدعيًا أنه هو الذي على حق وأنها لا تثق بأحد ولا حتى نفسها، وعليها أن تتوقف عن ذلك وإلا رحل عنها لأنه لا يستطيع تحمل طريقتها تلك معه، وما إن يفعل ذلك حتى تبكي بحرارةٍ راجية إياه ألا يفعل ذلك، وأنها لن تعود أبدًا لفعلتها؛ فيعاند هو أكثر لأنه يشعر أنه ملك قلبها وأنها أبدًا لن تستطيع العيش بدونه، حتى إذا انهارت قداسة كرامتها أكثر عطف عليها بمسامحتها فترضى هي وتنسى أنها أهانت كرامتها لأجله وترجع من موتها إلى الحياة ثانية، قسمًا ليس برجلٍ من

يفعل بفتاةٍ ذلك، ذلك الذي يعاهد فتاة سرًا؛ حسابه عند ربه، فما بالكم بمن يهين قلب إحداهن بتلك الدرجة التي تجعلها دومًا في حيرة من أمرها، أيحبها أم يتلاعب بمشاعرها؟، وبعد أن تُرهق من التفكير لا يكون أمامها سوى تصديق كلماته أنه يحبها لأن الأمر يكون أقسى ما يكون إن شعرت للحظةٍ بعكس ذلك.

لينجي الله كل من يتعرض قلبه لذلك الظلم وليعنه على نسيان كل ما يؤذي مشاعره وليخلق له ذاكرة جديدة بدونهم وقلب مُشفى منهم.

تجرأت يُمنى اليوم في حديثها مع سليم وسألته عن وعده لها بالزواج فأجابها بدهاءٍ قائلًا:

- عليكِ عزيزتي الانتهاء من كليتكِ أولًا حتى أثبت جدارتي بكِ عن طريق إجادتي لعملي في شركة والدتكِ السيدة أميرة وإلا وصفتني باستغلالها.

وافقت يمنى على حديث سليم دون وعي منها أنه يتهرب من تلك الخطبة، وأنه لن يُقبِل على تلك الخطبة إلا إن كانت فيها تحقيقٍ لمصالحه، وإن لم يكن فسيكون مغادرتها هو قراره دون أدنى شعورٍ بالذنب، أحبتي القلوب لله، لكن أرجوكم لا تتهاونوا بحقها بتمسككم بمن لا يستحقون.

جلست يمنى تُفكر أتصارح والدتها بمشاعرها تجاه سليم أم أن ذلك لن يُجدي إلا بكل سوءٍ ولن تتفهم والدتها أي إحساسٍ ستبوح لها به، إنها ترغب في صداقةٍ حقيقة من والدتها، تتمنى احتواءً وحبًا، حتى وان قالت ابتعدي عن سليم فربما تشعر يمنى أن ذلك خوف أم على ابنتها؛ فتغضب قليلًا كما تفعل الفتيات ثم تعود إلى أحضان والدتها لتقول:

ـ شكرًا يا أمي لقد كنتي على صواب.

انتظرت يمنى حتى عادت والدتها من عملها في محاولةٍ للتحدث معها في أمرها، لكن ما كان من أميرة إلا تقديس بقية عملها في مكتبها على سماعها إلى ابنتها، فما كان من يمنى حينها إلا الهرولة إلى هاتفها لاستسقاء الحب من سليم، ربما لو جاءت يمنى لنا لتقول أنها كانت ترغب في صون كرامتها عن سليم ما صدقناها، وربما لو قالت أنها كانت تتمنى ألا تشعر بالوحدة والغربة رغم كل من حولها من أناس كي تغادر سليم لن نعطيها عذرها، فقط لأننا لم نقاسي التجربة نفسهاً، ليمنى ولنا الله.



"سلام على من اتخذ القرءان خليله"

ما أقسى ألا تكون مستعدًا لخوض مشاعر الفقد، فلم تكن يومًا تدرك أنك ستعيشها أو على الأقل تتجاهل منطقية حدوثها.

الأمر كان أشبه بصدمةٍ حينما خرج الطبيب من غرفة القديسة رفقا مخبرًا مؤمنة قبل انتهاء اختبارتها بأسبوعين أن المرأة التي أنقذتها من جور باريس قد لاقت ربها، رفقا التي علمت مؤمنة كيف تحب وسط كل ما تتعرض له من كره، رفقا التي علمت مؤمنة الإسلام وجلبت لها شيخًا إسلاميًا رغم أنها كان باستطاعتها توجيه الطفلة للمسيحية دون أدنى جهد، توفيت الأم الثانية لمؤمنة تاركة إياها تقاسي وحدة وغربة باريس، انهارت مؤمنة كما لم يحدث لها من قبل وغابت عن الوعي غير مصدقةٍ الذي حدث إلى أن جاءها شيخها يجبر بخاطرها ويذكرها أن تحقق لرفقا أمنيتها وأن تجتاز ما تبقى لها من اختبارات؛ فمسحت دمعها وأمسكت بالقرءان تقرأ فيه ليهدأ روعها فتركها شيخها حتى تنتهي ثم أكمل حديثه قائلًا:

- قبل أن تلقى القديسة رفقا ربها أتت لي وأعطتني ذلك الخطاب وأوصتني أن أسلمه لكِ في ذلك الوقت.

وعلى سرعةٍ منها فتحت الخطاب الذي كتبت فيه رفقا ما يلي: "**أما قبل فسلام على من اتخذ القرءان خليله يا مؤمنة فتلك نصيحتي، أما بعد وكما اعتدت أن أمسح حُزنكِ فاليوم قررت أن أزيل عنكِ وجع فراقي بمصارحتكِ يا ابنتي بما دفنته في صدري سنوات، لم أكن أستطيع أن أبحث وأدرس العلوم الإسلامية لأعلمكِ إياها وأنت صغيرة، ولم أكن أستطيع أن أحفظكِ القرءان في مهدكِ بمساعدة شيخكِ دون أن يرق قلبي لكلمات الله فيه ودون أن أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، عندي علم اليقين أن فزعكِ الأكبر اليوم خشية أن أكون قد فارقت الحياة وأنا على غير الحق، فاطمئني وكوني بخير واتخذي من الحب سلاحًا لكِ ليروض كل طرقكِ المغلقة وليفتح أمامكِ بابًا من شدة اليأس لم يكن لتتوقعي أن يفتح**".

والدتك

رفقا

أعادت مؤمنة الخطاب إلى ظرفه ووضعته في حقيبتها لتحتفظ به فهو آخر وأهم ذكرى من رفقا لها، ليعين الله قلب مؤمنة على الفراق وعلى إكمال حياتها دون من كانت سلوانها في الحياة.

بعد ثلاثة أيام من الواقعة ذهبت مؤمنة إلى اختبارها قبل الأخير باثنين لتحقق أمنية رفقا فيها واجتازته بأفضل ما يكون، لكن الأمور قلما تسير في حياة مؤمنة بالشكل الطبيعي؛ فبعدما عادتٍ إلى البيت وجدت رجلين وامرأة يجلسون بأريحية وكأن المنزل ملكًا لهم، وأول ما دخلت صاحت المرأة بها طاردة إياها دون أن تفقه مؤمنة ما الذي

يحدث تحديدًا؟خرجت مؤمنة غير مدركةٍ لشيء وأخذت تجول الطريق ذهابًا وإيابًا ودموعها سائلة دون وعيٍ منها، إلَّا أن مر بالطريق أمين فارتعب قلبه على ما رآه من منظر مؤمنَة الذي يدل على حدوث كارثة؛ فهرول نحوها مستفسرًا عن الأمر ولم تشفهِ إجابة مؤمنة حينما أوضحت له ما الذي تعرضت له فور عودتها من الجامعة؛ فاستوقفها جانبًا لحين أن يدخل المنزل ويعرف القصة وبالفعل اتجه نحو منزل القديسة رفقا فاستقبله الرجلين دون المرأة وأخبروه أنهما أولاد عم رفقا وأن المرأة التي تصحبهما هي أختهما الكبرى وأنهم ما كانوا على اتصالٍ دائم برفقا حيث أعمالهم وضيق الوقت موضحين أن مؤمنة لم يعد لديها مكانًا بينهم؛ حيث أنهم الورثة الشرعين للقديسة وعين الصواب أن ترحل مؤمنة دون افتعال مشاكل فيكفي عطف رفقا عليها طوال حياتها، فما كان من أمين إلا استئذانهم في جمع أغراض مؤمنة من كتب دراسية وملابس وغيره وهذا طلبه الأخير، وقبل أن يفعل دخلت عليهم المرأة وقالت في حسم دون أية مجوهرات، فتنفس أمين الصعداء موافقًا على ما قالته المرأة جامعًا أغراض مؤمنة ثم خرج إليها ساردًا لها الأمر بالتحديد.

ماذا على مؤمنة أن تفعل الآن؟، إنها لا مأوى ولا نقود ولا آمان لها في باريس دون رفقا، لتخرجي لهم يا رفقا وتصيحي بوجه الجميع وتقولى لهم أن فعلتهم لا تليق ببشر، ولا ترضي ربًا ولا دينًا، لتصيحى بهم أن مؤمنة لم تكن أبدًا تفكر بمالٍ ولا ورث، كل ما كانت تحتاجه الكلمة الطيبة وهم يطلبون منها الرحيل، قولي لهم أن يستخدموا إنسانيتهم في إبقاءها في المنزل لحين انتهاءها من اختبارتها، لتقولي لهم أن هناك في الحياة أشياء أهم من المال، أهي الحياة قاسية لهذا الحد أم

أن من البشر لا يهتمون إلا لمصالحهم ومن بعد ذلك فليذهب الآخرون للجحيم؟إن مؤمنة أبدًا لم تكن لتقبل بعرض أمين لأن يصطحبها معه إلى المنزل، عدم إتمام الاختبارات والمبيت في الطرقات أهون عليها من أن تدخل بيت أميرة ولو لدقيقةٍ واحدة، إنه سجن لها وليس كسجن الامتناع عن البشر بل أسوأ؛ إنه سجن الذل وإهدار الكرامة ووالله إن أي شيءٍ يهون على مؤمنة إلا أن تتنازل عن جزء من كرامتها، إنها تؤمن أن الذي يتنازل عن كرامته يفقد الحياة وهو على قيدها، وفشل أمين بذلك في تغيير قناعات مؤمنة وقد وهب الله في قلبها الحل، لقد طلبت من أمين إيصالها إلى مربيتها الأولى التي ما انقطعت عن وصلها طوال الفترة المنقضية، ولقد استجاب أمين لها لحسن حلها واستقبلتها مربيتها بأحسن ما يكون وانقضى الكابوس في مقابل تحمل مؤمنة طول المسافة بين سكن المربية والجامعة، لكن المسافات أحيانا تكون أفضل بكثير من القرب، ويكمن في البعد أحيانًا كل الخير، فدبر لنا يا الله فنحن لا نحسن التدبير.

مرت الاختبارات على خير وبدأت مؤمنة تودع كل شيءٍ في فرنسا منتوية حمل عزيمتها إلى وطنها طامحة في إثبات حقها وحق الأقليات المسلمة للعيش في سلام وأخذ حقوقهم مقابل تقديم واجباتهم كأي مواطنين عاديين في ذلك البلد.

في الليلة الأخيرة لمؤمنة بباريس وجدت المرأة التي قد طردتها سابقًا من منزل رفقا تطلب منها الحديث بعدما اعتذرت عما بدر منها سابقًا، ولخلق مؤمنة أدخلتها منزل المربية واستقبلتها بأدبٍ جم.

ثمة أشياء تجبرنا على فعل ما لم نتوقع من قبل أن نفعله، وثمة أمور نقبل بها وكنا بالسابق نفضل الموت على أن نقوم بها وهذا بالتحديد

ما حدث لابنة عم القديسة رفقا، كريستينا تلك المرأة التي أقبلت من قبل على طرد مؤمنة والموت كان أفضل بالنسبة لها من جلوس الفتاة معها لحين الانتهاء من اختباراتها؛ اليوم تأتيها معتذرة راجية إياها أن تؤجل سفرها لأن ثمة أمرًا جديدًا في أمر ميراث رفقا، وقد أوصت رفقا محاميها ألا تُفتح الوصية إلا في حضور مؤمنة، بالتأكيد لم تتفوه كريستنيا لمؤمنة بكلمة مما سبقت إلا بعد أن نفذت كل الحيل الممكنة هي وأخويها في إقناع المحامي بعدم الالتفات لحضور مؤمنة على أن يوهبونه مبلغًا لا بأس به من المال، لكن هيهات لمن عرف رفقا عن قرب أن يخونها.

ماذا على مؤمنة الآن أن تفعل؟، أترفض أن تحضر فتح الوصية لتحفظ كرامتها ولتثبت أنها لم تكن أبدًا طامعة في شيء، أم تذهب مع كريستينا لتلبية رغبة رفقا؟صمتت مؤمنة وكادت كريستينا أن تعود إلى عصبيتها لولا استئذان المحامي المتأخر في الدخول، والذي أخبر مؤمنة كم أن القديسة رفقا أوصته بما لا يقبل النقاش إلا في حضورها، فما كان من مؤمنة إلَّا أن تتوجه معهم لمنزل رفقا لترى ما الذي سيحدث؟كتبت القديسة رفقا في الوصية: كل الأشخاص ينتبهون لك فقط حين تفارق الحياة، أما قبل ذلك لا أحد يأخذ بيدك أو يشعر بك، وسيكون ذلك مُجديًا لهم إن كان هناك ما يُورث، أما عن المُفارق لطالما رغب في الوصل قبل الموت لكن هي حكمة الله، لا وقت لعتاب بقدر ما هو وقت لمصارحة، فأنا أعلم جيدًا أن أولاد عمي سيهرولون لمنزلي فور سماعهم خبري، ليس حُبًا وإنما لمصلحةِ الاستفادة مما تركته، لكن ما تركته لن يؤول لهم وحدهم؛ لقد اتخذت مؤمنة ابنة لي لتصلني بدعائها بعد وفاتي وهذا من المؤكد الذي لن يفعله أبناء عمي أبدًا، عذرًا أطلت

عليكم مقدمتي وسأطرح الآن وصيتي: "**إنني أهب نصف ثروتي لمؤمنة على ألا تنسى أن تراضي مربيتها الأولى منه، وأنا أعلم جيدًا ما يدور برأس مؤمنة وما الذي ستفعله بكل تلك الثروة، وأشهد لها باستطاعتها عليه وأؤمن على ما تنتويه، أؤكد عليكِ يا مؤمنة نصف المال ليس لكِ وحدكِ، والنصف الآخر لأولاد عمي فلا تطمعوا ولتحمدوا الله أنني لم أنساكم كما فعلتم، ولا تحاولوا اقتراف أي مكروهٍ لمؤمنة، تلك نصيحتي.**"

هرجٍ ومرج في المكان بسبب ما طرحه المحامي على مسامع الجميع، إلَّا أن مؤمنة ظلت تفكر بكلمة رفقا التي قالت فيها أنها تدرك ما الذي ستفعله بالثروة وأنها توافق عليه وأن المال ليس لها وحدها؟!، إن مؤمنة لم تفكر يومًا بأنها ستكون من ذوات المال لذا لم تفكر أبدًا إن أصبحت ثرية ما الذي عليها فعله والأكثر تعقيدًا ما الأمر الذي يجب أن تفعله مؤمنة بالمال لتُرضي به رفقا.

اتفق الجميع على إتمام إجراءات نقل الميراث في صباح اليوم التالي، فقامت مؤمنة من مجلسها مصممة على المبيت عند مربيتها الأولى فأوصلها المحامي على أن يصطحبها في الصباح، وبالفعل اكتملت الإجراءات في اليوم التالي وصممت كريستينا أن تعود معهم مؤمنة إلى المنزل، لكن المحامي صمم هو الآخر على اصطحاب مؤمنة للغذاء على أن يحضرها لهم بعد أن يقضي معها بعضًا من الوقت، ذلك الوقت الذي أخبر فيه المحامي مؤمنة أن حياتها في خطرٍ من قِبَل كريستينا التي سمعها تتحدث إلى أخويها متوعدة أن تقتل مؤمنة إن لم

تتنازل عن كل شيءٍ لها، ونصحها أن تسافر على متن الطائرة التي قد حجزها قبل تلك الأحداث بعد أن تقوم بعمل توكيلٍ له لتحويل كل ميراثها إلى مال؛ فيكون من السهل عليه بعد ذلك إيداعُ ذلك المال في حساب بنكي باسمها؛ فاشترطت مؤمنة كتابة كل ما قاله المحامي من تحويل الميراث لمال ووضعه في حسابٍ بنكي لها؛ فوافق على فعل ذلك لأنه ينوي الخير ولم يفكر أبدًا فيٍ خيانة مؤمنة تلك الفتاة التي اعتبرتها من أكرمته ابنة لها، ورحلت مؤمنة من فرنسا، وحينما علمت بذلك كريستينا كادت أن تُجن وظلت تُقسم أنها لن تترك مؤمنة مهما كلفها ذلك حتى لو اضطرت لقتل المحامي كي لا يستطيع مساعدتها فهدَّأ أخويها من نفسيتها وحذراها من فعل أي شيءٍ لذلك المحامي؛ لأنه على صلة قرابة قوية بجهاتٍ سيادية في الدولة ولن ينالها إن تسرعت إلا الموت، فلتهدأ لحين التفكير بهدوء.



" الأسوأ أن يدخل الإنسان مرحلة اللامبالاة"

نفسيته كما الأغلب يعلو عليها اللامبالاة؛ اللامبالاة الناتجة عن كمية الألم التي تعرض لها، إنه حتى لا يشعر أنه بحاجةٍ إلى الخروج من تلك الحالة، إنه تأقلم عليها وهذا الأوجع.

إن طه ابن عزيز ليس الوحيد من الشباب الذي يدخل في تلك الحالة؛ إن أغلب من يمر بوجع وطنه له حيث أحلامه المُحطمة وشعوره أنه مُهان الكرامة لا حق له في شيءٍ حتى في "**الحلم، الحب، الطموح، الأمل**"، حينها يدخل المرء في تلك الحالة التي يشعر من خلالها أن كل الأشياء واحدة وأن نهايته الموت فلِمَ الاهتمام؟!قاسي هو ذلك الشعور حين يدخل الإنسان فيه وقد يحتاج إلى أحدٍ يشعر به ليصفعه من حبهِ ويأخذ بيد المصاب ليصحو وليؤمن أن له دور في تلك الحياة رغم قساوتها.

خرج طه من المنزل متوجهًا نحو المطار ليستقبل مؤمنة التي قاربت على الوصول، انتظرها ساعتين بعد وصول الطائرة دون جدوى فرجع إلى الموظف يسأله عن خبرها لكنه لم يُفِده بشيء وكأن الأوامر الملقاة عليه هي ألا يتحدث وأن لا يعطي إجابةً شافية بخصوص مؤمنة، جلس طه مضطرًا لمدة ساعة أخرى وبعدها خرجت مؤمنة، مؤمنة التي

استقبلها الأمن كمجرمة حرب وأدخلوها غرفة للتحقيق دون أن تقترف ذنبًا سوى أنها عادت إلى وطنها، حذرها المحقق أن يكون لها شأن أو تعليق على أوضاع الأقليات التي تنتمي لهم في البلد؛ فأخذت نفسها بقوةٍ، ثم قالت بشجاعةٍ:

- إنني مواطنة كما أنت، ليس لك أن تُملى عليّ تعليماتك، أما كونك تُصنف البشر على أساس ديني فهذا كونك أنت من تحتاج لمن يعطي لك تعليمات بعدم التمييز.

استشاط المحقق خنقًا وقال:

- إننى مسئول عن سلامة الوطن ضد كل من تسول له نفسه بفعل جُرم فيه.. وإنني لست بمُجرمة لتخاف على الوطن مني، قالت مؤمنة بنفاذ صبر.. عليكِ اتباع التعليمات.

قال المحقق بعصبية وأجابت مؤمنة بهدوءٍ قائلة كما ستتبعها أنت سأفعل أنا.

مؤلم أن تتعامل وكأنك غريب في وطنك، لم تذرف مؤمنة دمعة وخرجت إلى طه قوية كما دخلت، وحاول ابن عمها أن يعرف ما سبب تأخيرها إلا أن مؤمنة غيرت الموضوع بدهاءٍ وسألته عن حال الجميع ومن موضوعٍ لآخر إلى أن وصلا بيت الجدة أليفة.

لم تبتهج أليفة منذ وفاة أولادها كما اليوم، يكفيها أنها مع أحفادها يأكلون من إناءٍ واحد، ما ينقصها سوى حمزة والتي إلى اليوم لديها أمل أن يأتيها وأن تحتضنه كما بقية أحفادها.

وقفت مؤمنة في شرفتها تتأمل المساكن ووجوه الناس الذين يشبهونها فكم اشتاقت إلى رؤية وجوه مألوفة بالنسبةِ لها، أثناء ذلك دخلت جدتها لتحاكيها عوضًا لكل السنوات التي مرت دون حديث

ولاحظت الجدة انشغال نظر مؤمنة بآثار المسجد المهجور القريب منهم؛ فذرفت دمعة ونظرت إلى جدتها التي ربتت على كتفها ونظرت إلى المسجد نظرة حزن ثم قالت:

ـ إنه محارب الذي فعل كل ذلك، لو تتذكري حادثة مريم التي صدمت الراهب غضبًا عنها فنتج عن ذلك حرق ذلك المسجد وغيره، لقد فعل مُحارب ذلك دون إنسانية، وكيف له وقد عُرف عنه القسوة على الجميع والولاء فقط لجنراله وأسرته ولا يستطيع أحد الوقوف بوجهه، آه لو أستطيع رؤية هذا المحارب الذين يحكون عنه لمرةٍ واحدة، أريد رؤية ملامح ذلك الشاب القاسي.

ورغم كل ذلك الألم الذي شعرت به مؤمنة لسماعها كلمات جدتها إلا أنها ابتسمت فور سماعها لصوتٍ عذب يتلو آيات الله، وقد اطمأن قلبها حين تلى قوله عز وجل "وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ " فاستبشرت مؤمنة بكلمات الله وسألت أليفة عن مصدر الصوت فأجابتها أنه طه ابن عمها الذي وهبه الله صوتًا ملائكيًا لكنه برغم ذلك حزين ولا يتحدث كثيرًا وحتى القرآن لا يتلوه إلا نادرًا.

ـ الحزن ولد معه كما نحن، "**قالت مؤمنة**".

ـ الحزن اختبار من الله وعلينا اجتيازه هذا هو الأصح يا بنيتي.

ابتسمت مؤمنة لحكمة أليفة التي تُذكرها برفقا رحمها الله، أثناء ذلك هاتف المحامي الفرنسي مؤمنة وأخبرها خيرًا أنه في صباح اليوم التالي سيقوم بإرسال جزء من الميراث على حسابها البنكي، والخبر

الأكثر فرحًا بالنسبة لقلبها أنه استطاع أن ينقل أوراق التحاقها بجامعة وطنها وأنها ستكمل دراستها دون اعتراضٍ من أحد.

- كيف؟!، "**سألت مؤمنة مندهشة من قبول أوراقها دون اعتراض فهي ما توقعت ذلك مطلقًا**".
- لقد تحدث أحد المسئولين الكبار من معارفي في باريس مع رئيس الجامعة وقد وافق على نقلك، وما فعلت ذلك من نفسي وإنما نفذت وصية رفقا، "**قال المحامي**".

هل شعرت يومًا بشعورين متناقضين في ذات اللحظة، ذلك الشعور الذي لا تعرف ماذا عليك أن تفعل حين تتعرض له أتبكي وجعًا أم تضحك من شدة الفرح؟ هذا هو بالتحديد ما شعرت به مؤمنة؛ لقد وقفت في المنتصف لا تدري ما هو بالتحديد الذي يجب عليها أن تفعله؛ أتسعد لأن رفقا لم تترك حتى أمر الجامعة معلقًا وأخذت فيه إجراءً أم تحزن لأنها ستدخل جامعة وطنها بواسطة؟

صمتت مؤمنة لا تدري ماذا تقول؟ ولا تستطيع وصف شعورها البائس، وحتى لم تستمع لبقية حديث المحامي لقد جال في خاطرها كل الوجع السابق الذي مرت به إضافة إلى ما يحدث لها حاليًا، للجميع الله.

الأحداث العظيمة الكل ينتبه لها سواء إن كان حبيبًا لها أو عدوًا، الكل يقف ليتأمل كيف حدثت؟، أحدثكم عن تلك الأحداث التي تتطلب شجاعة وإيمان قوي بالفعل ليكتمل، ذلك الإيمان الذي يبثه الله في قلب المرء فيخوض التجربة دون المهابة من عواقبها ودون الاستماع لكل التحذيرات التي قد يحثه من حوله خوفًا عليه أن يعرض حياته للخطر، ذلك هو بالتحديد ما أقبلت عليه مؤمنة فور إرسال

محاميها المال لها فارتدت ملابسها واتجهت نحو المسجد التي قد تأثرت لرؤيته بوضعيةٍ لا تليق به، ووقفت أمامه تتأمله مندهشة أن يجرؤ أحدهم للإقبال على انتهاك مقدسات الآخر لمجرد شعوره أن مكانة سلطته ستهتز إن لم يقم بسحق الآخر، والجدير بالذكر أن هذا الاعتقاد هو عين الخطأ فوالله ما كانت السلطة بعدم وجود الآخر وإنما بحب الآخر وتقديم أدلة أن تلك السلطة صالحة لأن تكون له وعليه.

آمنت مؤمنة أن المسجد يجب أن يقام من جديد ليكون مقرًا للصلاة وليقام به جزءً لتمريض هؤلاء الذين ترفضهم المستشفيات، متذكرة كلمات رفقا في الخطاب الذي تقول فيه:

- "**وأنا أعلم جيدًا ما يدور برأس مؤمنة وما الذي ستفعله بكل تلك الثروة وأشهد لها باستطاعتها عليه وأؤمن على ما تنتويه، المال ليس لكِ وحدكِ يا مؤمنة**"، وربطت بين تلك الكلمات وكلمات أخرى قد قالتها لها رفقا فور معرفتها بنية مؤمنة للسفر حين قالت: "**وحينما تعودين لوطنكِ ولو اتسعت لكِ الفرصة لمساعدة أبناءه بالمال والجهد فلتفعلي دون تردد، المال الذي من الممكن أن يهبه الله لكِ بين لحظةٍ وأخرى**"، إذًا حلت مؤمنة بربطها بين الأحداث ما كانت تقصده رفقا في خطابها؛ وهو أن تساعد أبناء وطنها على الخروج من أزمته، فحمدت الله كثيرًا على إفهامها كلمات رفقا التي جاءت في الخطاب والتي كاد عقلها أن يقف من التفكير في نية رفقا.

ظلت مؤمنة تبحث عن عمال لمساعدتها في الأمر لكن كلما توصلت لعامل رفض العمل حتى وإن عرضت عليه من المال أكثره؛

ذلك خوفًا من محارب الذي حذر الجميع أن يقوم أحدهم بإصلاح أي مسجدٍ قام هو بحرقه وأنهم في غنى عن الوقوف أمام محارب، إنه لا يعرف الله وليس له بالإنسانية شأن ومن الحكمة من وجهة نظرهم ألا يقفون أمام رغباته.

يأست مؤمنة ورجعت إلى أليفة مندهشة من كم الرعب الذي بثه ذلك المحارب في نفوس الجميع.

دخلت مؤمنة غرفتها تقاسي وجع تفكيرها وحدها ولم تشارك أحدًا ممن سألها عن سبب ضيقها، اكتفت بالبوح لهم عن رغبتها في بقائها وحدها فإن ذلك هو الشيء الوحيد الذي سيجعلها بخير؛ فمؤمنة كما أغلب الشباب تحب الوحدة إذا ما تعرضت للألم، وتعشق الصمت على أن تحكي لأحدهم خطبها.

يومان على تلك الحالة إلى أن جال بخاطرها أمر لعله يحدث ما ترغب فيه ويغير مجريات الأمور.

لقد عزمت مؤمنة على ابتياع آلة حديدية لتستعين بها لإزالة رواسب مبنى المسجد المحترق، وقد ذهبت إلى المبنى عازمة على تحريك نفوس الناس لمساعدتها في رغبتها وقد كان ما لها، فحينما بدأت في العمل وقف من حولها من البشر مندهشون مما تبادر به الفتاة، وظلوا على دهشتهم مدة لا تزيد عن عشر دقائق فانتفض شاب من المتفرجين وفعل مثل ما تفعل مؤمنة إلى أن اكتسبت ود أغلب الواقفين؛ فتجرؤا هم الآخرون وهدموا بعزيمةٍ وشجاعة الباقي من المسجد، وصار الشباب والفتيات الأصغر سنًا يحملون الأنقاض عازمين على تنظيف المكان ليقام مسجدًا أحسن مما كان عليه في

السابق، وبذلك كان لمؤمنة ما أرادت زيادة على كسب حب وود أغلب الموجودين لشجاعتها حين صاحت بالجميع قائلة:

- كيف تريدون الكرامة دون شجاعة، فلتقبلوا على الحياة وعلى العمل ليحترمكم الجميع.

لقد علم محارب بتحدي مؤمنة له فذهب إلى الموقع قبل أن تتركه بدقائق مخبرًا إياها بسخريةٍ أن تفعل ما يروق لها ولتتحداه لأنه هو من سيربح بالنهاية مهددًا الجميع ألَّا يُؤذن أحدهم في ذلك المسجد أو يقيم فيه صلاة وإلا لن تحمد عواقب فعلته.

أدار محارب ظهره لمؤمنة التي تحدثت بشجاعة موجهة الكلام نحوه:

- أأنت محارب؟

التفت إليها محارب ثانية متحديًا إياها بقوله:

- ومن هنا لا يعرف محارب؟

ابتسمت مؤمنة بهدوءٍ وقالت:

- أنا لا أحب أناس يدعون للكره والقسوة والعنف والدماء؛ لذلك لم أتشرف بك من قبل وإنني أتحداك لأن أنتصر عليك لأنني أدرك جيدًا معنى أن يعيش المرء في سلام وحب.

استشاط محارب غيظًا ورفع يده منتويًا لطمها لكنها أوقفته بيدها ناظرة له في شجاعة قائلةً:

- لتقتلني أفضل من أن تهين كرامتي.

ثم سخرت منه وهي تقول:

- أم أن الأوامر لم تأتِ لك بقتلي. وأثناء ذلك دق الجنرال على محارب هاتفه وأُوحى له بغضبه من توجهه لمؤمنة وعدم إطاعة أوامره بعدم تعرضه لتلك الفتاة في الوقت الراهن، ليتريثوا في الأمر لأن مؤمنة منتبهٌ لها الرأي العام وخاصة بعد إجراءات نقلها للجامعة، وأنهم بذلك صرحوا للعالم أن مؤمنة ستكون في مأمنٍ وليست في خطرٍ كما تدعي دومًا، وغير ذلك لقد انتبه لها الرأي العام بعد المحتوى الذي بثته على الانترنت لتثبت مواطنتها وغيرها في ذلك البلد، وذلك بمساعدة رفقا الراحلة، والتي قد شجعتها على هذا العمل وواصلت هي عمله؛ فانسحب محارب دون أدنى كلمة متوعدًا إياها في قلبه ألا يتركها وشأنها.

اكتمل المسجد بأحسن مما رغبت مؤمنة لكن من يجرؤ على مخالفة مُحارب؟، من يعرض حياته للخطر ومن يقول في وجه الظلم لا؟، من يثور للسلام وللحب ولاحترام الآخر؟لم تكن تتخيل مؤمنة أن الأمر سيحل بأسهل مما كانت تتوقع بكثير؛ ففي عصر يوم الانتهاء من مبنى المسجد انتبهت مؤمنة للصوت العذب القادم من المسجد مؤذنًا، اندهشت وبفرحةٍ خرجت لأليفة تقول كالطفلةِ في فرحتها:

- **"هل تسمعين ما أسمعه يا جدتي؟، إنه المسجد! هناك من تشجع ودخله وغرد بصوت الآذان فيه"**، فدققت الجدة السمع على إثر كلمات مؤمنة وقبل أن تنطق بكلمة دخلت دانة عليهما منفعلة وهي تقول: **"إنه طه"** ثم وجهت نظرها إلى مؤمنة مشيرة إليها بإصبعها مهددة ولائمة لها ظنًا

منها أنها قامت بتحريض طه على الذهاب للمسجد، وقالت منفعلة "**ما الذي جاء بكِ من فرنسا؟ أجئتي لتعرضي حياة طه للخطر؟!**".

- أي خطر! أإن يؤذن في المسجد خطر؟ إنه حق أصيل له يا دانة وعامة إنني أبدًا لم أوجه طه لأن يذهب للمسجد وإنني لا أعلم ما في نفسه وما الأمر الذي جعله يفعل هذا؟، "**قالت مؤمنة ثم حاولت تطيب خاطر دانة وأعطت لها عذرها في قلقها على ابن عمها طه وكيف لا تتلمس لها عذرًا وهي شخصيًا وعلى قدر فرحتها بافتتاح المسجد على قدر خوفها على طه من محارب، إنها بكل شكل من الأشكال لا تود أن ينتقم منها محارب في شخص ابن عمها**".

لم تنتظر دانة أية كلمة من مؤمنة وخرجت متوجهة نحو المسجد ولم يستطيع أحد إيقافها.

اعتادت مؤمنة أن تنظر للأحداث بهدوءٍ وعقل كما كانت القديسة رفقا؛ فحينما طلبت منها أليفة أن يلحقا بدانة تريثت للأمر وطلبت من جدتها أن تهدأ ليصلوا هما الأخريات العصر ومن بعدها لينتظرا دانة وطه، طه الذي من وجهة نظرها عرف طريقه واستنتجت أنه سيخرج من أزمته قريبا رابحًا، طه الذي شعرت مؤمنة أنها لو لحقت به سوف تهتز ثقته بنفسه ثانية، فالانتظار من وجهة نظرها هو أفضل شيء، فهي واثقة من استطاعته على تجاوز الأمر بعقلانية شديدة إن حدث مكروه وبالفعل أمّت جدتها للصلاة داعين الله أن يحفظ لهما طه ودانة ليعودا لهما سالمين.

خرج طه من المسجد بعد أن انتهى هو ومن اقتدوا بشجاعته والذين أوصوه أن يشكر مؤمنة التي أعطتهم الأمل في تغيير الواقع البائس إلى غيره أفضل.

خرج طه ليجد دانة منتظرة إياه بالخارج فسألها بعصبيةٍ وضيق عن سبب مجيئها إليه فاندهشت هي من عدم استطاعته فهم شعور الخوف عليه ولم تتمالك نفسها وذرفت دمعة ثم قالت:

- إنه الخوف، لطالما اعتبرت نفسي أختك الكبرى يا طه، تربينا سويًا وكبر وجعنا معًا، والآن أنت تضرب بكل ذلك عرض الحائط وتخفي عليّ أمر نيتك بشأن المسجد، إنني يا طه لا أستطيع أن أرى فيك فقدًا كما أخي حمزة.

تنفس طه الصعداء فور سماعه اسم حمزة وطيب بخاطر دانة وابتسم لها ثم قال:

- إنني لن أنسى ما سردوه لنا عن شجاعة آسيا في الدفاع عن ابنها حمزة، إن آسيا فضلت شجاعة الموت على فقد ابنها، ولقد وجدت ضالتي من الحياة يا دانة، إن الله لم يخلقنا هباءً، إن لكل شخصٍ فينا مسئوليته التي اختصه الله بها وعليه أن يجدها، وإنني أُفضل شجاعة الموت على فقد الكرامة، الحرية، العزة، إنني سأقابل الموت بشجاعة لكنني لن أستطيع أن أطأطئ رأسي للذل والمهانة وفقد النفس، وعلى تسليم قدري لغيري، إنني أؤمن الآن بطريقةٍ مطلقة أن الله خلقنا لنكون رموزًا للصبر على الأذى ومواجهته دون خوف، إنني أؤمن أيضًا أن ذلك المسجد سيكون سببًا فيما نشتاقه يا دانة، وإنني أحمد الله على أن

أخرجني من كبوتي بفهمي لأهمية أن نكون أقوياء بإيمانٍ عظيم بالله، ثم بقدرتنا على مواجهة كل ذلك الظلم. لن يؤمن بحقوقنا أحد قبل أن نؤمن نحن بحق أنفسنا وأن نُصلح قلوبنا وعقولنا وجيل النشء القادم، لنؤمن إيمانًا لا رجعة فيه بحقنا في المواطنة يا دانة فنحن أمة فقدت شجاعتها وتفكيرها وتقدمها ففقدت بذلك كرامتها. إن مؤمنة على حق يا دانة وعلينا أن نقف إلى جوارها لنوقف كل ظلم وعليك أنتِ الأخرى معرفة المغزى من حياتكِ يا عزيزتي.

رغم أن حديث طه مس قلب دانة إلا أنها أظهرت كل استياء حينما سمعت اسم مؤمنة، لقد شعرت أن مؤمنة جاءت لتسحب البساط من تحت قدميها وللفت الأنظار إليها، إنها القلوب والنفوس على الله العظيم إصلاحها.

عاد طه ودانة إلى المنزل وطه يتوجع من كلمة دانة له على أنهما إخوة؛ إنه لم يَرَها كأختهِ يومًا ما؛ إنه يراها رفيقته وحبيبته التي لطالما طلبها من الله، وصلا وتلهفتهما أليفة وكأنهما نجا من الموت بأعجوبة، ووقفت مؤمنة صامتة باسمة فابتسم لها طه وقال:

- "**أنا لها**".

فأجابته:

- "**وأنا معك**".



"إن عرفت دينك فستعرف كيف تصون قلبك"

هاتفته لأكثر من عشرين مرة دون إجابة منه؛ فدخلت في نوبةٍ من البكاء في غرفتها دون أن يشعر بها أحد، إنها متعلقة به للحد الذي تكره يومها بدونه، وهو لا يعي مفهوم امرأة تحبه لتلك الدرجة، وهي لا تؤمن بمنطقية أنه إذا أحب أحدهم إحداهن فسيفعل المستحيل لأن يقترب منها، ولن يُدخلها في تلك الحالة التي تشك فيها ولو للحظةٍ أنه من الممكن أن يفارقها، ليتها يمنى تقترب من دينها لتعرف كيف تصون قلبها وكرامتها.

الأدهش من ذلك عندما أخبركم سبب اختفاء سليم تلك المرة؛ ففي ذلك اليوم وفي الشركة وكما اعتاد جلس يحتسي فنجانًا من القهوة في كافيتريا الشركة قبل بدء عمله؛ فباغتته أماليا صديقة أميرة وشريكتها ساحبة الكرسي المقابل له جالسة عليه وهي تقول:

- فلتقبل أن أحتسى معك القهوة اليوم.

اندهش سليم فهل ما تطلبه أماليا حقيقي؟ أهي تجلس معه الآن؟ أترغب أن تحتسي القهوة معه؟

سليم به من الذكاء ما يجعله يدرك أن الأمر لن يقتصر على طلب أماليا في الجلوس معه وأن أماليا تريده في أمر أعمق من ذلك ويخصها شخصيًا ولا تريد أن يكون هناك وسيطًا بينها وبين من سينفذ الأمر.

صمت سليم وتحدثت أماليا ثانية قائلة:

- أفطن أن بك من الذكاء لتعرف أنني أريدك في أمرٍ ما لكن أعدك أن المهمة ستكون أسهل مما تتخيل وسيكون ربحها أعلى مما تتوقع فقط عليك مقابلتي في السادسة مساءً بمنزلي.

وبعد تلك الكلمات قامت من مجلسها تاركة له الكارت الخاص بها على الطاولة مبتسمة له راحلة بكل ما امتلكت من ثقة.

وكأن طاقة الحظ فُتحت لسليم، سيكون بالقرب من أماليا وسيكون هناك قريب من المال، ذلك هو الأمر الذي ما توقعه أن يكون بكل تلك السهولة، إنه سابقا ما وجد طريقًا لأماليا فتركها واتجه لطريق أميرة عن طريق تقربه من يُمنى وبعد كل ذلك تأتي له أماليا على طبقٍ من ذهب.

ونسي يُمنى كأنها لم تكن ورأى مكالماتها فتجاوزها دون أدنى شعورٍ بالذنب، وفي السادسة مساءًا كان في منزل أماليا بكامل هيئته، واستقبلته الأخيرة بودٍ ولم تتأخر في إخباره بالأمر الذي ترغب به، وبصراحةٍ شديدة قالت له وهما يحتسيان كوبين من الشاي:

- صادفتك يومًا مع يُمنى ابنة أميرة، ولقد حدثت نفسي حينها أنها ربما تكون معرفة عابرة، لكن القدر جعلني أراك معها ثانية فلفت نظري الأمر، ولن أخفي عليك لقد راقبتك بعناية وعلمت كم أن يمنى متعلقة بك وتحبك بكل ما تمتلك من عاطفة، وأعتقد أنك لا تهتم لهذا، ولكن ما يعنيك هو

الوصول لشيءٍ آخر من خلال ادعاء الحب، وهذا قد أحترمه لأنك شخص تعرف ما الذي تريده بالتحديد، وتفعل كل ما في وسعك لتنفيذه والغاية عندك تبرر الوسيلة كما عندي.

ورغم قسوة كلمات أماليا إلا أن سليم لم يعترض بل إنه افتخر بنفسه لإعجاب أماليا بطريقة تفكيره التي استنتجتها وكان استنتاجها في محله، صمت سليم وانطلقت أماليا بسؤالها:

ـ ما رأيك بشراكتي؟

ـ شراكتك! إنها شيء رائع لكن من أين لي بها؟ "**أجاب سليم**".

تنفست أماليا الصعداء ثم قالت:

ـ إنني أكره المنافقين الكاذبين وهؤلاء السود على حدٍ سواء، وإنني لم أتخيل يومًا أن تكذب عليّ أميرة بشأن أن الطفلة التي قد رأيتها تلهو مع ابنها كانت مؤمنة ابنة أختها ولم تكن ابنة المربية، وتلك هي الحقيقة التي اكتشفتها حينما وجدت تلك الفتاة شخصية مشهورة على مواقع التواصل الاجتماعي تناضل من أجل حقوقها في المواطنة وأمثالها؛ فاندهشت للأمر وبحثت حتى جاءني الحق، وإنني لست امرأة تترك حقها للأغبياء، وإنني أعقل من التسرع في الأمر فلم أفعل شيئًا حينما أدركت الأمر، إنما تريثت ففي المهل الوصول للرغبة، إن أميرة حريصة ورغم شراكتنا فإنها لا تدع أوراقها الخاصة في الشركة، بل في خزينة خاصة في بيتها، أعرف جيدًا أرقامها السرية بعد جُهدٍ بالغ، ولقد طبعت بصمة إصبع أميرة وهذا سيسهل الأمر تمامًا لفتحها وأخذ الأوراق التي

أرغبها فقط لأزعجها بها كما أزعجتني هي سابقًا بكذبها، وهنا تأتي مهمتك؛ ففي يوم السبت القادم سنكون مدعوين أنا وأميرة لعشاء عمل وفي ذلك اليوم يخرج آدم مع أصدقائه، وأما أمين فقد اعتاد أن يذهب لصلاته ويجلس لقراءة كتابه مع شيوخه وهذا أمر أنا مُطمئنة له تمامًا ولن يتبقى في المنزل سوى يُمنى، وتلك مهمتك، أريدك أن تُخرجها وتسعدها وتتناول معها العشاء في جو رومانسي، وسأدخلك شريكًا معي بنسبة خمسة في المائة مقابل أن تنسى ذلك اليوم نهائيًا.

- خمسة في المائة مقابل ذلك الأمر البسيط! "**تساءل سليم**".
- لا، ليس هذا فقط إضافة أن تأتي لى بالأوراق من الخزنة وأنا أعلم جيدًا أن حب استطلاعك لن يجعلك تتجاوز معرفة ما في الأوراق، وستعرف ما بها وهذا ما أريدك أن تنساه وكأنك لم ترَه، "**قالت أماليا**".

لم يفهم سليم كيف له ذلك وهو سيخرج مع يمنى وهذا ما أفهمته له أماليا بعد أن جعلته يوقع على شراكته في الشركة واحتفظت هي بكامل الأوراق حتى يأتيها بما كلفته به.



"وجعًا أن نتشبث بهم رغم كل مساوئهم"

باغتها بمهاتفتها وهي ما اعتادت منه كرمًا كهذا، هو أبدًا ما بادرها بالحديث واليوم السبت يبادرها قبل حتى أن تستيقظ من نومها، أدهشتها طريقته في معاملتها إنه يعبر لها عن اشتياقه، عن حبه العظيم لها، واستقبلت هي كلماته بكثيرٍ من الأمل في أنه تغير وأنه لا يستطيع مغادرتها، وبعد كل كلمات الغزل واعدها على لقائها في السابعة مساءً وبدون تردد وافقت يُمنى متشبثة بأي طوق نجاة لدعم علاقتها بسليم.

جالسها سليم في السابعة مساءً واعدًا إياها أن تكون زوجة له بأقرب ما يمكن، عاهدها بكلماتٍ من غدر ألا تكون لغيره، وداهمها بكلمات لم تستطع بعد سماعها إلا أن تكون تحت سيطرته واضعة عقلها جنبًا غير مفكرة في تغير معاملة سليم المفاجئة لها.

تناولا سويًا وجبة العشاء وأثناء ذلك ارتخت يد يُمنى تاركة الشوكة غصبًا عنها وقد غابت عن الوعي، الوعي الذي تعمد سليم غيابه عن يمنى عن طريق جرعة من الدواء تؤثر في انخفاض الضغط في الطعام منفذًا بذلك لأوامر أماليا.

أخذ سليم يمنى في سيارته قاصدًا منزلها وأخرج من حقيبتها مفتاح المنزل داخلًا إياه تاركًا يمنى في السيارة كما هي قاصدًا غرفة

أميرة التي بداخلها خزينتها الخاصة مستعينًا بالأرقام السرية والبصمة التي سلمتهم له أماليا قبل العملية بيوم واحد آخذًا كل ما في الخزينة من أوراق مُرجعًا غلق باب الخزينة كما هي، ثم عاد إلى يمنى مصطحبًا إياها لأقرب مستشفى وهو يعلم تمام العلم أن الطبيب سيقول أنه انخفاض في الضغط، وبالفعل نال سليم ما رغبه ونجح في إقناع يمنى بعد إفاقتها كم هو عاشق لها ولم يتحمل عليها سوءً لائمًا إياها أنها لا تأخذ حرصها على صحتها، ورغم شعورها بالتعب إلا أن كل ذلك زال حينما شعرت بكم خوف سليم عليها، والتي لا تعلم أنها مجرد وسيلة لتحقيق غاياته وإبعاد الشبهات عن نفسه.

وللأسف معظم الذين يعيشون قصة حب هم في الحقيقة مغيبون عن التفكير المنطقي، فلو أن يمنى استخدمت عقلها لثوانٍ معدودة ما أعطت مشاعرها بالكلية لشخصٍ لا يعي قداسة الحب ولا مفهوم امرأة وضعت قلبها وثقتها بين يديه.

مضى اليوم في منزل أميرة كأن شيئًا لم يكن، حيث أن أميرة بعدما رجعت استلقت على فراشها غير مدركةٍ كم الخطر الذي وُضعت فيه في لحظة، بل على العكس تلك الليلة باتت وكأنها من أكثر الأناس انتصارًا وتحقيقًا لأحلامها، تلك الأحلام التي فضلتها على القرب من فتاتها.

في صباح اليوم التالي عادت يمنى لوجع الإهمال والشك في مصداقية حب سليم لها، سليم الذي أغلق جميع وسائل الاتصال بيمنى دميته التي يستخدمها ويهجرها ويرجع لها وقتما يشاء ضامنًا قبولها برجوعه لأنه ضمن بقاؤها.

وفي مساء نفس اليوم وفي موعد تسليم سليم الأوراق لأماليا والتي عرف من خلالها أن شركة أميرة وأماليا متورطة في بيع الأعضاء البشرية بطرقٍ غير شرعية وأن حجم تلك المعاملات كبير جدًا، وبذكاء فهم سليم أن أماليا بتلك الأوراق ستقصي أميرة بعيدًا جدًا عنها طمعًا في كل ذلك لنفسها مع إلقاء خمسة في المائة لسليم كشحاذٍ يقبل بأي شيء، استشاط سليم غيظًا وهدد أماليا أن يسلم الأوراق للشرطة بدلًا منها إن لم تزد نسبة شراكته.

ظلت أماليا هادئة كما هي تنفث دخان سيجارتها وكأن سليم لا يقول شيئًا؛ فقتلته أكثر بكبريائها وثقتها في نفسها، وبعد أن توقف سليم عن الحديث قررت أماليا أن تتحدث صافعة إياه أنه تحت طوعها ولا يستطيع عمل شيءٍ دون رغبتها موضحةً أنه قد وقع على عقد الشراكة بتاريخ سابق لذلك اليوم الذي التقيا فيه، إضافة إلى توقيعه على بعض الأوراق التي تدينه وتورطه في شراكته ببيع الأعضاء معها وعليه أن يهدأ ليستطيع أن يكسب وإلا خسر كل شيء.

تماسك سليم فأخبرته أماليا أنه في حالة مغادرة أميرة للبلاد فسترضيه بأفضل ما لم يكن يتوقعه وإثر ذلك الوعد هدأ سليم تمامًا منتظرًا رحيل أميرة.

بعد ذلك بيوم واحد استقبلت أميرة على بريدها الإلكتروني رسالة مجهولة المصدر مفادها التالي:

"العربية أميرة / لا تحية ولا سلام... ليس أمامكِ سوى الاختيار بين حلين بعد الاطلاع على الأوراق المرفقة مع تلك الرسالة فإما الهجرة إلى بلدكِ الأصلي وإما السجن وأنا أفضل لكِ الحل الأول."

فرنسية لا تحب أصلك

كادت أن تُجن أميرة عندما اطلعت على الأوراق المرفقة وهرولت نحو خزينتها لتصدم أن أوراقها الخاصة اختفت فهرولت نحو الهاتف لتتواصل مع آماليا التي كانت تعتقدها نجدة، وبخبثٍ ودهاء تحدثت أماليا إلى أميرة وكأنها صديقتها المخلصة التي تحاول إنقاذها وأوضحت لها عبر حديثها أن أمرها في خطر وعليها ترك البلد بأسرع وقت، لكن أميرة استقوت قلبها ورفضت أن تنصاع لتهديدٍ مجهول المصدر؛ فلو كان يريد إبلاغ الشرطة لفعل دون مقدمات، وإثر قرار أميرة اندهشت أماليا من صلابة أميرة لكنها لم تيأس وهاتفت سليم وأفهمته دوره الجديد.

بعد ذلك الحدث بثلاثة أيام وحينما شعرت أماليا أن أميرة بدأت في نسيان الموقف أعطت الإشارة لسليم لتنفيذ ما أمرته به.

وبموعد حدده سليم مع أمين زوج أميرة كانت الدهشة بالنسبةِ ليمنى التي صادفت سليم وهو يخرج من الشركة التي يعمل بها والدها فاستوقفته؛ فامتنع هو عن الوقوف وقال لها وهو يتجه نحو سيارته:

- "**أنا لا أتزوج من ابنة تاجرة الأعضاء البشرية**".

صفعها بتلك الكلمات بعدما باغت أمين من قبلها بإخباره بحقيقة زوجته موثقًا حديثه بتقديم صور من الأوراق التي حصل عليها من خزينتها.

الأمر الذي جعل أمين يسقط مغشيا عليه من هول الموقف وأنتم أدرك بشعور رجل تحمل زوجته بما يكفي ثم لم يجد منها إلا خيبة، تلك الخيبة التي ما توقع حدوثها يومًا أبدًا.

جال في رأس أمين كل الخيبات الصغيرة التي تسببت فيها أميرة منذ زواجهما إلى تلك الخيبة الكبيرة التي كسرته كما لم يحدث له من قبل.

الطمع وحب المال أفسد فطرة أميرة، وما جمعته بمعاناة البشر عليها أن تفقده، ذلك هو ما جال بقلب أمين بعدما أفاق من صدمته مباشرة متذكرًا التوكيل العام الذي قامت بعمله أميرة له منذ عشرة أيام ليتصرف ببيع قطعة أرض لعدم توافر الوقت لديها ولم تقم بإلغائه، وحسم أمين موقفه وسحب كل أرصدة أميرة البنكية في يوم واحد وعلمت أميرة بذلك الأمر قبل أن يتصرف أمين في أمر الشركة، وكانت المواجهة التي باغت فيها أمين زوجته بأنه يعرف بأمر متاجرتها في الأعضاء البشرية، وداهمته هي بعدم حيائها مما فعلته واعترافها الصريح أن كل ما يقوله لها هو من باب الصدق، والمفاجأة التي قضت على أمين نهائيًا أن أميرة صدمته بأنها تأتي بالأطفال العرب المسلمين الذين يعيشون في حرب دائم فتخلصهم من الحياة، فمن وجهة نظرها أن الموت مصيرهم سواء اليوم أو الغد، الأمر الذي أقنع أمين أن ما فعله هو عين الصواب وكادت أميرة أن تجن ليبوح لها أمين عما فعله بالمال لكنه لم يتحدث أبدًا.

كلمات أميرة جاءت صادمة على أمين الذي داهمته أزمة قلبية فور اعتراف زوجته بالحقيقة الأكثر وجعًا؛ فمات حسرة على حب امرأة لا تعرف في الحياة سوى حب المال وحرمت على نفسها معرفة الله.

توفى أمين وظلت ابنته يُمنى صامتة ولم يلحظ صمتها وعدم تعليقها على الأحداث أحد، لم يلحظ خيبتها أقرب الناس إليها فكيف لحبيب لها أن يبقى؟!!، ظل آدم يضرب الأرض اعتراضًا على موقف والده في تصرفه بكل أرصدة أميرة البنكية وهو يعلم تمام العلم أن أمين لم يكن لديه بمثل ما مع أميرة، وحتى ذلك القليل لم يجدوا له أثرًا في البنوك، ونحى آدم الحزن على أمين جانبا وفعلت أميرة نفس الشيء من قبله، وظلا يفكران في حل مثالي لأزمتهم فلم يجدا سوى أن تذهب أميرة لأماليا التي لم تعرف حقيقتها إلى الآن لتناقشها في الوضع خاصة بعد توترها باستلامها رسالة ثانية مجهولة المصدر على بريدها الإلكتروني مفادها:

"إلى العربية أميرة /... **غباؤكِ تلك المرة أفقدكِ أرصدتكِ البنكية وزوجكِ، إن لم تسرعي في الرجوع إلى بلدكِ ستجدين نفسكِ بين ليلة وضحاها من سكان السجن.**"

فرنسية لا تحب أصلك.

فارتبكت أميرة كما لم يحدث لها من قبل وخافت من الرسالة أكثر مما فعلت مع الرسالة الأولى، وضاق صدرها بذلك الشخص الذي يتخذ إجراءات فعلية ضدها، وأن تهديده يحوله إلى فعل إن لم يجد منها نتائج ترضيه فيكيفه إخباره لزوجها بالأمر وخسارتها المادية الفادحة؛ فالذي يفعل ذلك لن يتردد في الخطوة القادمة على إقباله لإدخالها السجن لتترك حينها كل أمل في إعادة مجدها المادي السابق، وعلى إثر ذلك ذهبت إلى أماليا ووضعت كل مخاوفها أمامها وشجعتها المرأة التي من المفترض أن تكون صديقتها على الرجوع لبلدها لحين أن

يتضح الأمر مقترحة عليها أن تقوم بعمل توكيل لها على أن ترسل إليها مستحقاتها المادية كل شهر وليتوقفا عن عملهما الغير مشروع في الأعضاء البشرية لحين فهم الأمور كافة.

اقتنعت أميرة بما قالته أماليا بالكامل وفي أقل من عشرة أيام طرقت أميرة وأبنائها بيت أليفة لتفتح لها الباب مؤمنة لتُدهش كما لم يحدث لها من قبل.



"الخذلان هو ألا ينتبه أقرب الناس لوجعك"

شتان بين مقابلة مؤمنة لأميرة وأبنائها وبين ما فعلته أميرة بها في فرنسا، لكن مؤمنة غفرت كل شيءٍ حينما علمت أن أمين قد توفى، وحينما صدقت حديث أميرة بأنهم خسروا أموالهم في علاج أمين ولم يعد لهم مكان ولا أهل بفرنسا؛ فلجأوا إلى ذويهم، وبكت مؤمنة على أمين بكاء الفقد على رجل أعانها يومًا على غربتها، واستقبلتهم خديجة وأليفة بأحسن مما توقعتْ أميرة بكثير، لكن ما أفسد على أميرة ذلك الاستقبال هو أنه أثناء جلوسهم على مائدة الطعام همس طه في أذن مؤمنة وهو يشير ببصره نحو يمنى:

- أهي بكماء؟
- لا أستطيع حقيقةً معرفة ما حدث لها، من الجائز أن يكون صمتها ناتجًا عن حزنها على أمين، "**قالت مؤمنة همسًا**".

لكن دانة بجرأتها المعتادة لم تنتظر لمعرفة الأمر بهدوءٍ بعدما فهمت ما يدور بالتحديد بين طه ومؤمنة وسألت دون حياء:

- أأنتي بكماء؟

انزعج الجميع من أسلوب دانة محاولين إسكاتها ودُهشت أميرة من السؤال منتبهةً أخيرًا إلى ابنتها الصامتة، قام آدم من مجلسه متجهًا

نحو يمنى وهو يهز كتفيها مترجيًا إياها أن تنطق بكلمةٍ واحدة دون فائدة؛ فيمنى فقدت النطق منذ ذلك اليوم المشؤم الذي قابلت فيه سليم، وأخبرها بحدةٍ أنه لا يليق بابنة تاجرة الأعضاء البشرية.

مؤسف ألا ينتبه لوجعك أقرب الناس إليك وخذلان كبير لمن ينتظر منك اهتمامًا في أصعب أوقاته ولا يجد سوى الخيبات والصدمات فوق صدمته.

بكت أميرة غير متذكرة كبرياؤها الملازم لها في محاولةٍ منها لاحتضان ابنتها التي رفضت ذلك مهرولة نحو غرفة مؤمنة ودانة والتي ستشاركهن فيها.

لم تترك مؤمنة يمنى تقاسي وجعها وحدها، ودخلت الغرفة لتطيب خاطر الفتاة فربتت على كتفها وقالت:

عليكِ أن تكوني صلبة في مواجهة الحياة وأن تدركي جيدًا أن الله العظيم سيعوضكِ بخير لم تتخيلي يومًا أنه سيصيبكِ فالله العظيم صدق حين قال:

- "إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا".

وعلى الرغم من أن مؤمنة كان لديها رغبة في الجلوس مع يمنى إلا أن الأخيرة فضلت أن تجلس وحدها؛ فخرجت مؤمنة احترامًا لرغبتها واجدة طه في مواجهتها يسألها عن حال يمنى وانزعج أكثر حينما أخبرته مؤمنة أن يمنى ليست على ما يرام، ويبدو أن الأمر لا يتعلق فقط بفقدها لأمين.

- لها الله، "**قالها طه قبل أن يترك مؤمنة ليلحق بصلاة العصر في المسجد**".

صلت مؤمنة هي الأخرى العصر وجلست تقرأ ما تيسر لها من القرآن الكريم لتقاطعها أميرة لتسألها:

- ما القوة التي جعلتكِ تقابلينني بودٍ رغم أنني أعلم جيدًا أنكِ لا تحملين حبًا لي ولم تنسِ معاملتي لكِ، والأدهش أنني فهمت من حديث أليفة وخديجة أنكِ أخبرتيهم أن جلوسكِ عند رفقا كان بناءًا على رغبتكِ أنتِ.

تنهدت مؤمنة ثم ابتسمت بعفويةٍ وقالت:

- إنني لا أحمل في قلبي لكِ كرهًا، لقد كان عدم ودكِ لي هو الشعاع الذي جعلني ابنة للعظيمة رفقا، كما أنكِ لستِ أسوأ من سجانين "**ينلسون مانديلا**" الذين سامحهم في مشهد عظيم لحظة مغادرته للمعتقل.

صمتت أميرة أمام رد مؤمنة المفاجىء لها وقامت من مجلسها وهي تلعن الظروف التي جعلتها تلجأ لذلك البيت التي تسكن فيه مؤمنة وأقسمت على نفسها ألا تترك فرصة لتعود إلى فرنسا وإلى مجدها المادي.

وطيلة سبعة أيام بعد ذلك الحدث تحاول فيهم أميرة الاتصال بأماليا لتطمئن على الوضع هناك، حتى أجابتها في مساء اليوم السابع لتصفعها أماليا أنها اضطرت إلى نقل حصتها في الشركة باسمها لأن الوضع ليس في صالحها؛ لقد حُرر ضدها بلاغًا لكونها تاجرة أعضاء بشرية والأمر قيد التحقيقات، ومن المحتمل أن يصدر ضدها حكمًا غيابيًا وهذا بالتحديد ما جعل أماليا تنقل ملكيتها في الشركة باسمها حفاظًا عليها.

سمعت أميرة تلك الأخبار وشعرت بالعجز لأول مرة في حياتها، العجز عن فهمها كيف وصلت بها الأمور لتلك الدرجة وكيف لحياتها أن تنفرط من بين يديها في فترةٍ وجيزة كتلك، هي لم تتخيل يومًا أنها ستغيب عن فرنسا غصبًا عنها لفترةٍ قد تمتد للعمر كله، وظلت أميرة تضرب برأسها الحائط وتقسم على نفسها أن تفعل المستحيل لتفهم الأمور لتعود إلى فرنسا ولتنتقم ممن كان السبب في ورطتها فور معرفتها به.

في المساء دخل آدم غرفة مؤمنة دون استئذانٍ فانزعجت مؤمنة لتصرفٍ أحمق كهذا وكادت أن تتشاجر مع آدم الذي لا يبالي بضيق مؤمنة، ولولا تدخل يمنى في الأمر بنظراتها التي تترجى مؤمنة أن تتنازل عن موقفها لما سكتت مؤمنة، المهم أن آدم أخيرًا نطق بما أتى لأجله وقال:

ـ لا أستطيع الذهاب للجامعة غدًا، عليكِ اصطحابي إنني غريب عن هنا.

ـ جامعة! أحولت دراستك إلى هنا؟ "**سألت مؤمنة**".

ـ ماذا ترين؟!، "**أجابها آدم بسخرية**"

تلك السخرية التي جعلتها ترفض طلبه نهائيًا بعدما كانت مترددة في قبوله شريطة أن يصطحبا يمنى لتعرف هي الأخرى طريق جامعتها.

عليك أن تعتمد على نفسك. "**قالت مؤمنة ثم أغلقت باب الغرفة وهي تُعبر عن استيائها لطريقة آدم وكانت الدهشة لها حين باغتتها دانة بقولها:**

ـ **لم يحدث ما يستدعي لكل تلك العصبية منكِ**".

- وماذا عن قول الله العظيم: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"، إنه لم يطبق كلام الله ولم يحترم حرماتنا.
- إنه قريب لنا، "**قالت دانة وهي تجادل**".
- في ماذا تجادلين يا دانة؟! أنسيتي قول الرسول صلي الله عليه وسلم حين جاءه رجلٌ فقال: "**أأستأذن على أمي؟ فقال له: "نعم أتحب أن تراها عريانة؟ فقال لا، قال: "فاستأذن عليها**"، وروى الطبري عن طاووس قال: "**ما من امرأةٍ أكره الاطلاع على عوراتها من ذات محرم**". فما بالك أن آدم ليس من محارمنا.

الأوجع من ذلك أن دانة لم تعر وزنًا لحديث مؤمنة وخرجت من الغرفة قاصدة آدم قائلة له:

- لا تغضب من مؤمنة إنها دومًا تعطي الأمور أكثر من حجمها.
- وماذا عنكِ؟

قال آدم وهو ينفث سيجارته في وجه دانة التي تمايلت عليه وهي تهم للقيام من مجلسها وأدارت له ظهرها وهي تقول:

- عليك أن تفكر قليلًا لتفهم.
- ليفهم ماذا؟

تساءل طه الذي انفعل على دانة لرؤيتهِ تمايلها على آدم فأحكم مسك ذراعها وظلت هي تترجاه أن يتركها ففعل بعد أن أمرها بحدةٍ أن تدخل غرفتها، واتجه طه نحو آدم يعنفه لكن الأخير لم يخضع لعصبية طه وقال بثقةٍ وكبرياء:

- هي التي خرجت من غرفتها وجاءتني، أنا لم أطلب منها شيئًا.

ثم ربت على كتف طه وهو يقول:

- عليك أن تحلل الأمور كما هي عليه وليس كما ترغب أنت أن تكون عليه.

أسكت آدم طه بكلماته فهو صدق حديثه في أن المُخطىء الأول في ذلك الموقف هي دانة التي سمحت أن تضع نفسها في ذلك الموقف ولم تعف نفسها كأية فتاة مسلمة عفيفة ونسيت قول الله عز وجل: "**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**".

دخل طه إلى غرفته مستاءً مما بدر من دانة، دانة التي لم يرَها يومًا كأخته كما هي، فهو يراها حبيبته التي يتمنى أن تكون يومًا زوجته ورفيقته حتى الجنة، ولقد غار عليها في ذلك اليوم كما لم يبين ذلك من قبل، وجلس وفي رأسه ألف سؤال؛ فيا ترى لماذا فعلت دانة ذلك أحبًا في آدم، أم أنه الشيطان سول لها ما فعلته، أم أنها لا تقصد سوى تطيب خاطر فرنسي غادر فرنسا غصبا عنه؟إن طه في السابق وقبل أن يعمل بالمسجد كإمام وخطيب لم يكن لديه هدفًا وكان يؤمن أنه لا يصلح لشيءٍ حتى للحب، لذلك لم يبُح لدانة بشيءٍ عن مشاعره وظل كاتمًا لها، وبعد أن حدد هدفه من الحياة وأفاق لنفسه علم أنه ليس من الدين أن يواعد دانة سرًا وأن عليه الصبر حتى يستطيع الزواج منها فلا يستميل قلبها بكلمات الحب حتى لا يفعل بهما الشيطان الأفاعيل؛ فلا يرى منها سوى جسدها فعف نفسه عنها وعفها بكتمان حبه لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.



"شبه رجلٍ من وعد فأخلف ولا يستحق أن يكون في ذاكرتنا"

لم تكن مؤمنة تتخيل أن يمنى حالتها النفسية متدهورة لهذا الحد، ولم تكن تعلم أن سبب تلك الحالة هو شبه رجل وعد فأخلف، لقد جعلها هشة إلى الحد المحزن، لقد اعتادت تلك التفاصيل الصغيرة بينه وبينها، تلك التفاصيل التي تهزمها كلما حاولت أن تتماسك، وتلك الذاكرة التي أصبحت معادية لها كلما حاولت نسيانه.

توقعت مؤمنة أنها حينما تسأل يمنى عن سبب حالتها أنها ستكتب لها أن السبب هو فقد والدها الموجع، أو حتى تركها لفرنسا، لكن يمنى باغتتها بالحقيقة التي كُتب فيها وهي تبكي:

- **"عدم قدرتي على نسيان سليم، إنني أتمنى أن يجيبني لأغفر له كل ما سببه لي من ألم لأعود إليه من جديدٍ وكأن شيئًا لم يكن، أو حتى لأَطلب منه أن يغفر لي خطيئة أمي"**.

في البداية لم تستوعب مؤمنة من كلمات يمنى سوى أنها وجعت بفقدها لحبيب، لكنها لم تفهم ما هي خطيئة أميرة التي تتحدث عنها، وتساءلت مؤمنة عن ذلك وكتبت لها يمنى كل التفاصيل التي أرهقتها في الفترةِ السابقة فاندهشت مؤمنة ليس لما فعلته أميرة فهي تدرك جيدًا

كم أنها امرأة قاسية يمكنها فعل أي شيء؛ لكن دهشتها جاءت لأجل يمنى فكيف لها أن تستمر ذاكرتها عالقة برجل أرهقها لهذا الحد؟، وما الداعي لأن تفقد معنى الحياة لابتعاد رجلٍ لم يحبها بصدق؟، فلو أحبها ما تركها وما تخلى عنها رغم كل شيء، وكيف تحملت يمنى تحكمه في نفسيتها لذلك الحد الموجع؟، فلو أتاح لها نفسه تملأ الأرض فرحًا، ولو ابتعد عنها فقدت كل شغفٍ في الحياة، وماذا عن فتاة اختذلت الحياة في رجلٍ وجعلت منه محورا لحياتها ورفضت كل ما عداه في الوجوده دونه؟! والله يا يمنى ما هذا هو الحب، الحب يا عزيزتي أكبر من كل ذلك الألم، الحب يجعلكِ صلبة في وجه صعاب الحياة فقط لأنكِ متأكدة أن هناك من يدعمكِ في تلك الحياة.

قالت مؤمنة ليمنى تلك الكلمات ثم احتضنتها وأكملت حديثها قائلة:

- لا تربكي سعادتكِ وأحلامكِ وحياتكِ من أجل من استباح فراقكِ فلنواجه الحياة بصلابة وشجاعة ولنؤمن يا عزيزتي أنهم لو أحبونا ما أوجعونا بفقدٍ مؤلم كهذا".

فبكت يمنى كما لم يحدث لها من قبل وهي تقول في نفسها أنتِ محقة يا مؤمنة وجوده كان مرهقا جدا على قلبي لكنه كان أهون عليّ من غيابٍ كهذا.

ورغم صلابة رأي يمنى في حزنها إلا أن مؤمنة لم تتركها إلا حينما وعدتها أن تصطحبها للجامعة غدًا لتواجه نفسها بأن الحياة لا تقف عند أحدهم.

وجاء الصباح وتركت مؤمنة يمنى عند كليتها واتجهت نحو كليتها لتفاجأ أن حرس كليتها استُبدل بمحارب.

محارب متى وكيف ولماذا محارب تحديدًا الذي يكلف بحراسة الكلية، كل تلك الأسئلة وأكثر دارت في عقل مؤمنة ولم تجد إجابة قاطعة عليها، وأخرجها من تفكيرها محارب وهو يرجع لها كارت الكلية الخاص بها وهو يقول:

- عليكِ بالإجبار التزام التعليمات داخل الحرم الجامعي.
- عليك لتصبح إنسانًا أن تؤمن أن الآخر له حق ممارسة الحياة كما أنت، ذلك هو الإرشاد الأول الذي عليك اتباعه كي يحترم الآخر تعليماتك، "**أجابت مؤمنة**".
- غبية إضافة لكونكِ إرهابية، "**قال محارب غيظًا**".

لم تجب مؤمنة على إهانة محارب سوى بابتسامةٍ خانقة وثبَّتَت عينيها بعينيه شجاعةً منها وكأنها تقول له لست بالضعف لأن أجيب على سوء أدبك بمثله، ثم أعطته ظهرها ودخلت حرم الجامعة منتصرة بثباتها الانفعالي، واستخدام أخلاقها مهما كان فعل الآخر لا يليق بالإنسانية لتعلمه بذلك درسًا لن ينساه طوال حياته.

في فترة الراحة بين المحاضرات اتجهت مؤمنة كعادتها إلى غرفة عاملة قد سمحت لها أن تؤدي فرضها من الصلاة هي ومجموعة من زميلاتها، وفعلت هذا كعادتها ولم تتوقع أبدًا أنها مراقبة من محارب الذي اقتحم الغرفة وأخرج مؤمنة عن صلاتها بمسك ذراعها، وحين لم تستجب له الفتاة استخدم القوة بأن قام بركلها حتى سقطت أرضًا؛ فانزعجت رفيقاتها أكثر منها وعنَّفت الفتيات محارب عدا مؤمنة التي اتخذت من الصمت سلاحًا لها ضد عدم أخلاقية محارب الذي صرخ بوجهها محذرًا إياها أن تحوّل جزءً من الكلية لممارسة شعائرها الدينية،

ولما لم تجبه أدار ظهره لها، وأثناء ذلك قالت مؤمنة بعد أن أفاقت من اندهاشها لما فعله محارب:

- لن أغفر لك تطاولك على مقدساتي ولتعلم يا محارب من اليوم أنني لن أصمت على تجاوزاتك معي بعد ذلك ولو كلفني ذلك حياتي.

فلتحرصي على حياتكِ من اليوم. "**قال محارب مهددًا لمؤمنة**"لم تُعلق مؤمنة بكلمةٍ على ما حدث مع رفقاتها وانسحبت من المشهد قاصدة منزلها، وبمنتصف الطريق صادفتها يلدس خادمة الجنرال فاستوقفتها مرحبة بها واقترحت يلدس أن يكملن الطريق معًا، فهي في إجازة لمدة ثلاثة أيام، وقبل أن تنطق مؤمنة بكلمةٍ واحدة وجدت محارب أمامها يُعنِّف يلدس على مجرد السلام عليها، وذلك هو الوقت الذي انفعلت فيه مؤمنة على الرغم أنها قلما ما تفعل ذلك لكنها تذمرت حين فهمت أن محارب يراقب كل تحركاتها ليس بالجامعة فقط، ولم تستطع صبرًا وقالت له:

- ما شأنك أنت بيلدس؟

- إنها خادمة في بيت الجنرال ومن الجنون أن تقف مع مسلمة مثلكِ.

بكبرياءٍ قال محارب الذي أمسك بيد يلدس ليأمرها أن تسير وحدها وإلا فإنها لن تتحمل العقاب؛ فنزعت مؤمنة يد يلدس منه وربتت على كتفها ونصحتها أن تذهب للمنزل لأنها ستتأخر، وفعلت يلدس ما قالته مؤمنة خوفًا من محارب وليس تصديقًا لحديث مؤمنة التي تعلم جيدًا أنها ما قالته إلا لخوفها عليها.

وبعدما رحلت يلدس حذرت محارب الواقف بعظمةٍ وقالت:

ـ إياك أن تراقبني بعد اليوم.

ـ من أنتِ لتحذرينني؟!

قال محارب وهو يقترب من مؤمنة بسوء أدبٍ ليأخذ منها ما يستطيع غصبًا؛ فلكمته بقوةٍ في بطنه، ورغم قوته إلاً أن حجرًا سكن الأرض اعترضه من أن يتماسك ولا يسقط أرضًا؛ وانزلق ووقع أرضًا فتركته مؤمنة واتجهت نحو منزلها وهي تبكي في قلبها لمرارة ما تعيشه وما يعانيه الأقلية المسلمة في بلدٍ من المفترض أنها تكون موطنًا لهم، ودخلت المنزل وعزلت نفسها عن الجميع تفكر بجدية فيما يجب عليها أن تفعله ليحترم وطنها حريتها وإنسانيتها وقدسية دينها، دينها دين السلام والرحمة والعدل يهينها به محارب الذي لم يتعلم كيف يتعايش مع الآخرين، وتبكي لمن مر بتلك التجربة وشعر بغربته رغم أنه في وطنه الله.



"عنادك عجيب مع قلبك، إنك تحبها فكيف لك أن تتركها وأن لا تفعل المستحيل لتكون بقربها؟، كيف لك ألا تتقدم نحوها بوضوح؟، لمتى ستظل كاتمًا لحبك العظيم لها؟، ولأي وقتٍ ستؤجل الأمر وتستهلك قلبك بعدم البوح عما تكنه لها من مشاعر؟، ومتى ستتخذ من الشجاعةِ موقفًا لتبوح لها في الإطار الذي لا يُغضب الله بِحُبك"، ذلك هو حديث طه النفسي، إنه رجل يحب بكل صدقٍ ويتمنى أن يعيش عمرًا فوق عمره مع دانة، وذلك اليوم امتلك شجاعة البوح للجدة أليفة بما يدور في قلبه نحو ابنة عمه وكم أنه سيكون أثرى الرجال سعادة في حالة موافقة دانة على القرب منه ورحبت أليفة بما طرحه طه واعدةً إياه أن تتحدث في الأمر مع سعاد زوجة ابنها رحمه الله، ووفت الجدة بوعدها وتحدثت إلى زوجة ابنها في الأمر والتي رحبت جدًا بما قالته الجدة واستدعت دانة لأخذ رأيها وكانت الدهشة ليست فقط لأن دانة رفضت الأمر جذريًا على قدر أفكارها التي باغتت بها جدتها وسعاد والتي قالت:

- إنني لست بالسذاجة التي تجعلني أوافق على الزواج من طه ثم أنجب منه طفلًا بائسًا كما كل الأطفال المسلمين الذين

يولدون هنا دون اختيارٍ منهم ودون أن يدركوا حجم المأساة التي تنتظرهم في وطنهم، إننى لن أتزوج من طه لأعيش معه الفقر والحزن الأبدي، ولن أتزوج إلا برجلٍ يخرجني إلى بلدٍ آخر لأعيش حياتي كمن هم في سني، إن جمالي يتيح لي أن يلتفت لي من هم أفضل من طه بكثير، إنني أحبه كأخٍ لي لا كزوج.

- يكفي طه خلقه ثم إنه يعمل الآن بالمسجد براتبٍ محترم. "**قالت سعاد**".

- تقصدين بعض النقود التي لا تكفي لحياة عظيمة، والتي تمن بها مؤمنة عليه. "قالت دانة بحدةٍ".

تنهدت الجدة ولم تجادلها في أمر المال ولا مؤمنة ودخلت لها من مدخل آخر وقالت:

- يا بنيتي فليكفي في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**"، وطه بارك الله فيه ذا خلق ودين وتتمنى أفضل الفتيات الارتباط به.

لكن لمن تقول الجدة ذلك؟، ألدانة التي أعطت لها ظهرها وهي تقول فليذهب لإحداهن؟، حزنت الجدة كما لم يحدث لها من قبل وربتت على كتف سعاد وهي تبوح لها عن مخاوفها من أفكار دانة التي قد تؤدي بها إلى ما لا يُحمد عقباه، ثم استدعت حفيدها طه وابتسمت له ولم تطل عليه في الرد وقالت:

- إن الذي وضع بقلبك دانة هو القادر على شفاءك منها.

لم ينتظر طه كلمات أكثر من جدته؛ إنه فهم ما ترمي إليه من رفض دانة له وعدم وجود أمل ولو بسيط في الاقتراب منها وهو يعلم تمامًا أنه سيعاني وسيجاهد لوقتٍ طويل لكي يمنح حق الحياة من جديد، وحق عدم التعلق بمن ليسوا له وعليه أن يصبر ويدعو ربه أن يُثلج قلبه.

ثلاثة أيام لا يخرج فيهن طه إلى أي مكان خارج المسجد، اعتكف فيهن لله عز وجل راجيًا منه أن يخرجه من أزمته قريبًا، وألا يُعلق قلبه بمن ليسوا له، وأن يُخرجه سالمًا، ومن يستطيع غير الله أن يفعل؟!، وكما اعتزل طه الجميع فعلت مؤمنة هي الأخرى فلم تذهب إلى كليتها منذ ذلك اليوم الذي ضايقها فيه محارب؛ تفكر وتدعو هي الأخرى ربها لأن يلهمها صبرًا لما تمر به، وأن يهبها شجاعة المواجهة، وليكن الموت أحب إلى قلبها من العيش بمذلة وطنها.

دخلت الجدة لمؤمنة في الليلة الثالثة تسألها عن خطبها وعما أوحت به إليها يمنى التي عبرت لها عن قلقها بشأنها، وسؤال الجدة كان بمثابة القشة التي فتحت بركان من بكاء، واحتضنت الجدة مؤمنة لتشعر بها وبمرارة ما تمر به حفيدتها وقالت لها:

- هوني على نفسكِ يا بنيتي فلعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا.

والتقطت الجدة كتاب الله من جوارها وأعطته لمؤمنة وأوصتها به في كل أوقاتها ليثلج الله بكلماته قلبها؛ فابتسمت مؤمنة ومسحت الجدة دمعها، وأثناء ذلك سألتها مؤمنة عن طه فسردت لها الجدة ما حدث، وكان الصمت المسلك الوحيد لمؤمنة لما قالته الجدة، حيث أنه لا كلمات تليق بالموقف، لكنها وبعد أن تركتها أليفة قررت مؤمنة

أن تتحدث إلى دانة وقبل أن تبوح مؤمنة بما تود قوله استوقفتها دانة وقالت:

ـ أمر طه قد انتهى بالنسبة لي ولن أسمح لمثلكِ إعطائي النصائح؛ فأنتِ تعيشين في برج عاجي ورغم كل ما تدعين من مثالية في وطنكِ فأنتِ تمتّلكين مالاً وفيرًا، مال رفقا أنسيتيه؟، ومن حقي أنا الأخرى أن أتمتع بأكثر مما تتمتعين به أنتِ، إنني أجمل منكِ وليس من العدل أن أعيش بأقل منكِ.

بخّت دانة سم كلماتها على مسامع مؤمنة وتركتها مصدومة مما تكنه لها ابنة عمها من عداءٍ وهي التي تفكر بها وبالآخرين قبل نفسها، وظلت مؤمنة تلوم نفسها وتؤنبها فلعلها في يوم ودون قصدٍ ارتكبت خطأ ما أمام دانة وأشعرتها أنها أقل منها، واعتصَرت فكرها متذكرة كل المواقف العابرة والتي لم تجد فيها شيئًا من شأنه إثارة الغيرة في قلب ابنة عمها.

ـ ليهدي الله لكِ نفسكِ يا دانة.

دعت مؤمنة لابنة عمها بتلك الكلمات رغم ما ضاقت به نفسها من كلماتها.

أثناء ذلك وجدت مؤمنة طه أمامها يبدو عليه الوجع فربتت على كتفه وقالت:

ـ لتكن شجاعًا في مواجهة الأمر يا طه، وليكن حبك لله أعظم وحبك للوطن أكبر، لتحب بالمفهوم الكلي، لتحب نفسك وجميع من حولك دون أن تنتظر منهم ردًا لذلك، واعلم يا طه أن الله ما حرمك من شيء إلا لما هو أعظم منه.

- إنني أؤمن بكلماتكِ يا مؤمنة لكنكِ تدركين كيف حال رجلٍ يحب فيُصدم بتلك الطريقة، الأمر به شيء من الصعوبة، إنني أحببتها كما لم أفعل مع إحداهن من قبلها وأعلم أنه لا رجل سيهبها حبًا بمثل ما كنت أفعل، لكنني ورغم كل شيءٍ أعدك أن أسلم أمر قلبي لله واثقًا أنه سيحدث الخير له، طامعًا في أن يهبني نسيانها بأقرب ما يمكن وأن يطيب ما انكسر بي قريبًا غير بعيد. "**قال طه وكله ثقة في اجابة الله لما يرغبه**".

لم تستطع مؤمنة أن تتحدث إلى طه فيما انتوت أن تعرضه عليه بشأن محارب وأجلت الأمر لحين أن يسترد طه قوته وقررت أن تذهب بشجاعةٍ فمن غير اللائق أن يعيقها محارب عن أهدافها، وفي الصباح وقبل أن تخرج مؤمنة من منزلها استوقفتها يمنى لتذهب هي الأخرى إلى كليتها، لم تتخذ يمنى قرار خروجها من المنزل حبًا في الحياة أو الدراسة؛ وإنما وجعًا لكونها لا ترغب في الجلوس مع والدتها وحدها، فبعد أن علمت أن أليفة وخديجة ستذهبان إلى يلدس كي يسألنها عن حمزة، حمزة الذي ظل في ذاكرتهما إلى اليوم ولم تيأسا من الوصول إليه مهما مر الزمن، ولم تمل يلدس من إجابتها عليهما، وفي كل مرةٍ تعدهما أن تدقق النظر ثانيةً لتصل إلى أي شيء من شأنه معرفة مصير حمزة.

فرحت مؤمنة بيمنى ولم تتخيل أن الإبنة تهرب من مواجهة والدتها بما تكنه لها من وجع واختارت الانسحاب على أن تجلس في بيتٍ واحد مع أميرة التي تعتقد أنها السبب الأوحد في ترك حبيبها سليم لها، ولم تؤمن أن سليم لم يحبها منذ البداية فلو أحبها بصدقٍ لما

أوصلها لتلك الهشاشة النفسية، ولم تتخيل يومًا أنه مستغل يعشق سلطة المال على أيةِ سلطة أخرى.

هذا الصباح وأثناء سير يمنى مع مؤمنة استقبلت رسالة على حسابها الفيس بوكي، وكانت دهشتها أن الرسالة من سليم فاستبشرت خيرًا لكن سرعان ما خذلها نص الرسالة الذي أوجع ما تبقى لديها من كرامة، رسالة جاءت قاسية لا رحمة ولا إنسانية فيها، رسالة يخبرها فيها بزواجه من أماليا شريكة والدتها وصديقتها السابقة، كيف ومتى ولماذا حدث هذا ولِمَ يرسل لها؟ أما كان يكفيه تخليه عنها، لماذا يصفع مشاعرها بتلك الطريقة؟ وعلى الرغم من بشاعة ما فعله سليم إلا أنه لم يكن فعل عقله؛ إنما عقل أماليا التي علمت أن أميرة تبحث باتصالها بصديق مقرب لها بفرنسا لتصل إلى حل جذري لورطتها؛ فقررت أن تتزوج سليم بعقدٍ مشروط لمدة سنة شريطة أن يخبر يمنى بذلك فتسوء حالتها النفسية أو حتى لتنتحر لا يفرق معها، المهم أن تنشغل أميرة عن أماليا بابنتها لحين أن يصدر ضدها حكم نهائي ووقتها لن تتأخر أماليا عن إخبار أميرة بكل ما حدث تحديدًا ونالت أماليا هدفها وانتصرت؛ لقد فقدت يمنى وعيها بعد قراءة الرسالة مباشرة وارتبكت مؤمنة مما حدث كما لم يحدث لها من قبل.

حاولت مؤمنة أن تنقذ يمنى من سقوطها على الأرض لكنها فشلت واستعانت بمن حولها وكان أول من التفت إليها الدكتور كريم مصري الجنسية، جاء إلى جامعة وطنها متعاقدًا لمدة ثلاثة سنوات وهو أحد مدرسي مؤمنة والذي يعرفها جيدًا نظرًا لشخصيتها المتميزة.

- ما الأمر؟ "**قال كريم**".

- فقط لتساعدني لننقلها إلى السيارة، قالت مؤمنة وهي تنتفض خوفًا على يمنى.

وبالفعل ساعدها كريم في نقل يمنى إلى سيارة قد استوقفتها مؤمنة مسبقًا، وأثناء ذلك بدأت يمنى في استرداد وعيها جزئيًا وأدخلتها مؤمنة بمساعدة كريم السيارة، وركبت مؤمنة هي الأخرى، لكن كريم ذكرها أن لديها امتحان بعد أقل من ثلاثين دقيقة، وأنها بذلك لن تلحق به واقترح عليها أن تترك يمنى بعد أن تخبر السائق تفصيلًا بعنوان المنزل، رفضت مؤمنة ذلك الاقتراح جذريًا واعدة إياه أن تحاول جاهدة أن تعود قبل الموعد المحدد لها، وبالفعل أرجعت مؤمنة يمنى إلى المنزل الذي لم يكن فيه غير أميرة والتي تحركت نزعة الأمومة فيها فور رؤيتها ما حل بابنتها وظلت تسأل مؤمنة عن الأسباب التي أدت بابنتها إلى ذلك الوضع المؤسف إلا أن مؤمنة اعتذرت عن إجابتها على أي شيءٍ في ذلك الوقت وأوصتها خيرًا بابنتها لحين رجوعها من امتحانها المتبقي عليه أقل من ثمانِ دقائق، وبالفعل لحقت مؤمنة بوابة الكلية على الوقت المحدد لولا أن استوقفها محارب الذي شهد الحادثة كلها بما فيها حديث كريم عن تخوفه من عدم لحاق مؤمنة بالامتحان؛ فتعمد تعطليها لمدة خمس دقائق قبل أن يتركها، وهرولت من بعدها مؤمنة متجهة نحو قاعة الامتحان، عنفها كريم لتأخرها عن الموعد المحدد ثم أدخلها بعد أن أوجعها بكلماته رغم علمه أنها لم تُقصر ولم تُهمل الموعد لكن هذا هو ما تصرف به، ذلك التصرف الذي ظلت تفسره مؤمنة والتي لم تجد له تحليلًا منطقيًا.



"ليهدي الله من اتخذ سلطة المال إلاهه"

◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇

سلطة حب المال كادت تقتل كريستينا كل يوم، أنتم بالتأكيد تتذكرون كريستينا ابنة عم القديسة رفقا؛ تلك الطامعة التي لم يرق قلبها لمؤمنة وطردتها بعد وفاة القديسة دون أدنى إنسانية، إنها اليوم تعود إلى عهدها في الطمع وكاد رأسها ينفجر غيظًا حينما علمت أن محامي رفقًا قام بالفعل ببيع جزء من ممتلكات مؤمنة التي وهبتها رفقا لها، وأنه يرسل بين الحين والآخر الأموال الخاصة بذلك، وقررت أن تذهب إليه لتوقفه عما يفعله، ورغم تحذير أخويها لها إلا أنها صممت على رأيها مستعدة لأي رد فعلٍ وأقسمت ألا تترك مؤمنة حتى وإن لم تنل منها مالاً، المهم أن تنتقم ممن تعتبرها سارقة لحقها الشرعي في رفقا.

ورغم رفض المحامي "**مارك**" لمقابلتها إلا أنها صممت على موقفها إلى أن وافق على لقائها وكان لقاء بائسًا كما توقع هو؛ لقد طلبت منه كريستينا أن يتوقف عن إرسال ما تبقى من مال وألا يُكمل إجراءات بيع ممتلكاتها مقابل ربع تلك الأشياء، ورفض مارك بهدوءٍ في البداية إلى أن ألحت كريستينا عليه بعرضها نصف ما تبقى من ممتلكات؛ فغضب وانفعل وطردها إلا أنها لم تيأس ووقفت بثباتٍ غير مستجيبة لطرده لها وقالت في محاولةٍ أخيرة منها:

- أتنصر ابنة دينٍ آخر على ابنة دينك، أذلك هو ما يرضى به المسيح؟
- الأديان لا تدعو إلا إلى الحق والعدل والحب والمسيح لن يرضى بأن أجور على هبة فتاة وأن أخالف وصية امرأة لم تسيء إليكِ أنتِ شخصيًا في شيء، ارجعي إلى دينك الصحيح ستجدينه دين المحبة والعدل، طبقي دينكِ على تصرفاتكِ قبل أن تتحدثي باسمه، وأحبي الجميع وأخرجي كل كرهٍ من قلبكِ، وارضي بما وهبه الرب لكِ، قال مارك في محاولةٍ لأن يفيق ضمير كريستينا.

خرجت كريستينا غير مهتمةٍ بما قاله مارك، ووعدته قبل أن تخرج ألا تستسلم له ولا لمؤمنة مهما طال الزمن، ولم يمتلك مارك حينها سوى الصمت أمام كبرياء وقلب كريستينا الذي لا يحمل أي نوع من الإنسانية لأحد، قد تكون لا تحب نفسها فكيف لها أن تحب الآخرين؟شيطانها جعلها تستخدم ذكائها فيما لا يرضاه رب ولا بشر، أقسمت ألا تخضع للأمر الواقع، وتؤمن هي أن من أهم شروط الوصول للأهداف كفاية المعلومات لذا ظلت تبحث في أوراق القديسة رفقا عن كل شيء يخص مؤمنة، ولم تجد سوى عنوانها المسجل في إحدى الأوراق القديمة المنسية في خزانة رفقا، وظلت تتذكر أين سمعت بذلك المكان تحديدًا وأخيرًا تذكرت سامر زميل دراستها القديم والذي لم يكن لوطنه في السابق أي حب، إنه لا ديني ومن المفترض من وجهة نظر كريستينا أنه سيقف معها ضد مؤمنة المسلمة، لكن من أين لها أن تصل له؟ هاتفه القديم مغلقا لكنها لم تيأس في الوصول إليه وبحثت

عنه عبر مواقع التواصل الاجتماعي إلى أن تواصلت معه بعد ثلاثة أيام من البحث المكثف، تذكرها سامر وأبدى سرورًا لتواصل صديقة قديمة معه مما شجع كريستينا في التواصل الأول معه أن تسرد له كذبًا عن مؤمنة السارقة ورغبتها في معرفة أكبر قدر من المعلومات عنها لتصل إلى حقها، لم تكن كريستينا تعلم أن سامر اللا ديني لأبوين مسلمين، وأنه رجع لعقيدته بعدما بحث وأيقن أن الله موجود بالفطرة في قلوبنا وأن الأديان حق والأحق دين محمد عليه السلام ولم تكن تتخيل أن يباغتها سامر بإخبارها في حزم أن مؤمنة من غير الممكن أن تسرق وأنها شخصية جادة يحبها ببلدها الصغير قبل الكبير وتتسم بالشجاعة في مواجهة الظلم متمنية أن يعيش وطنها في سلام وحب، إنها تقف مع الضعفاء فكيف لها أن تظلم أو تخون والله لا أصدق هذا، ورغم إجابة سامر القاطعة إلا أن كريستينا لم تصمت وسألته من أين له كل تلك المعلومات وهو حتى لم يبحث ولم يتأخر ليفكر من هي فلعل لديه خلط بين الشخصيات.

- أبحث عمن؟، مؤمنة عبد الرحمن شخصية مشهورة يعرفها الجميع عن ظهر حب ولا أحتاج إلى الوقت لأبحث ثم لأجيب عليكِ، إنها عظيمة لتتركيها وشأنها.

أجاب سامر وأغلق مع كريسينا وكل همه التواصل مع مؤمنة لإخبارها بما حدث تحديدًا ومن حسن ظنه أنه التقى ليلتها بطه ابن عمها بعد صلاة العشاء وأخبره بكل شيء وأوصاه أن يخبر مؤمنة بالأمر، ولم يتمهل طه وهرول إلى ابنة عمه يخبرها بقلقٍ بما حدث فأخذت هي الأمر بهدوءٍ وهدَّأت من روع طه وقالت:

- إن الله العظيم لن يتركنا يا طه.

ثم ربتت على كتفه مستفسرة عن سامر وعن مدى ثقته به وأعرب طه عن حيرته لهذا السؤال ثم أجاب مؤمنة بعد صمتٍ أمام حيرته وقال:

- معرفة سطحية ويمكنني التقرب منه إذا رغبتي في الأمر.
- أرغب. "**قالتها مؤمنة كإجابة قاطعة**".

لم يكن طه يعلم ما الذي تفكر فيه مؤمنة تحديدًا لكنه يثق برجاحة عقلها ووعدها أن يفعل ما رغبت به.

أثناء ذلك الحوار دخلت يمنى عليهما بعدما استأذنت منهما، كانت شاحبة اللون أكثر مما كانت عليه سابقًا، نفسيتها لا يقدر على شفائها غير الله حيث أن الطبيب أخبرهم أن النطق لن يعود إليها إلا اذا أصبح لديها إرادة لذلك، وذلك لن يحدث إلا إذا تحسنت دواخلها النفسية، حينما دخلت أشارت لهما برغبتها في النوم، لم يتجادلا معها وتركاها لرغبتها لعلها تتحسن حينما يخضعان لما تريد، لكن ذلك الموقف أثار فضول طه لمعرفة لماذا تبدو يمنى أكثر حزنًا مما كانت عليه، لكن مؤمنة ورغم معرفتها بكل شيءٍ قالت لطه:

- ليس المهم أن تعرف الأسباب بقدر ما يكن لدينا الرغبة على مساعدتها لإخراجها من أزمتها بودنا لها، إنها تستحق.

لم تدخل يمنى في نومها كما ادعت وإنما ظلت تفكر في قلبها المستهلك وكيف لها أن تشفى ممن تعتقد أنها لا تستطيع أن تكمل في الحياة دونه، تمنت لو أن يعود لها رغم كل ما سببه لها من ألم، رغبت أن يهاتفها لتقول له لقد غفرت لك كل ما آذيت به قلبي ولنعود لحبنا، لم يكن يهمها أنه كان يجهدها باسم الحب ويستهلكها باسم التضحية ولم تكن تؤمن أن الحب إن لم يكن مبهج فهو محض ادعاء.

ثم تتمنى من بعد ذلك أن تنتقم من سليم شر انتقام ولم تكن تعلم أن التفكير في الانتقام ليس حلًا، وإنما لتشفى منه يجب أن تنساه وأن تتجاهله كأنه لم يكن بحياتها يومًا وأن تتخلى عن فكرة الانتقام والغفران له لأن مجرد التفكير في ذلك دليل على أنه ما زال يأخذ حيزًا في حياتها، الشفاء يعني ألا نفكر فيهم مطلقًا وألا يأتون على ذاكرتنا وإن أتوا فليكن رد فعلنا ابتسامة سخرية من أنفسنا لأننا أطعنا قلوبنا سابقًا لأجل من لا يستحقون.

وبعد بكاءٍ من يمنى أجهدها كثيرًا؛ جاهدت لأن تقوم من فراشها لغسل وجهها ولقد سمعت حين ذلك آدم وهو يقول لدانة:

- أحبك فأجابته الأخيرة بأنا أكثر منك.

لم تستطع يمنى حينها أن تفكر أو أن يكون لها أية رد فعل فقط انسحبت ودخلت غرفتها تفكر هل سيصدق آدم وعده لدانة؟

ما في القلوب لا يعلمه غير الله ولا سلطان عليها لأحد غير خالقها، إنه يهب الحب لمن يشاء وينزعه ممن يشاء، لكن دانة اختارت أن توافق على مواعدة آدم سرًا.

ربما يمنى وقعت في فخ سليم لأنها بعيدة كل البعد عن تفسير آيات الله، ولم يأخذها أحد وهي في فرنسا إلى الله وبقيت مسلمة بالاسم فقط، وهذا لا يمنع كون لها عقل وكان يجب عليها البحث في أمور دينها لمعرفة الصواب من الخطأ، أما دانة فما عذرها في الموافقة على إهدار كرامة قلبها وقد حرص دينها على حفظ كرامتها، وهي الفتاة التي نشأت نشأة أخلاقية دينية منذ صغرها، للأسف أغرتها سلطة المال ورغبتها في الهجرة هما الدافعان الأساسيان لمجاراتها لآدم اعتقادًا

منها أنه سيوفر لها رغباتها، لدانة الله، ليحفظها الله وليهدها رغم تفكيرها المغلوط، وسلام على فتاة اتخذت من دينها منهجًا وقاومت كل المغريات الدنيوية وصانت قلبها لأجل ربها طامعة أن يهبها الله بأكثر مما تركته إرضاءًا له.



"فلنصبر على قدر الله واثقين أن مع العسر يسرا"

كعادتها حين وصلت إلى بوابة الكلية استجوبها محارب ولم تعد تتحمل مؤمنة قدرًا من إهانتها ومعاملتها كمجرمة منبوذة بذلك الشكل، تسأل نفسها ما الجرم الذي اقترفته وما الذنب الذي فعلته بحياتها لتظل تعاقب عليه طوال حياتها بتلك الوسيلة البشعة؟، آلمها إدخال محارب لجميع الطلاب عدا هي لإجراءات التفتيشات القاسية التي يتخذها معها في كل مرة تدخل فيها إلى حرم الجامعة، في كل مرة كانت تتجاوز كل تصرفاته بشجاعة وقوة لكن تلك المرة شجاعتها كانت ظاهرية أمامه فقط، لكن دواخلها كانت هشة محطمة موجوعة كما لم يحدث لها من قبل.

دخلت مؤمنة محاضرة الدكتور كريم ولم تكن أبدًا على ما يرام وغصبًا عنها ذرفت دمعة وجعها على كرامتها المهدرة متذكرة كل ما مر بها منذ عهدها الأول.

لاحظ كريم أن مؤمنة غير منتبهة له ولاحظ حزنها الكبير الذي يعلو تفاصيل وجهها وأحزنه ما رآه من دمعها لكنه فضل الصمت لحين الانتهاء من المحاضرة، ثم ليسألها عما بها وبالفعل انتهى من محاضرته واستوقفها ليسألها:

- ما الأمر يا مؤمنة؟
- لا شيء، أنا على ما يرام. "**أجابت مؤمنة بابتسامة مصطنعة**".
- ما الأمر أخبريني؟، قال كريم معلنًا بذلك عدم اقتناعه بالإجابة التي قدمتها مؤمنة.
- ما بداخلي لا يمكن للكلمات أن تصفه، الوحدة التي نشعر بها في أوطاننا، والأحلام التي لم تعد من حقنا لمجرد أننا ولدنا هنا، وحقنا في رفاهية الحب والسلام واختذال فرحتنا العظيمة حين ينتهي اليوم دون أن يقتل أو يحرق أحدنا، وحين يكفينا الله شر أفاعيلهم، وعدم رفاهيتنا في ممارسة معتقداتنا كل ذلك لا يمكن للكلمات وصفه، الكلمات هنا تقف عاجزة عن التعبير عما نعيشه من مرارة وقهر وعدم مواطنة، هنا يكمن فقط الأحاسيس التي لا توصف. "**قالت مؤمنة وهي تحبس دمعها**".
- فلتصبري يا مؤمنة على قدر الله ولتثقي أن مع العسر يسرا، إنني أؤمن بقضيتكِ وحقكِ المشروع في المواطنة وإننى لا أحب أن يكون إيماني بقلبي فقط، وإنني أرغب أن أساعدكِ عمليًا في أي شيء تحتاجينه وأنا أعلم أنكِ لن تصمتي وأنكِ ستناضلي ليس من أجلكِ فقط لكن من أجل الضعفاء الذين ليس لهم سوى الله، إنني يا مؤمنة متابع جيد لنضالكِ ومؤمن بقدرتكِ على لفت العالم لأحقية المواطنة لكِ ولمن مثلكِ.
- شكرًا لدعمك لقضيتي. "**قالت مؤمنة وهي تفكر في شيء ما**".

دعم كريم النفسي لمؤمنة كان له أثره الحميد على تفكيرها؛ لقد استعادت شجاعتها وجازفت وطلبت من كريم إدخال كاميرا فيديو داخل الكلية؛ ذلك لأنه من الصعب عليها عمل ذلك وحدها حيث المراقبة المشددة عليها، ووافق كريم على عمل ذلك مستنتجًا أن مؤمنة ترغب في تسجيل تجاوزات محارب للأقليات بطريقة لا تقبل الشك في حديثها، وبالفعل استطاع كريم إدخال الكاميرا إلى الجامعة في نفس اليوم الذي طلبت مؤمنة ذلك منه، واتفقا على تسجيل تجاوزات محارب مع مؤمنة ورفيقاتها، واتفقا على تسجيل تجاوزته معهن حين يدخلن للصلاة ويخرجن منها بسبب تطاول المحارب، كما اتفقا على تسجيل تجاوزات عميد الجامعة وبعض الأساتذة العنصرين حين يسلكوا سلوكا ضد الأقليات في الجامعة، وطالبت مؤمنة كريم ألا يتحدث بشأن ذلك الأمر لأحد وأن لا يقوم بنشر أو تسريب أي من تلك التسجيلات لحين ترتيب أمورها ليكون للأمر ردة فعل لها أثرها البالغ، ومن وجهة نظرها أنه حين تمتلك تلك التسجيلات فلن تُجدي وحدها نفعا كبيرًا، وليس هذا ما تبحث عنه مؤمنة ولقد قررت أن ترصد أكثر التجاوزات بشاعة في بلدها ثم من بعد ذلك لتفكر جيدًا في أي الاتجاهات ستتحرك، ووافق كريم على رأي مؤمنة التي سألته:

- لماذا عرضت نفسك للخطر لأجل قضية لا تمسك أنت؟
- أنا مسلم وقضيتنا واحدة، وإنني أؤمن أن ما أوصل المسلمين لهذا الحد من المهانة كوننا منقسمين، لم نحفظ كرامتنا باتحادنا وأهاننا العالم لأننا أهنا أنفسنا بانشقاقنا وهذا نتيجة طبيعية لذلك، إنني مصري الجنسية ووالدتي فلسطينية فقدناها في القصف الأخير للمسجد الأقصى حين كانت

في زيارة لأخوالنا هناك، أنا أعرف جيدًا معنى الفقد دون ذنب يا مؤمنة، وإنني أدرك معنى أن يكون لك حق مسلوب لا تستطيع الوصول إليه، قضيتنا واحدة يا مؤمنة. "**قال كريم**".

بكت مؤمنة إثر كلمات كريم لوجعها على أطفال المسلمين المهددين الذين شابوا قبل أوانهم، بكت أقصانا وبكت مجد المسلمين السابق، بكت عجزها وعجز غيرها عن الدفاع عن حقوقهم، بكت الذل والمهانة وعادت إلى منزلها في حالة يرثى لها، شعرت بها أليفة التي ذكرتها أن دورها في الحياة لا يتحمل يأسًا كهذا الذي تراه في عينيها، وأخبرتها أن الحياة أحيانًا تحتاج إلى شجاعة وإيمان قوي كي نستطيع أن نكمل فيها ما بدأناه.

دخلت مؤمنة غرفتها وهي تتوسل إلى ربها وتقول في قلبها:

- "**يا الله لقد أجهدتنا الحياة كما لم نكن نتوقع أبدًا وإننا نريد دعمك العظيم، فأعنا**".

دخلت مؤمنة غرفتها لتجد يمنى دون دانة فاقتربت من يمنى لتسألها عن حالها فابتسمت يمنى على عكس حالتها في الأيام المنقضية وكأن هناك ما يسعدها، قتل مؤمنة الفضول لمعرفة السبب لدرجة أنها أتت بورقة وقلم ليمنى لتكتب فيها ما سر سعادتها؟، فكتبت يمنى:

- "**إن مع العسر يسرا**"، اندهشت مؤمنة من أين ليمنى ذلك الإيمان ومن أين لها ذلك الأمل وعلى الرغم من كم الأسئلة التي لا تجد مؤمنة لها إجابة إلا أنها استغلت فرصة نفسية يمنى المستقرة ودعتها إلى صلاة المغرب، في البداية رفضت

يمنى خجلًا من البوح لمؤمنة أنها لا تعرف كيف لها ذلك وفي النهاية صارحتها أنها لا تعرف عن الإسلام سوى اسمه، ورغم محاولات أمين المستمرة في إنقاذ يمنى من عدم إتقانها دينها إلا أنها كانت تخجل من ممارسة أي شعائر دينية حتى لا يصفها أصدقاؤها بفرنسا بالإرهاب والرجعية.

- الدين السلوك يا يمنى فلو رأى منكِ أصدقاؤكِ خيرًا لم يكونوا أبدًا ليصفوكي بالرجعية، والمهم ليس ما مضى المهم أن نبدأ.

وبالفعل صلت الاثنتان المغرب وشعرت يمنى براحة نفسية لا مثيل لها، وعلى الرغم من ذلك كله ظل سليم عالقًا في ذاكرتها لا تستطيع محوه، لكنها على الأقل ولأول مرة استطاعت أن تبتسم دونه.

حين ذلك دخلت عليهما دانة متجهمة الوجه يعلو على قسماتها الضيق؛ فاقتربت منها يمنى ومؤمنة وسألتها الأخيرة عن خطبها، ودهشتها دانة حين قالت:

- لا شأن لكِ بي، أنا أكره مثاليتكِ وأشعر أنها نوع من الخبث، عليكِ أن تفهمي جيدًا أنني أستطيع فعل كل ما تقومين به بسهولة وأننا سنصير يومًا مثل بعضنا البعض.

- لنصير ثلاثتنا مثالًا للحب والطهر والقرب من الله والنضال من أجل مواطنتنا ومن أجل نصرة الأطفال، ليكن لهم مستقبلًا غير أليم بمثل ما حدث لنا يا دانة، "**قالت مؤمنة في محاولةٍ للتقرب من ابنة عمها**".

لم تجب دانة وألقت بغطائها على نفسها ونامت غير عابئة بما ذكرته مؤمنة.

وطيبت يمنى خاطر مؤمنة بأن أشارت لها على الكلمات التي قد كتبتها لها قبل دخول دانة "**إن مع العسر يسرًا**"، فهدأ قلب مؤمنة واستغلت مؤمنة الفرصة وقالت:

ـ لأكون بخير اصطحبيني غدًا لصلاة الجمعة.

ـ أوافق. "**كتبت يمنى دون تردد ردًا على طلب مؤمنة**".

في صباح يوم الجمعة جلست مؤمنة تقرأ سورة الكهف وعلمت يمنى أهميتها حيث قالت لها:

ـ ورد عن النبي عليه السلام الكثير من الأحاديث التي تبين فضل قراءة سورة الكهف، ومن بينها ما يلي: عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**مَن قرأَ سورةَ الكَهْفِ ليلةَ الجمعةِ، أضاءَ لَهُ منَ النُّورِ فيما بينَهُ وبينَ البَيتِ العَتيقِ**"، صحيح الجامع. "**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**"، رواه الحاكم والبهيقي حديث حسن وقال: هو من أقوى ما ورد في قراءة سورة الكهف، وصححه الألباني.

وجلست يمنى تستمع إلى تلاوة مؤمنة إلى أن سمعا صوت عراك بخارج الغرفة، إنه صوت طه وآدم فهرولا إلى الخارج ووجدا أليفة هي الأخرى تخرج من غرفتها لتسأل ما الأمر؟، فتنهد طه ثم قال:

ـ لقد سألته أن يأتي معنا لصلاة الجمعة كما طلبتي مني يا جدتي لكنه قابل ذلك بإهانتي وقال...، ثم صمت طه خجلًا من أن يبوح بما قاله آدم ولم يكمل فطالبته الجدة بمعرفة الذي حدث تحديدًا لكنه ظل صامتا على موقفه، وهنا تدخل آدم قائلًا دون أدب موجهًا الحديث نحو أليفة: "**أخبريه أنه**

لا سلطان لأحد عليّ هنا"، ولم يعطِ آدم فرصة لأليفة أن تجيبه وخرج لا أحد يعرف إلى أين قبلته، ودخلت الفتيات الغرفة ليستبدلن ملابسهن للاستعداد للصلاة، وفوجئت مؤمنة أن يمنى علا على قسماتها اليأس وجلست وعبَّرت لمؤمنة عن عدم رغبتها في الذهاب معها لأنها لا تمتلك الملابس التي تليق بالصلاة، وأفرحتها مؤمنة بإسدال وحجاب قد اشترتهما لها، فرحت بهما يمنى كما لم يحدث لها من قبل واتجها سويًا إلى المسجد بعدما رفضت دانة الذهاب معهما، وهناك كانت الوجيعة؛ إنه محارب وأعوانه يقفون على باب المسجد لمنع أي أحدٍ من الدخول إليه بأوامر من جنراله الذي شعر أن الأقليات بدأت ممارسة شعائرها بأريحية في الفترة المنقضية، ووجدت طه في مواجهته وحده هو وسامر والباقي يخشى بطش محارب ويقفون بعيدًا عن الأمر.

أعلم أنكم تتذكرون سامر ذلك الشاب الذي حاولت معه كريستينا ليقف معها ضد مؤمنة، سامر الذي انسحب من المشهد فور اقتراب مؤمنة ويمنى من محارب وفي شجاعةٍ قالت مؤمنة:

ـ لتبتعد وليكن عندك نخوة الرجال وشهامتهم ولا تستقوي نفسك بسلاحك واستخدم عقلك ولو قليلًا.

ـ سأبتعد على أن تمنحيها لي.

قال محارب وهو يقترب من يمنى وهنا غلى الدم في عروق طه وأبعد يمنى ودخل في عراكٍ مع محارب الذي تذكر تعليمات جنراله أن يمنع المصلين من إقامة شعائرهم دون دماء؛ فانسحب من المشهد بعد أن لكم طه ضربة أسقطته أرضًا وليس هذا هو المهم، الأهم أن طه

لم يعنِه وجعه الجسدي بقدر ما أهمه الاطمئنان على يمنى الخائفة؛ فاقترب منها وهو يقول:

- "**لا تخافي إن الله لا يرضيه أن تؤذى فتاة عظيمة مثلكِ**"، فاطمئنت يمنى ودخل الجميع المسجد وأقيمت شعائر صلاة الجمعة وظهر سامر في المشهد من جديد، سامر الذي قام بتصوير كل ما حدث بناءًا على طلب مؤمنة المسبق له وذلك بعد أن اختبره طه وأخبر مؤمنة أنه يثق به.

ورجع أفراد بيت أليفة إلى منزلهم ودخلت يمنى غرفتها تفكر في شهامة طه التي أعجبتها، هي لم تشعر يومًا أن رجلًا يمكنه فقد حياته لأجلها ولم يكن أبدا سليم ليفعل معها ذلك لو أنه كان في الموقف ذاته، كيف له رغم كل ما تعرض له من وجع ليلتفت إليها ويبث في روحها الشجاعة وعدم الخوف، لقد لفت طه نظر يمنى إليه بذلك الموقف، بل إنه كان سببًا قويًا في وضع يمنى على أول الطريق لنسيان سليم الذي شعرت أنه لا يليق بها ولا بالحب ولا بالرجولة، شعرت أنها بحاجة إلى رجل يعرف الله لأنه خير ألف مرة ممن لا يعرفه، لكن يمنى بعدما داعبها الأمل بحسن معاملة طه لها إلا أنها تذكرت أن قلبه مع دانة، وربما هو يفعل كل ذلك رجولة منه لا حبًا لها فاستعانت بمؤمنة التي نصحتها أن تخرج أولًا سليم من ذاكرتها بالكلية، ثم ليُحدث الله بعد ذلك أمرًا، وأفهمتها أن طه إن أحبها فسيسلك الطريق الأصوب؛ وهو أنه سوف يتقدم لخطبتها ولن يدعها طويلا تفكر هل يحبها أم لا؟

حقيقة أن القلوب محيرة ولا أحد يفهم كيف تعمل ذلك لأن الله العظيم هو فقط من يبث فيها روح الحب لذلك دون الآخر، فليرزق الله كل من أراد حبًا عظيمًا لا فراق فيه.

"انزع الكره من قلبك لتسعد"

لم يتوقع الجنرال خيبة كتلك التي صدمته في محارب، فلأول مرة لا يؤدي محارب المهمة التي كُلف بها على أحسن وجه، إنه لم يستطع إضاعة صلاة الجمعة كما أمره الجنرال، ولامه الجنرال كما لم يحدث من قبل، استشاط محارب غيظًا من مؤمنة وزاد الكره في قلبه لها أكثر مما كان عليه، ولم يدرك محارب أنه يهدر صحته النفسية وسعادته في فعل الكره.

لم يَنَم محارب ذلك اليوم يُفكر فيما يجب عليه فعله كي يستعيد ثقة قائده فيه من جديد، وجلس يفكر في تلك الفتاة الشجاعة من أين أتت بكل ذلك الثبات والجرأة والقدرة على التحدى بذلك الشكل؟، وكيف لها أن تنتصر عليه في كل مرة؟ وظل محارب يلعن ذلك الحظ الذي يقف إلى جوارها في كل مرةٍ يحدث بينهما موقف فتأتي النتيجة لصالحها، لم يكن يعلم أنه ليس حظًا بقدر ما هو توفيق من الله العظيم لقضيتها، ولم يكن يدرك أن كل تلك الشجاعة نابعة من الإيمان القوي بقضيتها، فلولا الإيمان ما كانت بذلك الثبات.

أثناء ذلك التفكير استدعى الجنرال محارب ثانية ليخبره بمهامه العنصرية الجديدة ضد أقليات المسلمين في الوطن كفرصة أخيرة له للتكفير عن خطأه في عدم تحقيق نتائج مرضية في المهمة السابقة، واعتبر محارب تلك المهمة التي كلف بها هي القشة التي ستنقذ مجده عند الجنرال، وداعبه الأمل من جديد وسمعت يلدس الجنرال وهو يقول لمحارب: "**تلك فرصتك يا بطل لتجيدها تلك المرة ضد المسلمين، إنهم لا يستحقون أن يتواجدوا معنا بكل حال من الأحوال**".

لكنها وللأسف لم تستطع سماع ما هي المهمة بالتحديد حيث أنهما قاما بإغلاق باب المكتب خلفهما بعد تلك الكلمات.

وبأول إجازة ليلدس تلك التي كانت بعد عشرة أيام من سماعها لتلك الكلمات ذهبت إلى مؤمنة لتخبرها بما سمعته تحديدا في منزل الجنرال؛ فاستغربت مؤمنة في البداية أنه رغم مرور عشرة أيام على ذلك الحديث بين محارب والجنرال لم يحدث شيئًا واستنتجت أن مهمة محارب مؤجلة إلى موعد محدد فدعت الله أن يلهمها البصيرة والتصرف الحكيم لمنع ظلمًا قد يحدث في الأيام القادمة، ولما رأت مؤمنة من يلدس شجاعة وغيرة على ذويها من المسلمين، وأنها رغم عملها منذ صغرها في قصر الجنرال لم تتأثر بأفكاره وظلت على ولائها للأقليات المسلمة التي تنتمى إليهم؛ فلم تتردد مؤمنة من تكليف يلدس بتدقيق النظر في القصر أكثر فربما تعطي لها معلومة تستفيد منها في القضية، وطلبت فضلًا عن ذلك تسجيل الأحداث المهمة والتي تتمثل في حديث الجنرال عن المسلمين وتعليماته القاسية ضدهم، ولم تتردد يلدس في الموافقة بشأن ذلك لحظة وطمأنت مؤمنة بشأن تخوفاتها من

إدخال كاميرا للقصر؛ فقالت يلدس وكلها إيمان بالقضية "**الله لن يخذلنا أبدًا وأثق أنه سيساعدنا في مهمتنا لا يكن لديكِ قلق**".

داعب الأمل مؤمنة من جديد فبعدما كانت تخوض مهمتها وحدها في البداية، الآن يساعدها طه وسامر ويلدس وكريم بالإضافة إلى انجي صديقتها الفرنسية ومارك المحامي الذي لا يتأخر عليها أبدًا بالشورى ولديه استعداد كامل لتصعيد الأمر لجهات سيادية بفرنسا لكن في الوقت المناسب، وذلك حين يمتلكون أدلة ملموسة على أن المدان في قضية الأقليات هو الجنرال وأتباعه كي لا يتملصون ككل مرة من جريمتهم مدعين أنهم لا شأن لهم بذلك وأن المسلمين في بلدهم منقسمون في مذاهبهم وهم من يفعلون ذلك ببعضهم البعض.

"**يا الله إنني ضعيفة هشة مجهدة إلى حد الشفقة لكن ثقتي أن تلهمني الصواب في أمري تجعلني أقوى، يا الله أبعد عن طريقي المنافقين المخادعين الذين يجعلون كل سهلٍ صعبًا**" قالت مؤمنة في قلبها تلك الكلمات واثقة في إجابة ربها العظيم لدعائها.



"ليس بمحب من يبعدك عن طريق الله"

ستخسر ما لم تتوقع خسارته إن ابتعدت عن الله باسم الحب، وستندم إن تركت سمعك للشيطان لتصل إلى النفس الأمارة بالسوء فلا تندم على حرام اقترفته ولا تحاول الرجوع عن طريق نهايته الوجع والخسارة.

في الأيام الأخيرة طلب آدم من دانة نفسها بحجة أنها ستكون زوجته، وعليها أن تثق فيه لأن ذلك هو الحب الحق، وانساقت دانة وراء كلمات آدم ولم توقفه عند حده، لكنها طلبت منه أن يطلب يدها من جدتها، أجاد آدم التفكير ووافق على أن يأخذ منها ما يريد ثم ليلقي بها من جديد غير مهتم بشيء، المهم أن يلبي احتياجات نفسه، وكان لدانة ما رغبت من خطّوبة منساقة وراء كلمات آدم المعسولة ناسية أن الحب الحق ما كان أبدًا في البعد عن الله، وأنه ليس بمحب من يبعدك عن طريق الإيمان باسم الحب، وتخيلت دانة أنها تربط آدم بالخطوبة، وأنها بذلك ملكت زمام أمره غير مدركة أنها تتعامل مع شخص لا يهمه في الحياة سوى ملذاته.

وجاء يوم الخطوبة وأقيمت في المنزل حفلة صغيرة دعت فيها مؤمنة الدكتور كريم، ودعى فيها طه سامر، ولم تستطع يلدس الحضور لمنع الشبهات عن نفسها؛ لتستطيع إتمام مهمتها بأريحية دون أن يحذر منها أحد لأنها على علاقة بمؤمنة.

تخلت دانة عن حجابها ولم يُعلق أحدً عليها يأسًا منهم في إصلاحها وخوفًا من أن تفهم أنهم غاضبون لفرحتها، ولم يهم طه دانة ومظهرها لكن ما أهمه هي يمنى التي ارتدت ثوبًا فرنسيًا مكشوفًا غير مدركةٍ أن دينها أمر بالستر؛ فاستدعى مؤمنة لائمًا إياها على عدم إفهام يمنى أن الستر لا يكون في الصلاة فقط وإنما على المرأة أن تتحلى به في كل أوقاتها مدام المكان به محارم، فاعتذرت مؤمنة مبررة عدم اهتمامها بذلك لما في تفكيرها من قضايا كثيرة، واقترحت على طه تركها لنهاية الحفل ثم إفهامها بعد ذلك وكاد طه أن يوافق لولا دخول كريم وسامر ملتفتين ليمنى فاستدعاها طه بعصبية قائلًا:

- إما أن ترتدي شيئًا يليق بكونكِ مسلمة أو لتدخلي غرفتكِ لحين الانتهاء من الحفل.

تذمرت يمنى لعنف طه معها وكادت عندًا ألا تستجيب له لولا أنه تدارك الأمر وابتسم لها ثم قال:

- أعتذر منكِ، لكنني أرغب أن تكوني ملكة تستجيب لكلام ربها، إنني أخشى عليكِ، وعليكِ إدراك ذلك جيدًا، هذا أمر لا يقبل الشك فيه.

ولما وجدت مؤمنة ذلك من طه ويمنى تدخلت في الأمر آخذة يمنى إلى غرفتها لتستبدل ملابسها ولتخرج ثانية إلى الحفل عظيمة ليدهش من سترها طه، طه الذي لا يعرف كيف يميل ليمنى بتلك

السرعة، طه الذي يغار على يمنى من نفسه، وذلك الذي لم يفعله مع امرأة من قبل حتى مع دانة، إنه الله استجاب لطه في محنته ليخرج من قلبه دانة إلى الأبد حتى أنه حين علم أنها سترتبط بآدم لم تهتز له عاطفة، فقط دعى الله أن يوفقها في أمرها.

وعلى الرغم من سعادة يمنى الكبيرة بخوف طه عليها وإحساسها أنها تدخل قلبه وأنها ستميل له؛ إلا أنها ظلت على مخاوفها من أن يوجعها كما سليم أو أن تهبه قلبها فلا يقدسه ويستبيح حبها له وترجع إلى نفسيتها الهشة المحطمة، ومن أين لها أن تعرف أنه لن يغدرها كسابقه؟، ليته كان بالقرب منها قبل سليم ما كانت اليوم لتخاف أن تعترف أنها تعشق وجوده إلى جوارها وتحب خوفه عليها وغيرته عليها.

ظلت يمنى تلك الليلة تبكي وتقول في قلبها "**لماذا تأتي الأشياء التي تمنيناها طويلًا في الأوقات الخاطئة؟، فلكَم تمنيت سابقًا أن أوهب من الحب أجمله، وأن يتشبث بي شخص ولا يفلت يدي مهما اكتشف بي من مساوئ، الآن وأنا أشعر أن طه هو ذلك الشخص؛ يأتيني وقد أصبحت دواخلي محطمة تخاف أن تقترب فتتوجع وعلى الأكثر لم تعد تتمنى حتى تلك الأشياء التي لطالما رغبت أن تحدث في السابق وبشدة**".



"الحب أن تصونها لأنها منك"

إن لم تستحي من الله فافعل ما شئت، لكن ماذا عن نفسيتك بعد أن تتبع هواك؟، وماذا عن التوابع بعد أن تعصي خالقك؟ هذا ما يجب أن تفكر فيه مليًا قبل أن تنصت لشيطان نفسك.

بعد أن تمت الخطبة بين آدم ودانة استولى على كل عواطفها بوعدها بالسفر معه إلى فرنسا، ولقد أقنعها أن فرنسا بلده ولن يتركها أبدًا وسيرجع إليها يومًا وهذا اليوم سيكون أقرب ما يكون، وبعد الخطبة بشهر وبعد أن أدهشها بكلمات الحب وأنها ستكون منه وستكون زوجته قريبًا وعليها أن تثق فيه، لم تتنازل عن نفسها في البداية لكن بعد أن هددها بأنه يريد فتاة متفتحة كفتيات فرنسا ولن يتنازل عن ذلك، وبعد أن أفهمها أن عليها أن تكون فتاة أحلامه ذات العقل المتفتح؛ سلمت له نفسها برضاها وأخذها في ليلة العيد وذلك بعد أن خرج كل من في المنزل للاحتفال بصحبة الجيران.

تسامر الجيران مع بعضهم البعض وتساءلت الجدة أليفة عن دانة وعن آدم فلم يعطها أحدٌ إجابة شافية عن سؤالها فازدات قلقًا.

في صباحِ يوم العيد استعد الجميع للخروج لصلاة العيد والاحتفال به إلّا دانة التي رفضت الذهاب معهم إضافة إلى آدم الذي لا يعرف أحد عنه شيئًا منذ ليلة العيد.

أصبح يوم العيد يومًا كئيبًا على دانة التي تفكر في الموعد الذي سيتزوجها فيه آدم، ووضعت كرامتها وحياتها تحت أقدام آدم يتحكم فيها كيفما يشاء، وعلى الرغم من كل ذلك كان شغل تفكير دانة الأكبر هو تحقيق حلمها للسفر إلى فرنسا وليذهب كل شيء من بعد ذلك إلى الجحيم.

على الرغم من عدم تقبل دانة لمؤمنة في الفترة الأخيرة إلا أن الأخيرة أطاعت طلب جدتها في الدخول لدانة ومحاولة إقناعها للذهاب معهم إلى الصلاة فأوجعتها دانة برد فعلها التي قالت لمؤمنة فيه:

- قلت قبل ذلك لا شأن لكِ بي، عليكِ الابتعاد عني.وخرجت مؤمنة تبتسم للجدة أليفة حتى لا تلحظ شيئًا لتقول بهدوء أن دانة لن تستطيع الذهاب معهم، وخرج الجميع دونها لكن الجدة أليفة ظل في قلبها القلق والحيرة تجاه حفيدتها منتوية التحدث معها بعد رجوعهم من صلاة العيد.

في ذلك التوقيت كان قصر الجنرال متوترًا إلى الحد الأقصى، ففي صباح يوم العيد دخل محارب القصر وأمر معاونيه بالانتظار خارج غرفة مكتب الجنرال، وأثناء ذلك سمعت يلدس المهمة التي قد أمر بها الجنرال محارب قبل ذلك وهي إحراق أطفال المسلمين صبيحة يوم العيد لنفورهم من عمل المسلمين بذبح الأضاحي، ومن وجهة نظره هذا هو العقاب الذي يليق بهم.

كادت أن تموت يلدس وجعًا خاصة بعد علمها أن العملية ستكون في ساحة المسجد الذي قد قامت ببنائه مؤمنة وستكون هناك والدتها وجيرانها، استأذنت من رئيس الخدم للذهاب إلى معايدة والدتها لكنه رفض أن يمنحها حق الخروج من القصر إلا بعد أن يهدأ ويخرج محارب ومعاونيه منه.

ساعة من الشقاء والوجع والعجز على التصرف أصابوا يلدس التي لم تستطع الوصول إلى مؤمنة عبر الهاتف لإخبارها بالأمر.

الصبر على تحمل الوجع أكثر إيلامًا من الموت نفسه أما العجز عن إبعاد الأذى عن أقرب الناس إليك هو الأكثر إيلامًا، مرت ساعة كمر السنين على يلدس إلى أن استطاعت الخروج من المنزل بعدما خرج محارب ومعاونيه بأقل من الساعة بخمسة دقائق وهرولت يلدس لعلها تلحق إيقاف الأذى عن أطفال المسلمين.

تكبيرات صلاة العيد تسمعها يلدس وحين ذلك تذكرت مؤمنة التي ابتاعت للأطفال ملابس العيد الجديدة وساهمت في فك كرب المحتاجين ليحضروا العيد دون أن تنشغل أذهانهم بشيء، ثم تذكرت الحديث الذي دار بين الجنرال ومحارب والتي استطاعت تسجيله، وتخيلت المنظر الذي سيكون عليه حال المسلمين بعد أقل من خمسة دقائق إن لم تخبرهم بما سمعته.

بكت يلدس وهي في طريقها للمسجد طويلًا، وأخيرًا وصلت لكن بعدما قُضِيَ الأمر وعلا صوت الظلم على صوت الحق؛ لقد وصلت يلدس بعد رفع محارب ومعاونيه الأسلحة بداخل ساحة المسجد مدخلين الرعب في قلوب الجميع.

كادت يلدس من شدة وجعها أن تدخل الساحة لولا أن استوقفها سامر والذي تأخر عن الصلاة ووصل قبل يلدس بخمسة دقائق ولم يدخل الساحة متخذًا من الكاميرا التي قد جلبها لتصوير فرحة المسلمين في العيد سلاحًا له مستعدًا لتصوير الحدث من فوق إحدى البنايات المجاورة للمسجد، ولما لمح يلدس هبط إليها جريًا وأخذها غصبًا للبناية حتى لا تتعرض هي الأخرى للأذى.

ظلت يلدس تصرخ من العجز الذي تشعر به وظل سامر يطمئنها فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا ولن يظل الأمر كذلك وهدأت يلدس قليلًا إلا أن ازداد صوت طلقات الرصاص، الرصاص الذي أمر به محارب لكل من يعترض على تصرفاته، إنه أمر أن يُجمع كل الأطفال الموجودين في ساحة المسجد ولم يستطع أحدٌ أن يقول في وجه المحارب لا، ذلك لأنهم يدركون جيدًا أن جزاء كلمة لا الموت برصاصة ظالمة في أدمغتهم، ظل معاونين محارب ينفذون أوامره وبقيت مؤمنة مندهشة مما يحدث غير متخيلة مدى الظلم الذي يقع على أطفال ليس لهم ذنب بأي شيء، فالأكثر وجعًا هو أن تنتقم من ضعيف لا يستطيع أن يفقه لماذا يحدث له منك كل ما هو سيء؟وبقيت مؤمنة على صدمتها لمدة تزيد عن النصف ساعة بقليل، ثم قامت من مجلسها حينما اقترب منها محارب وهو يقول لها في شجاعة المنتصر وهو يشير إلى الأطفال الخائفين الباكين:

- - إنهم سيُحرقون الآن أمام نظر الجميع وعليكِ أن تدركي جيدًا أن محارب لا يستطيع أحد الوقوف في وجهه وهذا جزاء ما اقترفتيه في حقي، وأنتِ تدركين جيدًا ما هو؟، فيكفي وقوفكِ ضد رغباتي وتشويه صورتي على مستوى

الرأي العام، أتذكرين حين قلت لكِ أنكِ ستندمين وأنني في الأخير سأنتصر مهما طال العمر؟، الآن أنا المنتصر الوحيد يا مؤمنة.

بعد سماع مؤمنة لذلك الحديث انتفضت من مكانها وقالت:

ـ إن المنتصر ليس من يأخذ حقه إن كان له حق من أطفال ضعفاء لا حول لهم ولا قوة، أنت للأسف الخاسر الأضعف الذي ينال حقه ممن لا حق له عنده، فلتفرح يا محارب بانتصارك المزيف ولتضحك كثيرًا وسأبكي أنا اليوم لله كثيرًا كي يُثبتنا على إيماننا بحقنا في ذلك الوطن.

وانهارت مؤمنة فور سماعها أمر محارب بحرق الأطفال أمام نظر آبائهم وأمهاتهم دون أدنى شعورٍ بالذنب.

إن أسوأ ما يمر به الفرد هو أن يشعر بالعجز عن حماية أقرب الناس إليه، وأن يشعر بأنه ذليل في وطنه وأنه أقل من أن يعيش كإنسانٍ له ما للجميع من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات، لمن يشعر بذلك الوجع الله.

ولما وجد طه انهيارًا كهذا من مؤمنة وقف في شجاعة أمام ظلم محارب قائلًا له:

ـ فلتكن حياتي أولًا قبل أن تمس طفل من هؤلاء الأبرياء.

ولم يتردد محارب للحظة وبكبرياء لم يره أحد قبل ذلك أجاب:

ـ فلتكن حياتك أولًا.

وفي لحظةٍ أخرج محارب سلاحه وصوبه نحو طه لولا أن صرخت يمنى بأعلى صوتها مهرولة نحو محارب مسقطة السلاح من يده بكل قوتها وهي تقول:

ـ كفاك ظلمًا لا تقترب من طه.

لم تدهش مؤمنة ولم يدهش طه من فعلة وقوة يمنى التي لا أحد يعرف من أين أتت بها؛ فلعلها قوة حبها العظيم لطه الذي أخرجها من كل وجع لكل أمل في الحياة من جديد، بقدر ما كانت دهشتهما لأن يمنى أخيرًا خرجت عن صمتها ونطقت، لقد قدر الله أن يحدث ذلك لتشفى يمنى.

فماذا عليهم الآن أن يفعلوا؟ أيسعدوا لأن الله قد شفى يمنى، أم يحزنوا لذلك الموقف الموضوعين فيه والذين لا يحسدوا عليه؟

استشاط محارب الذي سقط عند قدم أليفة ووجهت له نظرها وفعل هو كذلك غضبًا؛ فصمت كلاهما لبرهةٍ من الزمن ومن بعدها استقام محارب الذي صرخ في وجه معاونيه يأمرهم بحرق الأطفال أمام نظر الجميع، وخاصة مؤمنة وطه ويمنى ليحرق قلوبهم بعدد الأطفال الواقع عليهم العقاب، ونفذ المعاونين التعليمات دون رحمة، وحوَّل محارب العيد إلى أسوأ ذكرى قد يمر أحدهم بها في حياته، ذكرى سيكتبها التاريخ بكل ما امتلك من حزن.

وغادر محارب ومعاونيه المكان ومن بعدها ظلت الأمهات تهرول نحو أطفالهم ومنهم من ذهب لجنة ربه ومنهم من بقي فيه الروح، وعندما وجدت مؤمنة أن هناك أطفالًا ما زالوا على قيد الحياة استعادة حماسة الموجودين كي ينجدوا الأطفال في المكان الذي قد جهزته سابقًا بداخل المسجد لطوارئٍ كتلك؛ حيث أنها كانت تعلم جيدًا أنه من المستحيل أن تقبل مستشفى في وطنها أن تنقذ طفلًا واحدًا على الأقل قرر محارب أن ينهي حياته.

وعمل الجميع بكل طاقتهم وجندت مؤمنة من وجدت فيهم الروح العالية للعمل معها كممرضين من بينهما طه ويمنى، وقادت هي والدكتور كريم عملية الإنقاذ، الدكتور كريم الذي لم يتخاذل للحظةٍ في ممارسة مهنته كطبيبٍ لهؤلاء الأطفال الذين ليس لهم سوى الله ليلطف بهم، وأثناء ذلك تركَ سامر الكاميرا ليلدس التي قد أفهمها أن عملها على الكاميرا، وبُعدها عن المشهد العام هو أفضل شيءٍ كي تستطيع تكملة عملها في قصر الجنرال، وتفهمت هي ذلك ونزل سامر يعاون الجميع في ما يمكن إنقاذه، وفعل الجميع ما عليهم لاجئين إلى الله كي يتم نعمته عليهم ويشفي هؤلاء الأطفال، ورغم كل الجهد المبذول؛ رجع الجميع إلى منازلهم يائسين مما حدث آسفين على إنسانيتهم المهدرة، غير راغبين في شيء سوى نجاحهم في إثبات حق المواطنة للأقليات المسلحة الموجودة، ذلك هو الشيء الوحيد الذي سيشفع لهم عند الأطفال يوم لقائهم.

ووسط كل ذلك سألت أليفة أحفادها سؤالًا بدا لهم أنه في غير موعده:

ـ ابن من محارب؟ من والده؟ ومن أمه؟

لم يُجِبها أحد على سؤالها، ودخلت أليفة ذلك اليوم إلى غرفتها طالبة من الجميع أن يتركوها وحدها وألا يزعجها أحدهم مهما كانت الأسباب.

وساد الصمت بين أليفة وأحفادها لمدة ثلاثة أيام ولا أحد يستطيع أن يُعبِّر عما فيه من ألم؛ لأن الجميع يشعر بالوجع الكبير الذي لا أحد في مقابله يستطيع التحدث إلى الآخر.

في ظل كل تلك الأحداث العصيبة لم تفكر دانة سوى في ورطتها التي أدخلت فيها نفسها، ولم تعترف بها في البداية ولم تشعر بها إلا حينما بدأ آدم يغيب عنها بالأيام دون أن يعطيها مجالًا للحديث، وفي كل مرةٍ تحاول الاقتراب منه أو التحدث إليه في أمر مستقبلهما يتهرب منها بحجةٍ؛ فمرة مزاجه لا يروق للحديث، وأخرى منشغل بعملٍ معين، وثالثة يرغب في النوم، وكلها حجج لا تليق بالموقف الحادث بينهما وظلت دانة كذلك إلا أن حدث يومًا ما لم تتوقعه.



"ثق بالله وسيهبك حبًا عظيمًا لم تكن تتوقعه"

إن الحب حين يأتي يكون على غفلةٍ ولا يهمه أن يأتي في السلام أم الحرب، إن الحب لا موعد له ولا منطق، هذا ما يجب على الجميع إدراكه، وعليك إذا جاءك الحب الحق أن تتمسك به بكل قوتك؛ فقد لا تقابله إلا مرة واحدة في العمر.

لم تكن تتخيل يمنى أن تقترب يومًا من الله بمثل ما حدث لها، إن السبب الرئيسي في ذلك هو طه، طه الذي لم يعد لها ذا صلة دم فقط وإنما أصبح شيخها يعلمها بهدوءٍ كيف تصل ربها بأحسن ما يكون، وكيف تدعو ربها في كل أوقاتها، لم تكن تتوقع يمنى أن حالتها النفسية ستتحسن بتلك الدرجة؛ فهي كلما اقتربت من الله وسجدت له وقرأت وردها القرآني كلما شعرت براحة نفسية لا مثيل لها، وأصبح طه قريبًا إلى قلب يمنى أكثر مما كان عليه، لكنها ورغم ذلك لم تُبدِ أية مشاعر تجاه طه خوفًا من الخذلان والوجع من جديد بسبب الحب، هي تثق جيدًا في خُلق طه، وتدرك بما لا يدعو للشك أنه ليس كسليم، لكنها تخشى أن تكون دانة ما زالت في قلبه على الرغم من رفضها القاطع له وخطبتها من آدم.

المفارقة هنا أن طه هو الآخر يخشى أن يتقدم ليمنى فتخذله هي الأخرى كما فعلت دانة من قبل وهو يدرك جيدًا أنه لن يتحمل وجعًا كذلك مرة ثانية.

في رابع يوم من حادثة العيد وبعد أن سألت يمنى طه بعض الأسئلة الفقهية وأجابها ببساطة عليها سألها هو لشيءٍ في نفسه:

ـ ما الذي دفعكِ للدفاع عني أمام محارب؟ ما القوة التي جعلتكِ تتشجعين لعملٍ قد يؤدي بحياتك إلى ما لا يحمد عقباه؟

احمر وجه يمنى خجلًا، كانت تود لو أن تقول له إنها قوة الحب، الحب الذي يدفعك لفعل أشياء ما كان المرء يتخيل يومًا أن يقوم بعملها، لكنها ورغم مشاعرها الفياضة تجاه طه أجابت بغير ما تكنه في نفسها وقالت:

ـ انتفضتُ للحق لا أكثر.

شعر طه أن إجابة يمنى ما هي إلا إشارةً تخبئ ورائها خجلًا ما لا تستطيع أن تبوح به خاصةً بعدما غادرته دون أن تنتظر منه استكمالًا للحديث بينهما.

ودخلت بعدها يمنى على دانة الغرفة، فطلبت منها دانة أن تطفىء الإضاءة؛ ففعلت يمنى مثل ما طلبت منها دانة دون أن تسأل لماذا؟

قد تندم على فعلٍ في وقتٍ لم يعد ينفع فيه أي ندم، لم تكن تتخيل دانة أن نتيجة خطأها مع آدم ستكون حملًا، ولم تعد العدة لذلك الموقف أبدًا فماذا عليها الآن أن تفعل؟ لقد اكتشفت مؤخرًا حملها مستعينة باختبار حملٍ قد ابتاعته من الصيدلية حين شكت في أمرها، وكانت الصدمة أن نتيجة الاختبار إيجابية، إنها تخجل من أن

تدعو ربها أن يسترها ولا تستطيع أن تذهب لأحد أبناء عمومتها لتبوح لأحدهم بالكارثة التي وضعت نفسها فيها ليتقاسم معها التفكير في حل تلك المعضلة.

انتظرت دانة إلى المساء وما إن دخل آدم حتى باغتته بكونها تحمل منه طفلًا، سألها من أين لها معرفة ذلك فزادت من عصبيتها وأجابته بليس المهم من أين لي عرفت ذلك بقدر ما الذي يتوجب عليك فعله.

ابتسم آدم ببرودٍ وقال لها:

- لا تقلقي عزيزتي كل شيءٍ سيكون على ما يرام، فقط عليكِ أن تأخذي قسطًا من النوم وسأفكر أنا بحلٍ لهذا الوضع.

ثم تركها خلفة غير مهتم بما طرحته دانة عليه، ودخل غرفته رغم محاولة دانة استوقافه لكن منً يستجيب لفتاة تركت نفسها لشيطانها؟

دخلت دانة غرفتها تجر خيبتها ولم تستطع أن تمنع نفسها من البكاء؛ فشعرت بها مؤمنة التي لم تستطع أن تستوقف نفسها عن سؤال دانة عما بها؛ فنهرتها دانة كعادتها لتصمت مؤمنة غصبًا عنها، لكنها ومع ذلك ظلت قلقة على ابنة عمها التي لم ترَها على هذه الشاكلة البائسة من قبل، وظلت مؤمنة تستغفر ربها بنية فك كرب دانة التي لم تتوقف عن البكاء ولم يغمض لها عين حتى جاء الصباح.

ذلك الصباح الذي جاء بمثابة خيبة أخرى على دانة وصفعة جديدة لم تكن لتتوقعها على الإطلاق، لقد سمعت صوت الفرح خارج الغرفة؛ فجرَّت قدميها خارجة لتعرف ما الذي يحدث في الخارج بالتحديد، فباغتتها الجدة بقولها:

- "**أهلًا دانة فلتباركِ لابن عمك طه وعروسته يمنى، ستكون خطبتهما عن قريبٍ إن شاء الله**".

صُدمت دانة لأنها لم تتوقع خبرًا كهذا وشعرت أنها خسرت من أحبها بصدق، وأحست أن يمنى قد خطفت طه منها، وكأنها تريده أن يظل على عهدها رغم رفضها القاطع له، ونسيت أن الله قد يعوض الإنسان بخيرٍ أفضل مما كان يتمناه، وأنه قد يهبه حبًا عظيمًا بعد خيبةٍ صادمة، لم تبارك دانة لطه ولا ليمنى وانسحبت من المشهد وسط دهشةٍ من الجميع وتداركت مؤمنة الموقف وباركت لطه ويمنى وهلل الجميع فرحًا، جاء الليل وتذكر طه كيف أنه تشجع وطلب من أميرة مع جدته يد يمنى، أميرة التي لم توافق في البداية وجاءت موافقتها إثر تمسك يمنى الشديد بطه ولعلها خشيت أن تفقد نطق ابنتها مرة أخرى.

إن طه لم يتوقع من يمنى تمسكًا كهذا الذي أعلنته، لعله الله حين يقول لشيء كن فيكون، سجد طه وتوضأ وقرأ سورة البقرة كاملة شكرًا لله على هبته حبًا كحب يمنى، في نفس ذلك التوقيت كانت يمنى تبكي وشعرت بها مؤمنة؛ فتلهفتها بالسؤال عما بها فأخبرتها يمنى أنها لم تكن تتوقع أبدًا أن يُشفى قلبها من سليم شفاءً كهذا، واعترفت أنه لم يكن حبًا بقدر ما كان إعجابًا بشخص وهبها في البداية اهتمامه، وأخبرتها أنها تعلمت أن الحب أطهر وأعظم مما كانت تتخيل، وأن تلك الدموع ما هي إلا سعادةً لمنة الله وفضله عليها، حين ذلك ربتت مؤمنة على كتف يمنى داعية الله أن يُكمل فضله عليها بزواجها من طه، وأخبرتها أن قلبها الطاهر يستحق شخصًا يحبها بصدقٍ كطه، وأثناء ذلك اعتدلت دانة من نومتها وصرخت بوجه يمنى ومؤمنة معلنة لهما أنها لا تستطيع النوم من صوتهما فصمتت الاثنتان مدهوشتين من ردة

فعل دانة التي خرجت من الغرفة حين سمعت آدم يدخل إلى المنزل، آدم الذي صرخ بوجهها في البداية مخبرًا إياها أنه لا يريد أن يتحدث في أمرهما وأن تتوقف عن ضغطها المستمر عليه، ثم هدأ قليلًا وقال لها بعد أن قام بإرضائها:

- أنتِ ترغبين في الإسراع من أمر زواجنا، هل هذا صحيح؟
- نعم، "**أجابت دانة بنفاذِ صبر**".
- إذًا عليكِ تنفيذ ما أطلبه منكِ بالحرف ولا تسألين ما الهدف من وراء ما أطلبه منكِ؟ "**قال آدم**".
- كيف؟

سألته دانة ثم قالت سأفعل ما تطلبه مني دون مناقشة وما قالت ذلك إلا حينما شعرت أن آدم بدأ يتغير عليها ثانية حين قالت كيف.

ثم همس في أذنها بشيءٍ صُدمت منه لكنها لم تستطع أن تعترض.

الأسوأ أن يضع الإنسان حريته تحت أقدام إنسانٍ آخر وأن يجعل آخرًا يمتلك حريته، وهذا ما فعلته دانة؛ لقد وضعت حريتها وكرامتها تحت سلطة آدم ولم تستطع أن تقول لا ضد رغباته، ليهدي الله نفوسًا غفلت عن وجوده.



"للقلوب الصابرة على الأذى الله"

جاءت الجمعة الأولى بعد حادثة العيد وتحدث فيها طه بحماسةٍ عن الصبر على الأذى، وأعطى أمثلة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة على ذلك، وبث الحماسة في نفوس الجميع وطالبهم باحتساب وجعهم عند الله الذي سييسر كل عسير، وهدأت النفوس إثر خطبة طه، وطيَّب القلوب الدامية على ما أصابهم من كربٍ وفقدٍ لأعز ما يملكون في الحياة.

بعد الانتهاء من شعائر الجمعة؛ طلب سامر من طه أن يتحدث إليه في أمرٍ قد يراه في غير موعده، لكن ذلك الأمر أصبح يشغل باله ولا يستطيع إخماد قلبه تجاهه.

- أتحب يا رجل؟

قال طه وهو يربت على كتف سامر الذي أكد ظن طه واعترف له بحبهِ ليلدس وأخبره أن قلبه لم يتحرك لفتاةٍ من قبلها، وأنه مال لها حين رأى منها خوفًا وحبًا على الآخرين في يوم العيد، وكيف أنه يراها فتاة لها هدف سامي في الحياة، وأنها رغم كونها لم تتعلم بجامعات باريس إلا أنه يراها بفكرها وجوهرها أعظم من فتيات باريس أنفسهن.

ولما وجد سامر استغرابًا من طه على اختياره ليلدس؛ سرد له موقفها يوم العيد وشجاعتها في مواجهة الموقف حتى لو كان على حساب حياتها، ثم أكمل سامر مؤكدًا على حبه ليلدس:

- **"إنني لم أكن أرغب سوى في فتاةٍ تستطيع أن تحب، ويلدس تعرف كيف تحب حبًا مطلقًا دون أن يكون لها هدفًا من وراء ذلك، إنني أحبها يا صديقي".**

بعد ذلك الحديث تيقن طه من حب سامر الصادق العظيم ليلدس واتفقا على التحدث إلى مؤمنة في الأمر كي تتحدث إلى والدة يلدس ويلدس لعل الله يحدث خيرًا.

أثناء ذلك صحبت مؤمنة يمنى إلى المنزل بعد الانتهاء من الصلاة، وكانت يمنى على غير الخير؛ فسألتها مؤمنة عن خبرها ورفضت يمنى التحدث في الأمر وأجلته إلى حينٍ آخر، ودخلا البيت فوجدتا دانة في انتظارهما التي قالت في لهفة موجهة الحديث إلى مؤمنة:

- يلدس تركت لكِ رسالة تخبركِ فيها أنها تنتظركِ على أحر من الجمر قرب قصر الجنرال من جهة الشرق لإخباركِ بمعلوماتٍ مهمة.

توترت مؤمنة كما لم يحدث لها من قبل وخرجت متوجهة نحو المكان الذي أخبرتها به ابنة عمها.

وبينما تجلس يمنى منتظرة طه لتخبره بالأحداث خرجت دانة من غرفتها مرة ثانية وذلك بعد أن تحدثت إلى آدم لمدة تزيد عن الخمس دقائق بقليل وعزمت يمنى على كأس من الشاى ومن قبلها فعلت مع الجدة أليفة وقبَلت يمنى الأمر لعل الوقت يمر، ذلك الوقت القلقة فيه على مؤمنة، وذلك الوقت الذي يأكل التوتر قلبها فيه خوفًا من أن تكون

الأخبار التي ستقولها يلدس لمؤمنة في غير خير، واحتست يمنى كأس الشاى مع دانة وهي تدعو ربها في قلبها أن يكون الأمر خيرًا.

مرت ساعة على ذلك الحدث وعلى رجوع طه إلى المنزل، وأول ما سأل عليه هي يمنى فأجابته دانة بأنها نائمة مع جدتها، ثم من بعدها سأل عن مؤمنة وكان رد دانة بأنها لا تعرف أين هي فلربما ذهبت لشراء بعض الأغراض أو ربما ذهبت إلى إحدى صديقاتها.

صمت طه قليلًا فوجد الباب يعلن عن زائر؛ فإذا هو جار لهم يعلن أن هناك عطلًا في الموصل الرئيسي للمياه أدى إلى غرق الشارع ويريد المساعدة من طه فخرج معه الأخير دون ترددٍ منتويا إيجاد حل للمشكلة التي هم بصددها، واستهلكت المشكلة طوال النهار حتى أتى الليل فصلى طه العشاء ورجع إلى المنزل ووجد مرة أخرى دانة في استقباله، سألها ثانية عن يمنى وعن الجدة إضافة إلى مؤمنة؛ فارتبكت دانة وظلت صامتة فأطاح بها من طريقه ودخل ليجد يمنى والجدة دون مؤمنة مستلقيتان في الغرفة ولم تستجيبا لإفاقته لهما، واستدعى مؤمنة بصوتهِ لكنه لم يتلق إجابة؛ فاتصل فورًا بالدكتور كريم والذي لم يتأخر في الوصول وأعلن له مما لا يقبل الشك أن جدته ويمنى واقعتان تحت تأثير المنوم.

صدم طه من تشخيص كريم وأمسك بذراع دانة يستجوبها عن الذي حدث تحديدًا لكنها لم تنطق بكلمة حتى بدأت الجدة ويمنى في الإفاقة، يمنى التي أول ما سألت عليه حين عادت إلى الوعي:

أمؤمنة عادت؟عادت من أين؟! "**تساءل طه وهو منزعج من الأحداث المفاجئة التي تخللت اليوم**".

صمتت يمنى قليلًا ثم سردت لطه كل الأحداث التي شاهدتها من بعد صلاة الجمعة.

صُدم طه بحديث خطيبته لكنه تمالك نفسه وأمسك بذراع دانة يستفسر منها بالتحديد عما حدث؛ فأخبرته أن يلدس هي من استدعت مؤمنة فطلب منها بنفاذِ صبرٍ أن تفسر له تفسيرًا منطقيًا أمر المنوم الذي وقعتا تحت تأثيره الجدة ويمنى؛ فأنكرت معرفتها بشيءٍ وزادت من غيرتها لشعورها بمدى حب طه ليمنى، أثناء ذلك وقبل أن تُفكر دانة في أسبابٍ كاذبة لكل الأحداث التي هُم واقفون أمامها دق الباب فإذا بالطارق يلدس؛ فتلهفها طه بسؤالهِ أين مؤمنة؟ فاندهشت يلدس من السؤال الموجه إليها وأجابت بـ "لا أعلم إنني ما جئت إلا لأسلم عليها هي والجدة لأن إجازتي انقضت وعليّ العودة إلى قصر الجنرال في الصباح.

صُدم جميع الحضور بإجابة يلدس إلا دانة التي حاولت الخروج من المنزل قبل أن يستجوبها طه مرة ثانية، لقد أدركت أن كذبها قد كُشف وأنها لن تستطيع أن تصمد أمام أسئلة طه والجدة، فبماذا ستخبرهم حين يسألوها بشأن كذبتها عليهم؟ وماذا ستخسر إذا باحت لهم بحقيقة الأمر؟ وماذا عن الدافع الذي أدى بها إلى خيانة الجميع بالكذب؟ الكذب الذي يؤدي بالآخرين إلى أسوأ النتائج.

استوقف طه دانة بالقوة وكاد أن يضربها لولا كريم الذي أنقذ الموقف متدخلًا في الأمر، وبعد تجاذب أطراف الحديث والضغط على دانة من الجميع لتعترف بالحقيقة قالت وهي في أشد درجات الضغط:

- آدم هو من طلب مني أن أخبر مؤمنة بأن يلدس تنتظرها بالقرب من الجهة الشرقية لقصر الجنرال.

- لماذا؟ انطقي بالأسباب التي دفعته لذلك. "**تساءل طه وهو في أشد درجات انفعاله**".

انهارت دانة وظلت تبكي وهي تقسم أنها لا تعرف لماذا وأنها نفذت أوامر آدم لا أكثر ولا أقل، حينها خبط طه على المنضدة لدرجة أن يده أصيبت حين ذلك، لكنه لم يعبأ للأوامر وسأل دانة مرة أخرى:

- ومن جعلكِ تضعين المنوم للجدة وليمنى؟ فصمتت دانة قليلًا ثم أخبرتهم أن آدم هو من هاتفها وأخبرها أن تفعل ذلك كي لا تتحدث الجدة أو دانة لطه بشأن مؤمنة، كظم طه انفعالاته لأقصى درجة مفكرًا في الشيء الذي يجب عليه أن يقوم به، وأين المكان الذي يتوجب عليه البحث فيه عن مؤمنة، وظل يلعن الهاتف الذي تركته مؤمنة في المنزل، حاول مهاتفة آدم لكن هيهات أن يكون هاتفه متاحًا، وجاء بعقل طه كل الاستنتاجات السيئة دفعة واحدة، لكنه لم يتخيل الأمر الأسوأ على الإطلاق، لم يكن يتخيل أن الاحتواء يؤدي أحيانًا إلى الخيانة، وأن الوجع لا يأتي إلا ممن لا تتوقع منهم وجعًا، وأن الألم قد يأتيك ممن أحسنت إليهم، وذلك هو ما فعله آدم، إنه خان الجميع حينما أخذ دانة، وأتم خيانته حينما جنَّد دانة لفعل ما يريد في استدراج مؤمنة للمكان الذي يرغبه، لقد اتجهت مؤمنة للمكان الذي وصفته لها دانة لمقابلة يلدس، لم تكن تتخيل أنها بدلًا من أن تجد يلدس أن يستقبلها آدم في المكان ذاته، آدم الذي

استخدم علمه في الطب وحقن مؤمنة بمخدرٍ في كتفها على غفلةٍ منها، وأخذها إلى غرفةٍ بعيدة عن الحي؛ استأجرها دون علمٍ أحد، وأدخلها إليها وجلس يراقبها حتى رجع الوعي إليها وباغتها آدم بوجودهما معًا دون أحد وبمكانٍ لا تعرفه هي، حاولت حينها مؤمنة فك قيودها لكنها عجزت عن ذلك وعجزت عن التعبير بكلماتٍ عن صدمتها فيما يحدث حيث فمها المكمم.

كل ذلك وآدم جالس في المقعد المقابل لمؤمنة والصمت والكبرياء هما السمتان الغالبتان عليه متناسيًا أن الله يرى ويسمع كل شيء، وبكبرياء أخيرًا وجه آدم الحديث إلى مؤمنة قائلًا:

لقد أخبرتكِ في فرنسا أنكِ ملك لي وحدي مهما طال الزمن، ولقد سخرتي من حديثي يومها ولم تفكري فيه للحظةٍ واحدة، وها أنتِ اليوم بين يدي لا أحد يستطيع إبعادكِ عن رغباتي.

- الله يستطيع حمايتي وسيهبني حلًا أبعدك به عن نفسي. **"قالت مؤمنة وفي قلبها واثقة في مساعدة الله لها"**.

اقترب آدم من مؤمنة وهمس في أذنها مخبرًا إياها أنه ذكي وعليها الاعتراف بذلك، وأنه سيسير كل الأشياء كيفما يشاء، وأنه عظيم لأنه احتكر دانة لتنفذ كل ما يأمرها به متى ووقتما شاء، وأثناء ذلك انتفض قلب مؤمنة على ابنة عمها التي لا تعرف ما الذي فعله آدم تحديدًا بها لتكون طوعه لهذه الدرجة، وظلت تدعو ربها في قلبها أن يكون ظنها خاطىء، وأن يكون الأمر مجرد استباحة لقلب دانة لا أكثر ولا أقل، وظلت مؤمنة على شكها في الأمر لحين قال آدم:

- **"لتبكِ اليوم نفسكِ ومن قبلها ابنة عمكِ يا مؤمنة"**.

فبكت مؤمنة دانة وظلت على حالها من الدعاء لربها ليهبها حلًا تخرج فيه من أزمتها، وبعد أن مزق آدم ثوب مؤمنة ظلت تشير إليه حتى فهم أنها تريد أن تتحدث إليه للحظة ثم ليفعل بها من بعدها ما يرغب.

صمت آدم قليلًا ووافق على أن يجعل مؤمنة تتحدث قليلًا بعدما كان يرفض ذلك رفضًا نهائيًا، لعله الله حين يقول لشيءٍ كن فيكون.

وأخيرًا أزال آدم الكمامة من على فم مؤمنة فأخذت نفسها بعمقٍ ثم قالت:

- لتفعل ما تشاء يا آدم فأنا أضعف من أن أجعلك تغير فكرتك التي تؤمن بها لأنك لا تعرف الله ومن ثم لا تعرف مفهوم الرحمة وستفعل ما رغبت دون أدنى شعورٍ بالذنب وهذا الأسوأ، لكن دعني أخبرك بشيءٍ قبل أن تفعل فعلتك التي انتويت عليها، شيء كتمته في نفسي لوصية والدك رحمة الله عليه، ولقد أوصاني ألا أخبرك به حتى أجد منك خيرًا، وإنني على الرغم من أنني لم أجد منك غير كل قبح لن أتردد الآن ببوحي بسر والدك حتى أنقذ نفسي من شيطانك، وأنا على يقين أن والدك لن يمانع في البوح بسره لأنقذ نفسي منك.

- لتعلمي أنه لن يمنعني منكِ شيئًا.

قال آدم مقاطعًا لحديث مؤمنة التي طالبته أن يسمعها للنهاية فهو لن يخسر شيئًا فهي مكبلة أمامه ولا تستطيع الفرار؛ فاستجاب آدم لحديث مؤمنة وصمت لتكمل هي حديثها الذي قالت فيه:

- لقد تبرع والدك بكل مال والدتك أميرة إلى الخير وذلك لأنه لم يكن مالًا يُرضي الله، وأما عن ماله الذي يخصه؛ لقد حوله لي لحين أن أجد منك خيرًا ومن يمنى أختك وحينها

أعيده إليكما من جديد، والآن لتفعل ما تشاء لكن إياك أن تقترف حماقة قد تندم من بعدها على ضياع مال أمين من بين يديك.

صُدم آدم إثر كلمات مؤمنة التي شكك فيها في البداية بدرجةٍ لا تعقل حتى باغتته مؤمنة باسم البنك الذي كان يودع فيه أمين ماله؛ فبدأ الشك يزول من آدم لعلمهِ مدى حرص أمين على البوح بتلك الأسرار لأحدٍ خارج أسرته، وأخيرا قرر آدم إعطاء الفرصة لإعادة المال إليه وإلا لن تنجو منه مرة أخرى، وفك قيودها وخرج تاركًا إياها بثيابٍ مهلهلة وجسدٍ عاري، وظلت مؤمنة من بعد خروج آدم تبكي ذلها وجسدها العاري وبوحها بما لم تكن تريد الحديث عنه سوى في موعده، وظلت تبكي دانة وهي تدعو ربها أن يكون حديث آدم عنها مجرد إوجاع لمشاعرها لا أكثر ولا أقل، ورغم أن آدم ترك مؤمنة قبل السادسة إلاَّ أنها لم تستطع الخروج من الغرفة والرجوع إلى منزلها بجسدها العاري وفضلت أن تجلس حتى يدخل الناس إلى منازلهم؛ لتعود هي إلى منزلها دون أن يراها أحد على هذه الشاكلة.

أثناء ذلك ظل طه وكريم يجوبان الحي كله للبحث عن مؤمنة لكن كل ذلك دون جدوى لأنهما ليس لديهما دليلًا واحدًا ليهتدوا به إلى مكان مؤمنة أو حتى آدم، ورغم أن طه رفض أن تخرج يمنى معهم لتبحث عن مؤمنة إلا أنها لم تستطع صبرًا لقلقها الشديد هي الأخرى على مؤمنة، وخرجت دون إخبار الجدة لعلها تهتدي إلى أي شيءٍ من شأنه إثلاج قلبها، وسارت في الحي دون أن تعرف لها قبلة إلى أن صادفها طه في الطريق فاستوقفها وتحدث إليها والغضب يملأه وقال لها:

ـ ما الذي أخرجكِ من المنزل؟

ـ لم أستطع صبرًا، إنني قلقة كما أنت على مؤمنة، "**قالت يمنى**".

ـ أخبرتكِ ألا تخرجي ولم تلقي لحديثي بالًا، ماذا تعرفي أنتِ هنا لتخرجي وتنفذي ما برأسكِ؟ "**قال طه**".

صمتت يمنى أمام غضب طه وأوصلها هو إلى المنزل ثانية ومعه كريم وأمرها ألا تخرج ثانية كي لا يزداد قلقه فتكفيه مؤمنة، واستجابت يمنى لحديثه ودخلت فتلهفتها الجدة أليفة وسألتها عن أية أخبار بشأن مؤمنة وكانت الإجابة مؤسفة، وأخبرتها يمنى أنهم إلى الآن لم يستطيعوا التوصل لشيء، خرجت أخيرًا أليفة عن صمتها ضد دانة ودخلت إليها الغرفة تلومها على فعلتها مصممة أن تفهم ما الذي جعلها تفعل ذلك؟ وما الدافع وراء استجابتها لحديث وأوامر آدم؟ ولم تستطع دانة إجابتها وظلت تدعو على نفسها بالموت وهي تقول في نفسها ما الذي يتوجب عليّ إخباركِ به يا جدتي؟ هل أخبركِ أنني في ورطةٍ وأنني أحمل في رحمي طفلًا من آدم وأنني مجبرة على الالتزام بأوامره كي ينسبني وابنه إليه؟

حقيقة ألا أستطيع أن أتخيل ألا نتبع تعاليم الله عز وجل وهي التعاليم التي تحفظ كرامتنا وإنسانيتنا ضد كل شيطانٍ يريد أن ينال منا، ليتكِ يا دانة تذكرتي آية الله عز وجل في الزنا "وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا "، ليتكِ لم تتبعي هواكِ ولم تقتربي من الزنا يا دانة لم تكوني أبدًا في ذلك الموقف المؤسف الآن.

عاد طه بصحبة كريم في منتصف الليل دون أن يأتي بنتيجة وكاد أن يضرب دانة لولا تدخل يمنى وإيقافها للأمر فتعدت دانة على يمنى بالكلمات وقالت:

- لا تدَّعي المثالية، أنتِ مثل أخوكِ الذي جعلني أفعل ذلك بمؤمنة.

فصمتت يمنى إثر كلمات دانة ليقينها أنه لا مجال في ذلك الوقت للعراك وأنه من عين الحكمة أن يفكر الجميع في حلٍ للوصول إلى مؤمنة، وصمت الجميع للتفكير في حل الأزمة وقطع ذلك الصمت دخول مؤمنة في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، هيئتها أزعجت الجميع وهرولت الجدة نحو حفيدتها تسترها بحضنها، ودخلت يمنى فورًا لتأتِ لمؤمنة بثياب، وقد ساعدتها في ارتداء تلك الثياب وبكت مؤمنة إثر سؤال الجميع لها:

- "ما الذي حدث؟ وما الذي أوصلكِ لهذه الحالة؟".لم تتمالك مؤمنة نفسها وانهارت في أحضان جدتها وفكرت طويلًا فيما الذي عليها أن تفعله؟ أتسرد لهم الحقيقة أم تكتم وجعها في قلبها وتعطي المال لآدم وينتهي الموقف بذلك؟ في نفس الوقت احتارت في أمر مال أمين؛ فهو ليس ملكًا لآدم وحده وإنما لأخته نصيب فيه فلو تكتمت على الأمر لن تستطيع إكمال وصية أمين كما أوصاها بها، وماذا ستفعل بشأن دانة؟ إنها تخشى أن تبوح بما قاله آدم عنها فيكون ذلك كذبًا وبذلك ستخسر ابنة عمها للأبد خاصة وأنهما في الفترة الأخيرة لم يكونا على وفاق، ولو أنها صمتت على ذلك الجزء فربما يكون حديث آدم على صواب ويهرب بعد ذلك

إلى فرنسا إذا حصل على المال، وبذلك تتورط دانة بأكثر مما هي عليه، كاد عقل مؤمنة يُجن من التفكير وعلى الرغم من ضغط من حولها لمعرفة ما الذي حدث بالتحديد إلا أنها فضلت أن تقوم لتلجأ إلى ربها على سجادة صلاتها لعل الله يهديها من أمرها رشدًا ولتستطيع من بعدها أن تتحدث في الأمر بهدوء، أثناء ذلك ولما وجد كريم ذلك الأمر وتلك الهيئة من مؤمنة فضل الانسحاب من المشهد على أن يعود ليطمئن على مؤمنة فيما بعد، وخيم الصمت على منزل أليفة وظلت أميرة على موقفها متجاهلة كل ما يحدث في المنزل ولا علاقة لها بشيء، وما زالت على تفكيرها في شيء واحد فقط هو كيف لها أن تعود إلى فرنسا لتقف في وجه من خانها وخاصة بعد علمها من صديقها المقرب بفرنسا أن حكمًا في القريب سيصدر بشأنها، وأن الواضح أن صديقتها أماليا ليست بصفها وأن كل المؤشرات تقول أن أماليا تقف على الجانب المضاد لها.

لم يتحرك لأميرة ساكنًا إلا حينما سمعت صوت آدم في الخارج يتشاجر مع طه؛ فخرجت لتعرف ما الذي يحدث بالتحديد فوجدت طه يمسك بعنق آدم ويقول له:

- ألك عين أن تأتي إلى هنا؟ عليك أن تنطق الآن ما الذي فعلته بمؤمنة؟
- عليك أن تتركني إنها هي من سرقت مال أبي، قل لها أن تعيده إلي ومن بعدها سأسافر إلى فرنسا ولن ترى وجهي.

قال آدم بكل كبرياء وهنا تدخلت أميرة حينما سمعت أمر

مال أمين واستفسرت من آدم عن الأمر بالتحديد فحكى لها كيف أن أمين نقل ملكية ماله إلى مؤمنة لكنه لم يسرد لها كم أنه أحمق؛ أراد أخذ مؤمنة بغير حق كما فعل مع دانة، ولما سمعت أميرة ذلك الحديث هرولت نحو غرفة مؤمنة التي وجدتها ساجدة لله عز وجل فانتظر الجميع حتى انتهت ولم تتأخر أميرة في توجيه الحديث لمؤمنة طالبة منها إعادة مال زوجها إليها.

لم تُعقِّب مؤمنة ولم تقل أن المال وصية لآدم وليمنى وليس لأميرة سلطان عليه، بل قالت جملة واحدة أمام الجميع "**ليتزوج آدم من دانة ثم من بعدها سأعيد المال إلى أسرتكم**".

ومن بعدها وأمام كل الأسئلة الموجهة لها عن لماذا ربطت بين زواج دانة بآدم بأمر المال؟ وما الذي حدث من آدم تجاهها؟ وما الذي فعل ذلك بملابسها؟ اتخذت مؤمنة من الصمت موقفًا، وبحكمةٍ وبهدوء أخرجت أليفة الجميع إلى الخارج مؤجلة كل النقاش إلى الغد لتستريح حفيدتها ولتهدأ ثم من بعد ذلك للتحدث.

تركت أليفة مؤمنة لكنها لم تترك دانة واصطحبتها إلى غرفتها وبهدوءٍ وبتخوفٍ سألتها:

ـ ما الذي حدث بينك وبين آدم؟

سألت أليفة متمنية أن تكون إجابة دانة بلا شيء حتى أنني لم أعد أرغب الزواج منه بعد كل ما حدث، لكن كيف لدانة أن تكذب؟! لعل الله أرسل أمر المال وتحكم مؤمنة فيه لينقذها مما هي فيه، وخشيت حين ذلك أن تكذب على جدتها فتخبر الجدة مؤمنة فتتنازل عن أمر

ربط المال بزواج آدم منها، وهكذا لم تجد دانة أمامها سوى الصراحة وسردت دانة كل أحداثها مع آدم لجدتها وتقبلت كل ما فعلته الجدة من لوم وتعنيف وتحملت أقصى درجات غضب جدتها عليها، ورغم ذلك ظَلت تقول:

- "**اجعلي مؤمنة تتمسك بموقفها، إنني لن أنسى لها أبدًا موقفها في الوقوف بجانبي**".

صمتت دانة والجدة قليلًا وجاء في ذهن الجدة قلقًا على مؤمنة متذكرة ثيابها المهلهلة؛ فتركت دانة ودخلت إلى مؤمنة وحدثتها بقلقٍ عن مخاوفها وعدم استطاعتها للانتظار حتى الصباح لتعرف ما الذي حدث من قِبل آدم تجاهها؛ فحدثتها مؤمنة بما حدث وحدثت الجدة مؤمنة عن أحداث دانة فأكدت شك مؤمنة في أن ابنة عمها في ورطةٍ وأقسمت على أن أمين لو كان موجودًا ما ترك الأمر دون حل، وترحمت عليه داعية الله أن ينقذ دانة وتتعلم من خطأ من الممكن أن يدمر حياتها ولتتوب عنه وظلت تقول في قلبها:

- "**إننا يا الله لا نستطيع وحدنا فأعنا**".



"بماذا ستخبر الله حين يسألك عن ذنبك؟"

"قرأت ذات مرة أن حزنًا يقربك من الله خير من فرحٍ يبعدك عنه، إنني لا أقول لكِ أنكِ غير مذنبة لكن أريدكِ دومًا أن تتذكري أن الله هو الغفور الرحيم"، ذلك هو الحديث الذي وجهته مؤمنة لدانة حينما دخلت عليها الغرفة تبكي وتتوسل إليها كي تتمسك بالربط بين أمر المال وأمر زواجها من آدم، آدم الذي عنَّف دانة ووبخها على ذكر اسمه في الأحداث السابقة رغم تحذيره لها بعدم فعل ذلك، كما هددها أنه لن يتزوجها حتى وإن كان المقابل عدم حصوله على مال والده، كل ذلك ودانة صامتة لا تتفوه بكلمةٍ نادمة ألف مرة على وضع كرامتها وحياتها تحت أقدام شخصٍ لا يعرفُ الله، وكل ذلك من أجل وهم فرنسا الذي راودها، وهم الهجرة إلى بلدٍ آخر، إنها الآن تؤمن أن الموت حرقًا وهي تدافع عن وطنها وعن دينها وعن حقوق المواطنة أشرف ألف مرة من الوضع المهين الذي هي عليه، وجال في خاطرها أسئلة لم تكن لتأتي على قلبها من قبل منها:

- **"ماذا ستخبري الله يا دانة حينما يسألك عن ذنبك؟"**.

ذلك اليوم الذي تحدثت دانة إلى مؤمنة فيه ظلت تبكي كما لم يحدث لها من قبل، إنها طوال الوقت كانت صلبة تود أن تصل لغاياتها دون أن تكترث لشيء، لكنها اليوم منهزمة لا تريد شيئًا سوى أن تشعر بالراحة النفسية التي فقدتها والتي أيقنت أنها لا تأتي أبدًا بالبعد عن الله ومعصيته، وظلت دانة تقول لمؤمنة أنها تركت من كان يحبها بصدقٍ لأجل من جعلها تخسر كل شيء حتى نفسها، نادمة دانة على خسارتها لطه ونفسها وأمام حديث دانة صمتت مؤمنة قليلًا ثم قالت:

- خسارتكِ لنفسكِ يمكن أن تُحل وتكسبيها ثانية، فقط الجأي إلى الله يا دانة وسيغفر لك لأن الله الغفور الرحيم، فلتعودي إليه وسيحدث أمرًا كنتِ تحسبيه من شدة القفل لن يفتح.
- أألجأ إلى الله وأنا العاصية؟ إنني أخجل أن أدعو الله أو ألجأ إليه وأنا المذنبة ذنب كهذا، قالت دانة وهي تبكي.

"قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ" صدق الله العظيم، قرأت مؤمنة تلك الآية على مسامع دانة، ثم أكملت حديثها وقالت:

- وماذا عن تلك الآية يا دانة؟

ثم أكملت وقالت أن الله أرحم وأعظم من ألا تلجأي إليه.

بكت دانة إثر كلمات مؤمنة ثم سألت:

- وماذا عن طه إنني خسرته للأبد يا مؤمنة.
- خسرتيه كزوجٍ ولم تخسريه كأخٍ وابن عمٍ يا دانة وعليكِ الدعاء ليباركً الله له في يمنى.

ومن بعد ذلك الحديث قامت دانة لتتوضأ ولتسجد لله عز وجل وهي تدعوه وتقول:

- **"يا الله إنني مذنبة عاصية وأطمع في غفرانك وأن تخرجني من أزمتي قريبًا غير بعيد، يا الله من يغفر لعاصية مثلي ذنبها إلا أنت؟ فاغفر لي وأصلح قلبي ولا تجعلني من الخاسرين"**، وظلت دانة على هذه الشاكلة تستغفر ربها وتدعوه إلى أن غلبها النوم الذي لم يأتِها منذ أيام.

خرجت مؤمنة من الغرفة لتترك دانة مع الله بحرية ودخلت غرفة جدتها فوجدت طه يجالسها، طه الذي طرح مخاوفه من زواج دانة بآدم لأنه على غير قربٍ من الله فكيف لمن لا يعرف الله أن يحافظ على من ستصبح زوجته مندهشًا من تمسك مؤمنة بإرجاع المال له في مقابل زواجه من دانة، ولم تستطع أليفة الرد على تساؤلات طه، فبماذا ستخبره وهي متخوفة من رد فعله الذي من الممكن أن يؤدي إلى كارثة كبيرة؟ ولما دخلت مؤمنة وجه الحديث إليها متسائلًا عما في نفسه من أسئلة طارحًا مخاوفه أمامها فلم يجد ردًا من مؤمنة؛ ففهم هو ما الدافع وراء تمسك مؤمنة بالربط بين الزواج والمال فانفعل وعزم على التوجه إلى دانة لولا تهدئة مؤمنة وأليفة له فجلس ما يقرب من عشرة دقائق لكنه من بعدها لم يطق صبرًا وتوجه إلى دانة التي استسلمت لتوبيخه لها وضربه الذي أدى إلى كسر ذراعها، ثم لحق بآدم قبل أن يخرج من المنزل وأمسك بعنقه مهددًا إياه بالقتل إن لم يتزوج من دانة اليوم قبل الغد.

خرج آدم من المنزل غير مكترثٍ بالأمر مهددًا إن لم تُعد مؤمنة المال إليه بالرضا فسيعيده هو بأبشع الوسائل التي لن يتوقعها أحد.

وحل الصمت في بيت أليفة وظل الجميع يفكرون في كل الأحداث المتسارعة والتي لم يكن أبدًا لأحدٍ أن يتوقعها، وقطع ذلك الصمت سامر الذي طرق باب المنزل طالبًا الدخول، وعندما وجده طه تذكر أمر يلدس الذي لم يتحدث فيه إلى مؤمنة نظرًا للظروف القاسية التي يمرون بها، ورغم ذلك أدخله طه إلى المنزل وشعر أن صديقه لا يطيق صبرًا فتحدث إلى مؤمنة في الأمر أثناء جلوس سامر الذي وعدته أن تتحدث إلى يلدس في الأمر فور لقاءها حين رجوعها من منزل الجنرال، اطمئن سامر وغادرهم وفي قلبه شيءٍ من الأمل في القرب من الإنسانة التي وضع الله حبها في قلبه ودعى الله أن يكون الرد بإجابة طلبه، وأن لا يطيل الله انتظاره ويحقق رجاء قلبه قريبًا، وكأن باب السماء كان مفتوحًا؛ فبعد تلك الزيارة بأسبوع واحد ظهرت يلدس وزارت مؤمنة ولم تتردد مؤمنة في أن تفاتحها في أمر سامر واحمر وجه يلدس خجلًا واعترفت لمؤمنة بأنها تكن لسامر هي الأخرى حبًا عظيمًا لا تدرك كيف داهمها لكنها ورغم ذلك لم تكن أبدًا لتبوح بذلك لو لم يكن سامر باح برغبتهِ في الارتباط بها أمام الجميع، ولم تكن أبدًا لتثق بصدق مشاعره تجاهها لو أنه عرضها عليها سرًا دون أن يكون هناك نية منه على إطاعة الله فيها؛ فربتت مؤمنة على كتفها داعية الله أن يتم أمر حبها لسامر على خير، وحبه لها على طاعة الله.

ورحلت يلدس على وعد من مؤمنة أن تزورها وسامر مع والديه بالإضافة إلى طه في مساء اليوم التالي قبل أن تذهب ثانية لقصر الجنرال.

ومن بعد رحيل يلدس ظلت مؤمنة في غرفتها تبكي قلبها، لم تكن أبدًا في حالةِ غيرة من يلدس أو يمنى التي يحبها طه بأكثر ما يكون

وإنما لرغبتها في لقاءِ من يصون قلبها، في من يجعلها فتاة استثنائية بالنسبةِ لقلبه، ترغب في رجل يشعرها أنها أعظم انتصاراته وتشعره أنه هبتها العظيمة التي منَّ الله عليه بها بعد طول حربٍ مع الحياة، تريد أن تبتهج به ويبتهج بها وترغب أن تتذكره في كل كبواتها فتطمئن بوجوده وتحمد الله على الكبوة ما دام هو إلى جوارها، تريده لا يفلت يدها مهما قابلتهم من ظروف الحياة البائسة.

وظلت مؤمنة تلك الليلة تبكي وتسأل لماذا تأخر الحب عنها كل ذلك الوقت؟ وظلت تعتصر ألمًا خوفًا من ألا يكون لها نصيب فيه وأن تكون ممن كان قدرهم هروب الحب من قلوبهم.

على الرغم من أننا أحيانًا نخاف الحب ونخشى أوجاعه إلا أننا رغم ذلك نريده بشدةٍ ونرغب أن يقتحم قلوبنا حبًا عظيمًا لا تظمأ قلوبنا من بعده أبدًا، وكما نحن كانت مؤمنة تخشى أوجاع الحب، لكنها ورغم ذلك ترغبه بشدة، فإلى كل من يشتاق حبًا فليجعل الله من الحب الصادق نصيبًا له وعلى الحلال جُمع مع من أحب.

ثلاثة أيام على ذلك الحدث وعلى اختفاء آدم من المشهد وسرت الأمور كما رغب سامر ورغبت يلدس وبعد ساعاتٍ سيكون حفل خطوبتهما وقد عزمت أهل مؤمنة وأهلها وأهل سامر فقط؛ فاستعدت مؤمنة وطلبت من دانة الذهاب معهم لكنها رفضت ذلك لعدم تأهلها النفسي ولخوفها من غضب طه، وقدرت مؤمنة ذلك وطلبت من يمنى سرعة الانتهاء حتى يلحقن بالحفل، لكن يمنى اقترحت على مؤمنة أن تذهب هي، وأنها ستلحق بها لأنها تحتاج إلى المزيد من الوقت، وكان قد سبق الجميع طه على اتفاقٍ أنهم سيلحقون به، ودخلت مؤمنة دون

يمنى فسألها طه عن خطيبته فسردت له ما حدث؛ فهاتف طه يمنى مقترحًا عليها أن يذهب لاصطحابها لكنها رفضت بحجة أن منزل يلدس قريب ولا داعي لذلك؛ فانتظرها أمام منزل يلدس وصُدم لما رأى يمنى؛ لقد وجدها بهيئتها الفرنسية الأولى، فستان قصير وشعر مسدول على ظهرها وكأنها تقول له أنني تراجعت عن كل شيءٍ بيني وبينك فاقترب منها طه وسألها وهو يكظم غيظه عن ذلك الذي تفعله بنفسها فداهمته بإجابتها العنيدة:

ـ لا شأن لك بي.

ـ ما الذي دفعكِ للذي فعلتيه بنفسكِ؟ أجيبيني، "**سأل طه مرة أخرى**".

ـ قلت لك لا شأن لك بي، "**بعنادٍ أكبر أجابت يمنى**".

أثناء ذلك اقترب منهما كريم وبتلقائيةٍ لم تتوقعها يمنى من طه خلع جاكته ووضعه على كتفها العاري؛ فوضعت هي رأسها في الأرض ودخل كريم فورًا حتى أنه ألقى السلام دون أن ينظر إليهما، ولما ابتعد كريم لم يتحدث طه وإنما وجه يمنى إلى منزل أليفة وسارت يمنى بعد أن اعترضت قليلًا لكنها استجابت لطه بعدما رأت الغضب ينبثق من عينيه.

ودخلا المنزل وأول ما فعله طه أنه أمر يمنى ألا تذهب للخطبة ورفضت الأخيرة فكظم هو عظيه وقال:

ـ إذًا استبدلي ملابسكِ.

لكنه ورغم كظم غيظه لم يجد من يمنى إلا عندًا فهدأ وقال لها وهو يمتص غضبها وعنادها:

ـ تعاهدنا على الصدق وعلى الحب في الله يا يمنى ومن حقي عليكِ أن تخبريني ما الذي أوصلكِ لتلك الحالة؟

ـ أنت، "**قالت يمنى وهي تبكي**".

ـ كيف؟ "**سأل طه مندهشًا**".

ـ لقد نقضت عهد قلبي وإنني لدي كرامة فلتتركني وشأني، إنني لن أحزن بشأن ذلك، "**قالت يمنى**".

لم يفهم طه ما ترمي إليه يمنى، ورفضت هي توضيح الأمر إلى أن أقسم عليها بالبوح بما يزعجها منه؛ فأخبرته أنها وجدت منه اهتمامًا وخوفًا على دانة، وسمعت دانة وهي تقول لمؤمنة أنها خسرت طه وتتمنى لو أن تعود إليه.

ابتسم طه وقال وهو يمزح:

ـ أتغارين يا يمنى؟

فاحمر وجه يمنى خجلًا ثم أنكرت ما قاله طه، طه الذي أفهمها أنه لا يرى زوجةً غيرها، وأنه عاهد الله قبل أن يعاهدها أن يصون حرمة قلبها، وأن خوفه وقلقه على دانة هو من قبيل صلة الدم كونه ابن عمها وهذا واجبه تجاهها.

صمت طه قليلًا ثم سأل يمنى:

ـ أتحبين الله يا يمنى؟

ـ بالتأكيد، أجابت يمنى التي هدأت إثر كلمات طه لها عن مدى تمسكه بها.

ـ إذا كيف لكِ أن تعصيه عنادًا في أحد؟! أتعاقبينني بمعصيتك لله؟ هل هذا من وجه الحق؟

قال طه وهو ينظر إلى يمنى التي لامت نفسها على فعلتها المتهورة، وقامت واستبدلت ملابسها بملابس تليق بمسلمة تطيع الله واعدة طه ألا تعود لمثل تلك الأفعال الغير مسئولة مرة أخرى.

علينا أن ندرك أن الله يُعبد لأنه العظيم، إننا لا نعبده ليرضى بشر عنا أو لحبنا لبشري؛ إنما نعبده لأنه المطلق الواجد الرحيم الغفور الذي خلقنا لعبادته، ليهدينا الله عن فعلة كتلك التي ارتكبتها يمنى، وليهدي قلوبنا لطاعة الله بغض النظر عن الأشخاص الموجودين بحياتنا، لنعبد الله حبًا له وطاعة فيه لا لا ليعجب أحدهم بنا.



"ليساعدك الله على تجاوز أوجاعك بشجاعة"

ليس سهلًا أن تتجاوز أوجاعك وحدك، إن ذلك يحتاج إلى شجاعة عظيمة، وتلك الشجاعة لن تأتيك إلا بإيمانك أن الله سيساندك في مواجهة الأمور بصلابة.

أن تُخلي عقلك من كل شيءٍ يزعجك، وأن تتجنب كل ما تمر به من كابوسية في الحياة لتركز في شيءٍ واحد؛ إن ذلك ليس بالأمر السهل ورغم صعوبة ذلك إلا أن مؤمنة استعانت بثقتها بخالقها لتتجاوز التفكير في كل شيءٍ سوى امتحانات الكلية التي انعقدت بعد سبعة أيام من خطوبة يلدس، للآن لم تستطع مؤمنة تخيل أنها واجهت الأمر من جديد وذهبت إلى الجامعة لتواجه كبرياء وظلم محارب من جديد، إنها مندهشة من كونها تحملت رؤية من حرق وقتل دون أدنى شعورٍ بالذنب.

قابلها محارب كالعادة عند باب الجامعة سألها عن هويتها التي يعرفها جيدًا فأشهرتها في وجهه وكأنها تقول له لن تستطيع أن تهزم الحق يا محارب، ودخلت مؤمنة الجامعة وأدت امتحانها وخرجت فوجدت كريم في انتظارها يخبرها أن الكاميرا سجلت شيئًا في منتهى الخطورة وعليه إخبارها به، لكن المكان لا يليق بالوقوف معها لأكثر

من ذلك، واتفقا على أن تنتظره في منزل أليفة بعد منتصف الليل على أن يكون طه ويمنى حاضرين ومن بعد ذلك الاتفاق غادرته وهي تُخمن الخبر الذي عرفه كريم، لكنه تخمين دون جدوى؛ فلم تكن لتتخيل أن الأسوأ لم يأت بعد، لم تكن أبدًا لتصدق أن الجنرال زار رئيس الجامعة في صباح اليوم واتفق معه على عملٍ إجرامي لا يتخيله بشري لولا أن سمعت بأذنها في الفيديو أنهما ينتويان على تجميع كل الأقليات المسلمة في لجنةٍ امتحانية واحدة، ومن بعد ذلك القيام بتصفيتهم بطريقة تدل على أنها قضاء وقدر، وغايتهم من وراء ذلك ألا يخرج للوطن فئة متعلمة واعية مثقفة من المسلمين؛ فيكون ذلك بمثابة هزة قوية لسلطاتهم الإجرامية.

لم تكن مؤمنة تتخيل أن ثقلًا جديدًا كهذا سيلقى على كاهلها، ولم يكن ليتخيل كريم أن رد فعل مؤمنة سيكون كهذا الانهيار الذي وجده منها وإغماءً كذلك الذي تعرضت له.

كانت مؤمنة في ذلك اليوم أضعف من أن تواجه المواقف بصلابة كعادتها، أو لأن تفكر فيه مباشرة، أو حتى لتتناقش في حل مع رفقائها، وكأنها تهرب من العالم كله بفقدها للوعي، ولقد أعطى لها كريم دواء جعلها تدخل في نوم حتى صباح اليوم التالي، وظلت مؤمنة على صمتها إلى أن هاتفها ماركٌ محامي رفقا يخبرها أنه قد انتهى من كل ما يخصها في مال رفقا ولقد أرسل المال لها عبر حسابها البنكي، ولما وجد في صوتها الوهن أصر على معرفة ما بها لعله يفيدها بمشورة أو مساعدة، ربما كانت مؤمنة تريد بالفعل أحد الأشخاص البعيدين عن الأحداث لتسرد له ما حدث لربما يرى حلًا مناسبًا بهدوء بعيدًا عن الضغط النفسي الذي تتعرض له هي ومن حولها فيكون تفكيره أفضل.

في البداية لم يصدق مارك ما سردته مؤمنة وبالنهاية لم يمتلك سوى التصديق بعدما أرسلت له الفيديو الأخير بالإضافة إلى فيديوهات حرق الأطفال في المسجد وغيره من الفيديوهات التي يُتجاوز فيها ضد حياة من لا ذنب لهم سوى أنهم ولدوا أقليات في موطنهم، أغلق مارك الهاتف مع مؤمنة على أن يفكر وحده بهدوءٍ واعدًا إياها بأن يتصل بها في المساء، وفي ظل كل تلك الأحداث ظهر آدم في المشهد ودخل لمؤمنة غرفتها يخبرها أن المهلة التي أعطاها لها لإعادة مال والده له قد انتهت وعليها تنفيذ ما اتفقا عليه.

- متى سيكون عقد قرانك على دانة؟

بهدوءٍ سألت مؤمنة وتلقت أبشع إجابة يمكن أن تتخيلها؛ لقد رفض آدم الزواج من دانة ووصفها بأبشع الكلمات مشككًا في الطفل الذي في رحمها مدعيًا أنه ليس منه، وسمعت دانة رفض آدم لها فانهارت رغم تهديد مؤمنة له بأنه لن يحصل على شيءٍ قبل عقد قرانه على ابنة عمها.

لم يعد لها أية سلطة على مستقبلها، إنها ذليلة لآدم متورطة تحت رحمته لا تستطيع حلًا فتمنت أن تغيب عن الوجود بأكمله.

لم تتحمل دانة حياة لا كرامة فيها، ولم تتخيل يومًا أن الذل سيكون هو الطابع السائد في حياتها يومًا ما، وحينها أمسكت السيكن الحاد وقطعت يدها، تخيلت أن ذلك أرحم لها من وجع كالذي تعيشه، وأفضل من التفكير والذل لآدم الذي لا يعبأ بها، وحينَما كانت تنزف الدماء لم يكن في ذاكرتها سوى حب طه لها والذي رفضته مقابل اللا حب والخذلان، ولولا أن دخلت مؤمنة عليها فور فعلتها مباشرة لم تكن

أبدًا لتنجو منها ولكانت الآن واقفة أمام ربها يسألها عن قتلها لنفسها ونفس من في رحمها.

استعانت مؤمنة بكريم الذي أنقذ الموقف دون خسائر، ولم يهتز لآدم ساكنًا إثر ذلك الموقف، لكن اهتزت له يمنى التي ولأول مرة تعرف أن دانة في كارثة سببها آدم، واهتز له كريم الذي صُدم لمعرفته بحمل دانة، كريم الذي وعد مؤمنة ألا يتحدث في الأمر لمخلوقٍ أيا كان، لكنها صححت له معلوماته كذبًا عليه وبثباتٍ أخبرته أن دانة معقود قرانها على آدم والأمر ليس بالصورة التي فهمها، كذبت مؤمنة لكي لا يرى أحد دانة بعين السوء، وأوهمها هو أنه يصدق حديثها كي لا يشعرها أن ابنة عمها قلت في نظره وحفاظًا على مشاعر مؤمنة التي لن تتحمل نظرة كتلك لدانة، وانسحب كريم من المشهد، وفور ذلك دخلت أليفة لأميرة تهددها أنها لن تحصل هي وآدم على مال أمين إلا لو نفذ شرط زواجه من دانة، وصدمتها أميرة ببرودها وعدم اعترافها بخطأ ابنها، إنها كما الثقافات تُحمل البنت الخطأ كله ولا لوم على الولد، وكأن الله سيحاسبنا بمكيالٍ للإناث ومكيالٍ آخر للذكور، وحاشاه أن يفعل ذلك، إننا سنحاسب أمام الله بمعيار الحق فمن أخطأ من ذكرٍ أو أنثى فعليه حسابه، فلنتق الله في أحكامنا ولنحكم بضمائر حية حين نتعرض للحكم.



"لتساندني يا الله لتجاوز كل ذلك الأذى"

"يا الله اشتد الحمل وسُدت الطرق وأغلقت السبل بوجهي ولم يعد لدي طاقة لكل ما يمر بي من أذى فاسندني وأعني، يا الله لم أكن أبدًا لألجأ إليك في كل مواقفي إلا وقد منحتني العزم والإيمان الذين أستطيع بهما مواجهة كل الأوجاع التي لم أتخيل يومًا أن أمر بها، يا الله لاجئة إليك أطلب عونك واثقة في قدرتك فبث في روحي الطاقة لمواجهة كل ذلك الخذلان، أُغلقت السبل إلا سبيلك فافتح لي حلًا أستعين به على تجاوز الألم، لم يعد يتحمل قلبي الأذى فشد على يدي يا الله وامنحني القدرة على مواصلة الحياة بشجاعة"، تلك هي الكلمات التي ظلت مؤمنة طوال الليل تدعو بها ربها، إنها لم تعد قادرة على التفكير، ولم تعد تستطيع أن تتحدث لبشر، ولم يعد لديها طاقة لسماع أي شخص على الإطلاق، ولم تجد حلًا سوى أن تسجد وتقترب من خالقاها لتدعوه كما أمرها ليستجب لها كما وعدها؛ ألم يقل الله تعالى "وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ"، وظلت مؤمنة تبكي لربها وتدعوه إلى أن حل الصباح وأفاقت على رسالة نصية من مارك يقول فيها:

- **"أعتذر لعدم اتصالي بالأمس، عليكِ فقط اليوم متابعة الأخبار على كل القنوات العالمية".**

لم تستوعب مؤمنة الغرض وراء طلب مارك ولم تفكر في شيء فقط ذهبت لجهاز التلفاز وفتحته على قناة إخبارية، وما أن فعلت حتى فهمت السر وراء رسالة مارك لها، إن تلك القناة الإخبارية وغيرها ليس لديهن حديث سوى التجاوزات التي يفعلها الجنرال ضد الأقليات المسلمة في بلدها، الفيديوهات التي سجلها كريم وسامر ويلدس كلها مذاعة على القنوات والقنوات لا تعليقًا لها سوى تعليقٍ واحد وهو:

- إن لم تدين الحكومات تلك التجاوزات فالشعوب ترفض كل ذلك العنف.

أحاديث مطولة عن نية الجنرال ورئيس الجامعة فيما ينتويان على فعله تجاه الطلاب المسلمين، وتحذيراتٍ من دولٍ ضد ارتكاب هذا الفعل الغير مسئول والذي لا يمت للإنسانية بصلة واندهاشٍ من مؤمنة لما يحدث، وتساؤلات كثيرة وردت في ذهنها عن كيف لمارك في تلك الفترة القصيرة أن يثير الرأي العام في كثيرٍ من الدول بواسطة القنوات العالمية.

هاتفت مؤمنة مارك فورًا لتفهم منه ما الذي حدث؟

فأخبرها ببساطةٍ أنه له علاقة بالسلطة الحاكمة بفرنسا، وتلك السلطة ساندته في الوصول إلى تلك القنوات، ولقد أرسل للجميع نسخ من التجاوزات التي تحدث في بلدها، واستطاع بذلك إثارة الرأي العام للشعوب.

كل كلمات الشكر لا تكفي أحيانًا للتعبير عما في دواخلنا تجاه الأشخاص، وهذا الذي حدث لمؤمنة خاصة بعدما رأت القنوات الخاصة

بلدها تنفي نية رئيس الجامعة أو الجنرال قتل الطلاب المسلمين، وأن كل الأحداث المذاعة مؤخرًا هي من قبيل الحقد من بعض الأشخاص، وعلى رأسهم فتاة متعصبة تدعى مؤمنة، لم تغضب مؤمنة من إلقاء تهمة كتلك عليها؛ إنما فرحت لكونهم لن يستطيعوا رغم كرههم للطلاب المسلمين أن ينفذوا ما انتوا عليه وإلا باتت سمعتهم أمام شعوب العالم تحت مطرقة الحساب.

اعتبرت مؤمنة ذلك الحدث انتصارًا جزئيًا على الظلم واستجابة من ربها لدعائها، وإشارة للحق الذي مهما غاب سينتصر بالنهاية، أما محارب اعتبره ثأرًا جديدًا عليه أن يقتصه من مؤمنة، واشتعلت في رأسه فكرة الانتقام من جديد خاصة بعدما أثاره جنراله بحديثه المتقن ضد تلك الفتاة، جنراله الذي أمر الجميع بالاستعداد لتنفيذ أوامره فور صدورها.

أصبح الجنرال ورئيس الجامعة متورطين أمام العالم بأسره، والإجراءات ضدهما باتت بين لحظةٍ وضحاها، وثار الجنرال خاصة بعد معرفته بخبر إيقاف رئيس الجامعة عن العمل لحين انتهاء التحقيقات، ورغم أن ذلك الإجراء في حقيقته ما هو إلا إجراء شكليًا لنفي تهمة أن حكومة ذلك البلد عنصرية أمام العالم وخاصة أن الإعلام وجه توجيها لا رجعة فيه ضد تلك القضية، إلا أن رئيس الجامعة شعر بالهزيمة أمام مؤمنة التي علم من الجنرال مؤخرًا أنها السبب وراء كل تلك الأحداث، واتفق رئيس الجامعة مع الجنرال على تكليف محارب بمعرفة الشخص الذي وضع الكاميرات في الجامعة وخاصة بعدما نوه أن مؤمنة ليست ذلك الشخص؛ حيث أنها لم تدخل الجامعة يومًا إلا وقد أجرى معها تفتيشات حاسمة لا تستطيع من بعدها أن تُفكر مجرد

تفكيرٍ في أن تجاذف بإدخال كاميرا فيديو إلى الحرم الجامعي، لا أن تضعها في مكتب رئيس الجامعة، وأن الرأي الصواب في تلك الحالة أن أحدا ممن لهم سلطة الدخول إلى حجرة رئيس الجامعة هو من فعل ذلك، وكان حديث محارب منطقيًا، واتفق جميع من سمعه عليه؛ على أن يقوم محارب بمعرفة الشخص الذي ساعد مؤمنة في زعزعة سلطانهم دون أن يقبض على مؤمنة لما في ذلك من إثارةٍ للرأي العام، وظل محارب يتجسس ويسأل ويدقق النظر في كل ما لديه من معلومات، واشتبه في ثلاثة أعضاء جامعيين من بينهم كريم حيث أصله المصري وكونه ينتمي إلى المسلمين، لكنه لم يتخذ إجراءًا ضده؛ فقد قرر مراقبته هو والعضوين الآخرين لحين الوصول إلى معلومةٍ مؤكدة بشأن ذلك، وأصبح كريم تحت نظر محارب لكن كريم ومؤمنة لم يكونا بتلك السذاجة ليقع كريم بسهولة في ورطة محارب، إنه قرر بتفكيرٍ بسيط أن يتجنب مؤمنة التي فعلت كما فعل هو دون اتفاقٍ بينهما، لكن الحكمة جعلتهما يفعلان نفس الشيء خشية أن يصيب كريم ضررًا، وتجاهل كريم مؤمنة كما لم يحدث من قبل وفعلت هي بمثل ما فعل.



"سلام على الذي لم يؤذها في قلبها"

"كم كان يلزمني من الإيمان كي لا أتورط فيه، وكم كان يلزمني من الحكمة لأواجه واقعي بشجاعة، إن واقعي السابق كان أفضل لي ألف مرة مما أنا عليه الآن، إنني لا ألوم آدم بقدر لومي لتفكيري الأحمق، إنني حمقاء إلى حد الشفقة، أن أترك إيماني لأجل ما لا يُرضي الله ذلك هو قمة الحمق، حينما قطعت يدي لم أفكر سوى في ألا أزعجكم بحماقتي فيكفيكم تحملي إلى هذا الحد، إنني حتى لا أستحق أن تتحاوري وتجلسي معي الآن يا يمنى، عليكِ الابتعاد عن امرأةٍ لا تستحق الحياة مثلي"، قالت دانة تلك الكلمات ليمنى التي دخلت لها لتطمئن على صحتها ولتطمئنها على أن كل شيء سيكون على ما يرام ولتعتذر لها عن كل ذلك الذي قاسته بسبب أخيها آدم.

وبكت يمنى إثر كلمات دانة المؤلمة، بكت وجع قلب دانة، وبكت وجعها القديم من سليم، وبكت هبة الله لها بقلب طه الذي أقسم لها يومًا أنه لن يؤذها في قلبها مهما مرت الأيام، وبكت على بُعدها عن ربها لسنواتٍ طوال، ذلك البعد الذي أهدر طاقتها النفسية لسنوات، وبكت لله داعيةً أن يبث الحل في قلبها لتساعد دانة على تجاوز محنتها

خاصة وهي تعلم تمام العلم أن آدم ليس سهلًا ليفعل ما يريده منه الجميع، إنه صلب ولا يهزم بتلك السهولة حتى وإن كانت المساومة على مال أمين بالكلية، إنه يمتلك الدهاء لصنع ألف حلًا لأخذ مال والده دون أن ينفذ لأحد رغبته في زواجه من دانة.

وغادرت دانة يمنى وتوجهت لأداء صلاة العشاء، ومن بعد ذلك جلست مع مؤمنة وطه والجدة ليقرأوا سورة البقرة لتهدأ نفوسهم قليلًا ولتطمئن قلوبهم التي ليست على ما يرام بذكر الله تعالى، وجلس الأربعة يفكرون فيما الذي يجب عليهم فعله في أمر دانة؟ وصمت الجميع عن ذكر حل لتلك الورطة إلا يمنى التي تنهدت ثم قالت:

- لن يستجيب آدم للزواج من دانة إلا لو ضُغط عليه بشيءٍ أقوى من المال، هو أخي وأنا أعلم عن طبيعته ما لا تعلمون.
- ما الذي تقصدينه بالتحديد، "**سأل طه**".

وصدمته يمنى بإجابتها، إنه لم يتوقع حلًا كذلك الذي طرحته يمنى؛ لقد اقترحت أن يوهموا أميرة وآدم أن طه فعل بها مثلما فعل آدم بدانة، وحينها لن تستطيع أميرة إلا الضغط على آدم للزواج من دانة في مقابل زواج طه من ابنتها.

غضب طه من ذلك الحل وثار كما لم يحدث له من قبل رافضا أن يُقال على يمنى كلمة واحدة تسوءها، إنه يعتبر ذلك أذى لقلبها وهو لن يقبل على من ستكون زوجته وضعًا كذلك الذي طرحته يمنى.

صمت الجميع منتظرين تعقيب الجدة أليفة التي رفض قلبها ذلك الحل واضعة ذكاء أميرة وآدم نصب عينيها؛ فهم ليسوا بالغباء

لتصديق الأمر دون فحصٍ وتدقيق منهم، لكنها بالنهاية لم تجد سوى أن يجاذفوا في الأمر لعلّ الله يصلح حال دانة بتلك الحيلة، ولقد أقنعت أليفة طه أن يوافق على ألا يخرج الأمر من بين جدران المنزل واثقة أن أميرة وآدم هما الأخريان لن يتحدثا لمخلوقٍ في الأمر؛ لأن ذلك من شأنه تلويث سمعة يمنى ومن المستحيل أن تقبل أم أو أخ ذلك مهما كان بهما من صفات، وافق طه بعد وقتٍ ليس بالقليل، وذات يوم بعد ذلك الاتفاق فتح آدم بكبرياء أمر المالٍ مع مؤمنة، وقد كان ذلكً الحديث على مسمع من الجميع، ولقد أعادت مؤمنة على آدم ربط أمر زواجه من دانة بأمر المال فرفض بكل ما امتلك من كبرياءٍ وصمت الجميع، ثم تحدث طه وقلبه يتألم مما هو مُقبل عليه من حديثٍ:

- إذًا لتتزوجها مقابل زواجي من أختك يمنى.

وإثر تلك الكلمات بُهت آدم وصُدمت أميرة غير مصدقين ما يرمي إليه طه، واتجها نحو يمنى منفعلين عليها، ولقد صفعها آدم حينما وافقت على ما يرمي إليه طه وطرحها أرضًا؛ فدنت إليها الجدة وأخذتها بين يديها وهي تقول:

- **"كما تدين تدان"**.

وجلست أميرة على المقعد واضعة رأسها بين يديها وهي تقول سيكون عقد قران دانة ويمنى يوم الخميس المقبل، وصمت آدم موافقًا على ما أعلنته والدته وكأن الله قد سحب منهما ذكائهما وأغشاهما عن أن ذلك الأمر من الممكن أن يكون خدعة فقط للضغط عليهما ليحلا مشكلة دانة، هو الله حين يقول للشيء كن فيكون.

ابتسامات غائبة عن وطن مؤمنة وعن منزل أليفة، وعزاء لحال قلوبٍ أوجعها الحب، حُب أن يكونوا مواطنين آدمين لهم ما للجميع من حقوقٍ وعليهم ما على الجميع من واجبات، وحُب للكرامة التي أهدرت بسبب أنفسهم أولًا ثم كان لأشخاص آخرين دور فيها، وحب لعدم إيذاء قلب المحبوبة وقد فُعل ذلك غصبًا لحل مشكلة أخرى، إنها الأعماق الموجوعة التي لم تكن لتدرك يومًا أن مصيرها سيكون كارثيًا وكابوسيًا بذلك الشكل.

وجاء الخميس الموعود وسط ذلك الحزن الكبير ولم يكن فرحًا بقدر ما هو حلًا لأزمةٍ وعُقد قران آدم ودانة أولًا ثم من بعد ذلك يمنى وطه، طه الذي يحمل في قلبه النقيضين فرحًا لجمعه فيما يرضى الله على حبيبته، وحزنًا على وضعها في موقفٍ كذلك الذي هي فيه.

خرج آدم من بعد عقد القران مباشرة ودخلت دانة غرفتها تقاسي وحدها وجع ما اقترفته في حق نفسها، وتبكي كسرها لفرحتها في يوم كهذا وندمًا على ما أوصلت به نفسها لتُترك كنكرةٍ لا كرامة ولا مكانً لقلبها عند أحدهم ولا قُدسِية ليوم كذلك، ولم تجد غير ربها ورغم ذنبها الكبير جلست لتبكي على سجادة الصلاة ليسمعها الله رغم كل ما هي فيه من معصيةٍ وليهدأ قلبها من بعد حديثها لله بصلاتها، وحديث الله لها بقراءتها للقرآن ونامت إلى أن شعرت برجوع آدم للمنزل وسمعت الجدة وهي تحاول معه لأن يدخل لزوجته لكنه رفض بقسوةٍ واصفًا إياها بأنها أكثر الأشياء كارثية له في حياته؛ فأدمعت الجدة التي لامت نفسها على أنها لم تعتنِ بدانة لدرجة أنها تصل لتلك الدرجة من الدونية في نظر أحدهما، ودخلت الجدة إلى غرفتها لا تستطيع الرد على آدم.

أما عن طه ويمنى فاحمر وجه يمنى خجلًا وحبًا وسعادة لجمعها على طه في الخير وحمدت الله كثيرًا لكونها استطاعت بفضل ربها أن تحل أزمة دانة بزواجها من طه.

قبَّل طه جبين يمنى وبارك لها زواجها ودعاها أن يصلا الله ليصلهما الله في حياتهما؛ فقاما وتوضأ وصلوا سويًا لله ثم من بعدها تلا على مسامعها سورة يوسف فاطمئن قلبها بها وابتسمت له بعدما انتهى هو من التلاوة فقبَّل جبينها ثانيةً واستأذنها لينام؛ فوافقت هي غير فاهمةٍ ما السر وراء تصرفٍ كذلك من طه، واستحت هي أن تسأله فنامت وفي رأسها ألف تساؤلٍ لا تستطيع أن تعطي حلا واحدا يقينًا لأي سؤالٍ منهما.

وفي صباح اليوم التالي وجدت يمنى طه مستيقظًا وأحضر لها طعام الإفطار، وأطعمها بحبٍ بيده فازدادت حيرتها إثر تصرفه ذلك، فما الذي يفعله وما السر وراء التناقضات في تصرفاته؟ ورغم حيرتها ظلت كاتمة لتساؤلاتها في جوفها حياءًا منها ولم تنطق إلا حينما سألها طه:

- أتثقين في حبي لكِ يا يمنى؟
- نعم، "**أجابت يمنى بثقةٍ رغم حيرتها الشديدة بشأن تصرفات زوجها**".
- إذًا لا تستعجلي الأمور وثقي أن حُبكِ لي عظيم وإنني أضع الله نصب أعيني في تصرفاتي تجاهكِ، فلا تفكري في شيءٍ واعلمي أن كل شيءٍ سيكون بأحسن ما يكون، "**قال طه وهو يهم للخروج من الغرفة**".

صمتت يمنى وخرج طه من الغرفة تاركًا زوجته تقاسي حيرتها وحدها ولا تفهم ما الذنب الذي اقترفته كي لا يضمها طه بين أحضانه في أول يوم زواج لهما، وأن يمارس معها أجمل لحظات الحب، وخشيت أن يتركهاً طه فبكت ثم هدأت حينما تذكرت حديثه عن مدى حبه لها، فكيف يتركها وهو الذي علمها أن الحب أعظم من الغدر وأرقى من أن يؤذى قلبه بفراقها، وكيف يغادرها وهو من علمها أن أعظم حب كان حب قائده محمد عليه السلام لزوجاته؟ من المستحيل أن يفعل ذلك.

طردت يمنى الشيطان من تفكيرها ودعت ربها أن يصلح الله الحال بينها وبين زوجها بأسرع ما يكون.



"ليبث الله في قلبك شجاعة مواجهة ما يؤلمك برضا"

كم يكون قاسيًا حينما لا تستطيع أن تأخذ قسطًا من الراحة بين الأحداث المؤلمة التي تمر بك، إن ذلك يلزمه شجاعة غير معتادة يبثها الله في قلب المبتلي ليواجه كل ما يمر به من صعوباتٍ بصلابة، ولعل خير دليل على ذلك يوسف عليه السلام وما مر به من ابتلاء حتى أنه صبر ورضيَ بما كتبه الله له وتجاوز كل الألم بفضل الله وقلبه مطمئن.

على كل حال أدرك جيدًا أنكم ما زلتم تتذكرون كريستينا ابنة عم القديسة رفقا رحمة الله عليها، كريستينا التي لم تنسَ ثأرها مع مؤمنة والتي لا تترك فرصة واحدة تأتيها لتعيد إلى نفسها هبة رفقا التي وهبتها لمؤمنة ولوطنها، وقد جاءتها الفرصة على طبق من ذهب؛ فحينما سمعت أخبار موطن مؤمنة والخطر الذي يلوح للجنرال ورئيس الجامعة لم تتأخر للحظةٍ في استغلال الفرصة وسعت بكل جهدها لأن تتواصل مع أحد الرجلين، وظلت تسعى بجهد كبير لتصل لمبتغاها إلا أن استطاعت الوصول إلى هاتف الجنرال عن طريق صديقة تعمل مذيعة بإحدى القنوات الإخبارية بفرنسا، والتى قد أجرت من قبل مهاتفة مع الجنرال ليرد على الاتهامات المنسوبة إليه مقابل مبلغ ليس

بالبسيط من المال وظلت تهاتفه في اليوم الواحد لأكثر من عشرين مرة دون فائدة فأرسلت له رسالة نصية مفادها التالي:

"باختصار أعلم أنك تريد التخلص من البلبلة التي أحدثتها مؤمنة في بلدك في الفترة الأخيرة، لدي الحل وسوف أخبرك به فور معاودتك الاتصال بي."

المخلصة كريستينا.

قرأ الجنرال الرسالة بعد خمس ساعاتٍ من إرسالها واستدعى محارب وأمره بمهاتفة المرسلة ليعرف منها ما الذي ترغب في الإعلان عنه تحديدًا وفعل محارب بمثل ما أُمر به، محارب الذي شعر بجدية كريستينا من أول دقيقةٍ تحدث إليها فيها وهو الذي ما اعتاد على الوثوق بأحدهم إلا بعد الكثير من الوقت، وجاء ذلك الوثوق حينما بدأت حديثها بقولها:

لتربح في معركة مؤمنة عليك استخدام نفس سلاحها المدمر وهو تشويه صورتها أمام رفقائها والأقليات المسلمة في الوطن، وسيقومون هم ببقية المهمة أمام الجميع، لتفعلوا بصورتها كما فعلت هي بكم أمام العالم بأسره ولدي الشيء الذي يهز صورة مؤمنة بصورة كبيرة، وسأقوله لك ولجنرالك إذا اتفقنا على إرجاع مالي من مؤمنة فور إخبارك، على أن تأخذوه منها أنتم فور فوزكم بموافقة الرأي العام ووضعها بالسجن.

- السجن!

ردد محارب مندهشًا.

- اعدك أنها ستسجن، "**قالت كريستينا**".
- ما أمر ذلك المال وكم مقداره؟ "**سأل محارب**".

صمتت كريستينا قليلًا ثم أخبرت محارب بأمر المال الذي وهبته رفقا لمؤمنة، ولولا وجود تلك الفتاة ما آل المال إلا اليها وما قاسمها فيه أحد.

أغلق محارب الهاتف على وعدٍ منه بمشاورة الجنرال في الأمر ومن ثمَّ معاودة الاتصال بها، وبالفعل أخبر محارب الجنرال فور إغلاقه الهاتف مع كريستينا وقد حضر الحديث رئيس الجامعة واتفق الجميع على إعطاء فرصة لكريستينا لقول ما الذي تعرفه عن مؤمنة ليزعزع شعبيتها بكل قسوةٍ على حد تعبيرها؟ على أن تأخذ المال فور سجن مؤمنة إن كان ما ستقوله سيؤدي إلى سجنها بالفعل، ووافقت كريستينا على أن تأخذ المال بعد سجن مؤمنة فور بوحها بما يزعزع مصداقية مؤمنة أمام الجميع متيقنة أن ما ستقوله سيؤدي إلى ذلك بالفعل، واتفقت كريستينا مع محارب بإرسال بريد الكتروني تشرح له وجهة نظرها كاملة بشأن مؤمنة، وبالفعل لم يمر ساعة حتى أرسلت كريستينا بريدًا الكترونيًا ينص على التالي: "**من حسن حظك أن مؤمنة قد عاشت في طفولتها ولسنوات طويلة بمنزل القديسة رفقا وهي تدين بالمسيحية، وقد درست بمدرسة الراهبات وتلك المدرسة بالتحديد غير مدارس الراهبات الأخرى؛ لا تدخل إلى حرمها سوى ذوات الديانة المسيحية، وأنا أثق جيدًا أنكم إن استخدمتم هذا ضدها وأقنعتم المسلمين بأنها مسيحية سيحدث ضد تلك الفتاة ضجة كبيرة، أقصد أن تستغلون فكرة تلاعبها بالأديان فيوما مسيحية ويوما مسلمة، أعلم انكم الآن تقولون أن رفقاء مؤمنة والأقليات المسلمة التي تتبعها لن تصدق ذلك الحديث إلا بأدلة مادية قاطعة، وذلك ما فكرت فيه جيدًا؛ لتقولون أن مؤمنة**

اعتقدت بالمسيحية مقابل مال رفقا ورصيدها البنكي الذي أعلم انكم تستطيعون الحصول عليه وسيثبت ذلك بسهولة، وأود أن أخبركم أن الرصيد محول من فرنسا على يد محامي القديسة رفقا "مارك"، مما يعني تورط عقول البعض في تصديق التهمة التي ستلصقونها بالفتاة، ذلك بالإضافة إلى شهادتها الدراسية بصفها الأول للترم الأول والمدون بها أنها اجتازت مادة التربية المسيحية والتي استطعت أن أحصل على نسخة منها من مدرسة الراهبات، والتي سأرسلها لكم في المرفقات، هذا إلى جانب فيديو قمت بصنعه أنا واخوتى نعلن فيه صراحة أن القديسة رفقا قد أخبرتنا من قبل أنها قللت من نصيبنا في التركة لكونها بشرت إحداهن بالمسيحية عن طريق المال".

المخلصة كريستينا.

تصف نفسها في نهاية خطابها بالمخلصة وهي التي لا تفقه عن كلمة الإخلاص شيئًا، لمؤمنة الله ضد أفكار كريستينا المؤسفة.

كمن أمسك بقشة النجاة هو الجنرال ورئيس الجامعة الذين وافقا مباشرة على تنفيذ ما أرسلته كريستينا في الخطاب ضد مؤمنة اعتقادًا منهم أن الأديان عند الجميع خط أحمر وأن أي مساس بها أو الشعور بالكذب تجاهها هذا من شأنه أن يقلب الأمور رأسًا على عقب.

وفي صباح اليوم التالي من إرسال هذا الخطاب كانت الخطة قد اكتملت لشنها ضد مؤمنة ولإخراج أنفسهم سالمين أمام الرأي العام، وليرجع رئيس الجامعة إلى منصبه، ولينتصر محارب أخيرًا على الفتاة

التي لطالما هدف إلى الانتصار عليها وعلى إذلاله، وكأن الثأر بينه وبينها دون غيرهما.

لقد أحضروا المستندات الكاذبة التي تدين مؤمنة أمام الجميع، مستند لرصيد مؤمنة البنكي، ومستند ببيانات المرسل، والآخر يؤكد أن المرسل هو المحامي الخاص بالقديسة رفقا، وأن أصل المال مرفق من رفقا بعينها وأوراق أخرى تثبت أن مؤمنة انتمت إلى مدرسة الراهبات منذ طفولتها، الأبشع من ذلك إرسال كريستينا لمستند من المدرسة تثبت أن مؤمنة قد اجتازت مادة التربية المسيحية في صفها الأول وهذا ما حدث بالفعل لكن القديسة رفقا قد أنقذت الموقف من بعدها مباشرة لو تتذكرون ذلك.

القنوات الإعلامية بدأت دورها وبث أخبارها بالمستندات الكاذبة وبداية إذاعتها كانت كالتالي:

- احذروا مؤمنة التي تتلاعب بالأديان، احذروا الفتاة التي ادعت المسيحية لأجل المال، ثم ادعت الإسلام لأجل الشهرة، ثم من بعد تلك الكلمات قاموا بسرد الأحداث والمستندات التي أثارت بالفعل بلبلة الرأي العام حول فتاة لم يكن أبدًا في نيتها سوى العيش بسلام ومواطنة، فتاة كل ذنبها أنها حلمت في وطن لا يجوز فيه الأمنيات لأمثالها من الأقليات، لقلب مؤمنة الذي يعلم الله جيدًا أنه ما انتوى إلا الحق والعدل والمواطنة والسلام لها ولأمثالها.



"من علامات الحب صدق الوعد"

رغم كل الأحداث التي تمر بمؤمنة والتي لا تستطيع معرفة ما سيؤول إليها مصيرها إلا أنها لم تتأخر لحضور عقد قران سامر ويلدس، وذهبت إليها وقد حضر أيضًا طه ويمنى، وانتهى الحفل البسيط هناك بأفضل ما يكون لولا أنهم وهم راجعون إلى منزلهم وقرب وصولهم سمعوا صوت دانة تصرخ ألما والجدة تقف على باب المنزل تستغيث بهم لإنقاذ الموقف.

إنه آدم ظل يضرب دانة حتى سقطت أرضًا، ضربها لطرحها رغبتها أمامه بقولها:

دعنا ننسى كل ما مضى ولنعش كأزواج متفاهمين ولنبني أسرة تُرضي الله ورسوله.

فباغتها هو بإجابته القاسية ووصفها بأنها ليست أهلًا للحلم والتمني، وأنها أقل من أن تعيش بكرامة، وأنه تورط فيها وأنها بنظره لا تساوي سوى فتاة ليل لا أكثر ولا أقل.

- لقد أذنبت وناجيت الله طويلًا كي يغفر لي معصيتي، والمعصية كانت مشتركة بيننا، لنفتح بابا جديدًا لعل الله يقبل منا ويغفر.

- قالت دانة ومن بعدها ظل يضرب فيها آدم وهو يقول لها أتعتقدين أنكِ طاهرة وأن الله يمكن أن يغفر لأمثالك حتى سقطت أرضًا.

أمسك طه بعنق آدم معنفًا إياه على مد يده على ابنة عمه، ودخلت مؤمنة ويمنى إلى دانة ليجدنها ساقطة أرضًا تنزف دماء فقدها لطفلها، واستعانت مؤمنة بكريم ككل مرة لينقذ تلك المرة حياة دانة وحدها دون طفلها، والمتسبب الوحيد في القتل هو الأب.

وجعًا حين تفقد طفلك الأول لكن في حالة دانة وبعدما فكرت كثيرًا في قضاء الله وجدت أن ذلك هو الخير، حمدت ربها طويلًا على عدم ربطها بطفلٍ طوال حياتها من رجلٍ لم يكن أبدًا ليحافظ عليها، ولا عليه، ولم يكُن ليتقى الله فيهما، والآن هي ما عادت ترغبه، تريد الانفصال عنه لتجد نفسها من جديد، ولتبدأ حياتها دونه ودون كبرياءه ودون معصية لله، تريد أن تكون حُرة منه عابدة لله فقط، وترغب أن تنسى كأنه لم يحدث ولم يكن بحياتها يوما، تتمنى فراقًا منه لا رجعة فيها، لتبقى على صحتها النفسية التي أضاعتها بارتباطها به.

أصبحت دانة بعد تجربتها القاسية لا تدخل أي أشخاص بسهولة في حياتها لأن أقصى درجات الإرهاق النفسي تكون نتيجة القرب من أشخاص لا يستحقون أن ندخلهم في دائرة اهتماماتنا بتلك الصعوبة، وأصبحت أكثر يقينا أن البعد عن الله يسبب أوجع درجات الهشاشة النفسية التي قد لا نصلح لشيءٍ من بعدها إلا لو أنقذنا الله وأبعد الغشاوة عن قلوبنا، ليثبتنا الله على اليقين به.

بشجاعة طالبت دانة آدم بالانفصال عنه بالمعروف كما قال الله تعالى في كتابه العزيز:

- "فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ" صدق الله العظيم، وبحمقٍ رفض طلبها معلنًا لها بحمق أنه من المستحيل أن ينظر لها المجتمع نظرة عدل إن أخذت لقب مطلقة فعلى أي شيءٍ الاستعجال، فلتصبر حتى تعيد له مؤمنة مال والده، ثم من بعد ذلك لن يتردد لحظة في فسخ عقد قرانها لأنها لا تليق بحضارته التي تربى عليها طويلًا.

كلماته كسرتها أكثر مما هي عليه وتمنت حينها لو أن الوقت يرجع، وأقسمت على نفسها أنها ما كانت أبدًا لتضع نفسها في ورطة كتلك التي لا تحسد عليها.

خرج آدم من الغرفة، وترك دانة تتحسر على كل ما اقترفته بحق نفسها من معصية لله، وتذكرت مؤمنة التي تعف نفسها رغم عدم زواجها ورغم عدم تقدم أحد لخطبتها إلا أنها تصون قلبها وتثق بكرم ربها وعوضه، وتذكرت يمنى التي ما إن سنحت لها فرصة القرب من الله تركت كل ما تربت عليه بفرنسا لتفتح قلبها للإيمان بكل ما امتلكت من حب، ثم جاء على خاطرها يلدس التي صانت قلبها رغم عملها وسط من لا دين ولا إنسانية لهم حتى جاءها من يطرق بيتها وقلبها ووهبها الله حبًا صادقًا عفيفًا توج بالزواج، يلدس التي ظلت تسجد لله يوم عقد قرانها على سامر لأن الله وهبها من الحب أصدقه، يلدس الذي يعاملها سامر كما أمر به ربه عز وجل، في يوم زفافهما وبعد أن مارسا معًا

الحب لاحظ سامر في كتف يلدس ثلاثة أحرف محفورين على يدها فاستغرب وسألها عن سر تلك الحروف؛ فأدمعت أعين يلدس متذكرة ذلك اليوم البائس حينما كانت طفلة في قصر الجنرال وحفر أحدهما تلك الحروف في كتفها كما فعل ذلك بأطفال عديدة من بعدها، هؤلاء الأطفال الذين كانوا يرتدون زيًا واحدًا لو أنكم تتذكرون هذا الموقف.

تلك الحروف التي سمعت الجنرال فيما بعد يقول أنها حُفرت لأقليات المسلمين الذين يعملون منذ طفولتهم بالإكراه وهي تدل على أول ثلاثة أحرف من اسمه واسم والده ثم لقبه، فمثلا هي يلدس عبد القادر كحيل فحفر على كتفها ""ي ـ ع ـ ك" حفرت بسيخ من نار دون أدنى شفقة على طفولتها التي لم يلتفت إليها أحدًا.

بكى سامر على بكاء يلدس التي لم تتحمل أن تتذكر وجعها دون بكاء، وأخذها بين أحضانه واعدًا إياها أن يكون لها سندًا وعوضًا من الله على كل ما مر بها بحياتها؛ فأكملت هي حديثها قائلة إنها ذات يوم أيضًا سمعت الجنرال وهو يقول لابنته جينا أنه يفعل ذلك حتى يميزٌ هؤلاء الأطفال ليخوض بهم حينما يكبروا المهام التي بها خطر، حتى وإن أصابهم الموت لا يتأثرون ثمة أنملة عليهم، وإنه بذلك يضرب المسلمين بالمسلمين دون أن يكونوا على دراية بذلك.

إن ذلك الموقف بالنسبة لها أسوأ شيء قد علمته يلدس من قصر الجنرال.

إنها أصبحت تنظر في كتف الجميع كي تفهم هل عدوها منها أم لا؟ لقد كان حظها رائعًا حيث أنها لم تخطف كباقي الأطفال، ولم تربي على دينٍ غير دينها كما الأغلب الذين اختطفوا وتربوا على دياناتٍ غير إسلاميةٍ والأسوأ أنها غير سماوية.

بكت يلدس كثيرًا فاحتضنها سامر بودٍ حتى نامت في أحضانه قبيل ليلة ذهابها للعمل في قصر الجنرال، وتألم سامر لألم زوجته إضافة إلى ما يمر به أقليات المسلمين من أحداثٍ مفجعة.

ليعطي الله الصبر والثقة والإيمان لكلٍ من يعاصر تلك الأحداث بقسوتها.



"الأكثر وجعًا أن تتحمل ما لا ذنب لك به"

لم تكن تعلم أن جزاء الشجاعة هو مقتل أقرب الناس إليها، ربما لو كانت تعلم لترددت ألف مرة قبل الإقدام على قولٍ جعلها تخسر أعز ما تملك في الحياة، ما كانت تتوقع أن دفاعها عن الحق سيفقدها جزءً منها لمرة ثانية، لم تكن مؤمنة تعلم أنها حين تقف في وجه اتهامات الجنرال ورئيس الجامعة ومحارب أن النتيجة ستكون بتلك القسوة التي ما توقعتها أبدًا.

إن مؤمنة حين شُوهت صورتها بتلك الطريقة البشعة في وسائل الإعلام استدعتها حكومة بلدها للتحقيق معها في جريمة لم ترتكبها ولم تكن تتوقع يوما أنها ستقع تحت سطوتها.

سألها المحقق بحدةٍ:

- ما هي هويتك الدينية؟
- مسلمة "**بحسمٍ أجابت مؤمنة**".
- وماذا عن المسيحية؟ "**بسخريةٍ سألها المحقق**".
- دين الله السماوي الذي جاء قبل الإسلام، دين المحبة، دين المسيح ودين مريم العذراء، "**أجابت مؤمنة بهدوء**".

ثم من بعد ذلك السؤالين ألقى عليها المحقق تهمة أنها تتلاعب بالأديان فيومًا مسيحية ويومًا مسلمة، وأنها لن تستطيع إنكار حقيقة تربيتها في بيت القديسة رفقا، وأنها بشَّرَتها بالمسيحية مقابل المال، وذلك مثبت في حساباتها البنيكة التي تقول بأن مارك محامي القديسة هو صاحب التحويلات المالية، ثم اتهمها أنها بذلك تعمل على الفتنة وعدم الأمن والاستقرار في بلاده.

- هل تتفق معي سيدي أنه كي يبشر أحدهم الآخر بالمسيحية يجب أن يكون مسيحيًا؟ "**وجهت مؤمنة السؤال بثقةٍ إلى المحقق**".
- نعم، "**أجابها هو دون تفكير**".
- إذًا اتفقنا في تلك الجزئية، ومن ذلك المُنطلق أخبرك سيدي أن القديسة رفقا كانت مسلمة، وبذلك فمن المستحيل أن تبشرني بالمسيحية، وعلى هذا فقد انتفت عني تهمة التلاعب بالأديان، إنني مسلمة ولم أجِد عن الحق بفضل الله يومًا.

قالت مؤمنة بشجاعةٍ في وجه المحقق الذي سألها عن أدلتها فأخبرته أن لديها دليل مادي وهو خطاب موجه من القديسة رفقا إليها موقَّع بخط يدها.

إثر تلك الكلمات وكأن عقله كان مغيبًا؛ أخلى المحقق سبيل مؤمنة بضمان محل إقامتها على أن تذهب للمحكمة في الوقت المخصص على أن تقدم لهم دليلها المادي.

عادت مؤمنة إلى منزل أليفة وسجدت لله شاكية له وجعها وضعف حيلتها أمام ألاعيب وحيل محارب وجنراله داعية ربها أن يثبت قلبها على ما بدأت فيه ولينصر قضيتها مهما طال الوقت والوجع.

ثم من بعد ذلك هرولت نحو خزانتها مستخرجة الصندوق الذي احتفظت فيه بخطاب القديسة رفقا واطمئنت أنه موجود وبكت حين أعادت قراءته، وخاصة في ذلك الجزء الذي تقول فيه "لم أكن أستطيع أن أحفظكِ القرءان في مهدك بمساعدة شيخك دون أن يرق قلبي لكلمات الله فيه ودون أن أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

إن مؤمنة حائرة متعبة مجهدة تتمنى لو أن تلتقي بشبيهها، بحبها، بنصفها الثاني ليكن سندًا وعونًا ومشجعًا ومواسيًا لها في الأحداث، لكنها ورغم ذلك تحاول أن تبعد فكرة أنها ترغب في أن تحب من ذاكرتها ليس كرهًا في اقتراب الحب منها وإنما لشعورها القاسي أنها لا تصلح للحب، إنها فتاة رغم شجاعتها ونظرتها الصلبة للحياة ومواقفها الشجاعة، إلا أنها لم تجد رجلًا واحدًا يُعبر لها عن حبه وعن رغبته في أن يعيش معها دهرًا، لم تعد تثق في نفسها تجاه الحب، وفقدت شغف احتمالية أن يُعبر أحدهم عن حبه لها، تفكر فيما ينقصها ليراها أحدهم حبيبة وزوجة، بفرنسا لم يقل لها أحدهم أحبك إلا كذبًا وذلك من جهة آدم، وبوطنها لم تجلس حتى على المقاعد الاحتياطية للحب، إنها خارج التشكيل، وخارج احتمالية لقاء الحب، كم تمنت أن يأتيها الحب لتقدسه وتعيشه بكل ما امتلكت من شغفٍ لمجيئه، وماذا يقول الرجال عنها؟ أيقولون أنها من كثرة دخولها بالمشاكل أصبحت رجلًا مثلهم؟ أم أنها لا تمتلك جمالًا يصلح معه أن يُعبر أحدهم لها عن حبه؟ بكت مؤمنة طويلًا لأنها لا تمتلك قصة واحدة لتسردها على مسامع أحد؛ أن طُلب منها أن تُعلن عن رجلٍ واحدًا أحبها بصدقٍ وأعلن رغبته في الزواج منها والبقاء معها دهرًا، إنها لا تمتلك تلك الرفاهية كمن هم في سنها.

ظلت مؤمنة حائرة متوجعة إلى أن استعاذت بربها من الشيطان الرجيم، وقامت وتوضأت وصلت لربها ثم ناجته وهي تبكي "**اللهم إني أثق في اختيارك لي لكنه قلبي أريدك أن تبث الثبات فيه، والرضا بقضاءك، وتُقدر له الراحة النفسية، وتباعد بينه وبين معصيتك باسم لهفة الحب**".

ثم من بعد ذلك راحت في نوم لا أحد يعلم هل هو من قبيل الراحة، أم من قبيل التعب، أم من قبيلٍ رحمة الله ليرحمها من تفكيرها المستمر والزائد والذي في أغلب الأوقات يجعلها تتخذ من العزلة سلاحًا لها؟في مساء ذلك اليوم الذي خرجت فيه مؤمنة من التحقيق دون أدنى أملٍ منها في أن يحدث ذلك، لكن رغم ذلك حدث أن خرجت ولعلٍ ذلك يندرج تحت بند رحمة الله ورعايته لنا حينما لا نمتلك من أمرنا شيئًا فيأتينا الله بجميل صنعه.

سمع محارب خبر الإفراج عن مؤمنة فكاد أن يجن مما حدث، فكيف حدث ذلك وهي متهمة باستخدام الأديان لتحقيق مصالحها الشخصية وأهدافها الخاصة؟ واتفق مع جنراله أن يتركوا مؤمنة، وألا يشعرونها أنهم لها بالمرصاد حتى يتمكنوا من التريث في الأمر ويفكروا بشأن الخطاب الذي أخبرت به المحقق والذي من الممكن أن يقلب لهم الموازين رأسًا على عقب.

وأمر الجنرال محارب أن يستعلم عن الأشخاص الذين يسكنون منزل مؤمنة، والمترددون عليها وعن كل ما يخص ظروفهم الأسرية لعلهم يستطيعون الوصول لأية معلومة تخص الخطاب، لكن محارب الذي يخالف أوامر جنراله أحيانًا خالفها تلك المرة، ترى لماذا يصبر عليه الجنرال رغم ما يحدث منه من مخالفة؟

والمخالفة تلك المرة جاءت في تفكيره في أن يأخذ الخطاب من مؤمنة عن طريق مساومتها على حياة جدتها، فأرسل إلى الجدة أليفة ثلاثة من أعوانه ليأتون بها، ومن بعدها ليهاتفون مؤمنة وليساومونها على حياة أعز ما تملك في الحياة أمام الخطاب الذي يكفل لها العيش دون ذنبٍ أمام الجميع.

تأخرت الجدة التي أخبرتهم أنها ستزور يلدس لتسألها عن أية أخبارٍ عن حمزة التي لم تنسَه يومًا، تأخرت كما لم يحدث من قبل، وذهب طه إلى منزل يلدس ليرى ما الأمر؟ ولم يتحمل خبر أن جدته قد غادرت يلدس منذ أكثر من ثلاث ساعات، وأخبر طه مؤمنة بالأمر وانشق قلبها قلقًا إثر معرفتها بالأمر، ولم تستمر حيرتهم كثيرًا؛ لقد جاءت مؤمنة مهاتفة سريعة تخبرها بحقيقة اختفاء جدتها، وتساومها على حياتها مقابل الخطاب الذي أخبرت به المحقق.

- لا تمسها بسوءٍ ولك الخطاب كما ترغب، "**أجابت مؤمنة على المساومة، مؤمنة التي لم تطق أذى على جدتها**".
- أن أموت خيرًا من أن نخسر كرامتنا ومواطنتنا يا مؤمنة، لا تأتِ لهم بشيء، عليك إدراك أنه لشيءٍ عظيم أن نموت من أجل إيماننا ومعتقداتنا ومواطنتنا، سمعت مؤمنة صوت جدتها وهي تصرخ بتلك الكلمات، وإثر ذلك أغلق الهاتف لصباح اليوم التالي.

بماذا تخبر مؤمنة أهلها عن جدتهم، أتعلن لهم بسخافةٍ أنها سبب رئيسي في آذاها؟ لو أنها ما نطقت عند المحقق بأمر الخطابِ ما كانت الآن جدتها تعاني الخطف وما كان الجميع يعانى فقدها، إن السجن أحب إلى قلبها من أن تُهان جدتها وهي في ذلك العمر، يكفيها ما مرت

به طوال حياتها من ألم لفقد فلذات أكبادها، ألم يكفِهِم هم ذلك؟ والآن يؤذونها إضافة علَى أذاها السابق أذى بإهانة سنها.

قرارها الوحيد الذي لا رجعة فيه والذي لم تستشر أحدًا فيه هو أنها وفور اتصال أحد الذين قاموا بالعمل اللا إنساني ضد الجدة؛ فإنها ستعلن لهم بما لا يقبل الشك أنها ستسلمهم الخطاب دون أدنى مراوغةٍ أو معارضةٍ ونقاش.

أخيرًا امتلكت الشجاعة لأن تخبر طه بما حدث وبما انتوت عليه، صدم طه مما أخبرته به مؤمنة غير مستوعبًا لذلك الحدث المؤسف الذي لا يوجد فيه أدنى احترام لقدسية المواطنة، ماذا عليه الآن أن يقول لمؤمنة أن يؤيدها في تسليم الخطاب وهو يدرك تمامًا ما مصيرها إن فعلت ذلك، أو أن يترك جدتهم لأفاعيل من لا إنسانية لهم؟ احتار هو وقطعت عليه مؤمنة حيرته وأخبرته بصفةٍ قاطعة أن الأمر لا يحتاج إلى تفكير وأن السجن أحب إلى قلبها من أذًى جدتها وأنها في انتظار أن يهاتفها أحدهم لتعرف منه بالتحديد ماذا عليها أن تفعل، لكنها وبعد ساعتين من صباح اليوم التالي لم تستطع صبرًا؛ فبادرت هي بالاتصال بالرقم الذي هاتفها، لكن وللوجع لم يُجِبها أحد في كلِ المرات التي حاولت فيها، وجاء في خاطرها أن تذهب لمحارب الجامعة لتخبره أنها على أتم استعداد لتفعل ما يأمرها به في مقابل ترك جدتها.

ثمة حب لا نستطيع معه أن نكابر ويصبح الذل أحب إلى قلوبنا لنحافظ على من هم في قلوبنا، وثمة أشياء كثيرة لم نكن نتخيل يومًا أننا سنقوم بها ونفعلها لأجل من لا نريد بهم أذى، فسلام على الذين أحبوا غيرهم فوق حبهم لأنفسهم وسلامًا طاهرًا على الذين قدروا من أحبوهم بصدقٍ وقابلوا الحب بأعظم منه.

ذهبت مؤمنة مع طه إلى محارب ولم يكن طه يتخيل أن يجد مؤمنة منكسرة لهذا الحد أمام محارب الذي أقسم ذات يومٍ أنها لن تنهزم أمامه إلا بالموت، محارب الذي قالت له مؤمنة:

- ماذا عليّ أن أفعل لأعيد جدتي إلى منزلها سالمة؟

- الخطاب لا شيء أكثر من ذلك، "**قال محارب وهو يشعر بالانتصار**".

لم يكن يدرك أنه انتصار خائب جبان لا يليق بالشجاعة والأخلاق.

- لتأتِ لي بجدتي إلى المنزل بعد ساعةٍ من الآن وسأسلمك ما رغبت، "**بهزيمةٍ قالت مؤمنة**".

- لست بذلك الغباء لأقبل المجيء إليكِ في عقر داركِ، "**قال محارب ساخرًا**".

- ولست بالقدر الذي يسمح لي أن أهاجمك مع أعوانك وأنت تدرك ذلك جيدًا، ولست بالقلب القاسي لأطيق على جدتي الأذى مقابل مجاذفتي بالتمرد عليك، "**قالت مؤمنة**".

- لا أستطيع فهم فتاة تضع حرية غيرها فوق حريتها وشعبيتها وحلمها أنت غريبة، "**قال محارب**".

- إنني أضع الحب والإنسانية فوق حياتي نفسها، إنني أعرف كيف أحب وكيف أعيش وأنا أقدس من أحبهم جيدًا، لقد وهبني الله أسرة تحبني فكيف لي أن أقابل الحب بالأنانية، "**قالت مؤمنة وهي تبتسم**".

- أتعلمين أنكِ بتسليمكِ الخطاب لي ستسجني أو لعل الموت يكون مصيركِ، "**قال محارب**".

- السجن أحب إليَّ من أن أرى وجعًا ولو للحظةٍ واحدة بجدتي، "**أجابت مؤمنة بصدق**".

غادرته مؤمنة على لقاءٍ بعد ساعة بمنزلها، وظل المحارب شاردًا في كلمات مؤمنة عن الحب، إنها تستطيع أن تحب فماذا عنه هو؟، هل يستطيع أن يُضحي مثلها من أجل من يحبهم؟، هل يدرك أساسًا مفهوم الحب؟، وهل لديه من يحبه أو يحبونه بالصدق الذي يجعله يومًا أن يكون السجن أحب إلى قلبه من أن يؤذي أحدهم؟، إنه يشعر أنه خاسر للمعاني الحقيقة ولقدسية الحياة، ويشعر أنه برغم قوته وبرغم خوف الصغير والكبير منه وقربه من الجنرال إلا أنه ينقصه أعظم شيءٍ في الوجود أن يدخل الحب في قواميسه.

ثم من بعد ذلك التفكير ظل محارب يلوم نفسه على تفكيره بتلك الطريقة وشجع نفسه قائلًا:

- لا يجب عليك يا محارب أن تنصاع لمثل تلك الخرافات، وليس لفتاةٍ بمثل مؤمنة أن تؤثر على اتجاهاتك وقوتك، لتفيق يا محارب ولتعلم أن الحب يضعف وإنك لم تخلق لتحب بل لتسود العالم بالمال والقوة والسلطة.

مرت ساعات قاسية على كل من في منزل أليفة، لا أحد فيهم يستطيع أن يتجاهل الموقف باستثناء أميرة وابنها آدم الذين لم يتحرك لهما ساكنًا.

جاء المساء ولم يأتِ محارب ولم يستطع أحد الوصول إلى محارب ثانية، ساعات قلق وحيرة ووجع وعجز عن فعل أي خطوة إيجابية من شأنها الاطمئنان على الجدة.

عليكم أحبتي معرفة أن الله عز وجل كل ما قاله صدقه فهو الذي قال "إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا"، وهذا ما حدث لمؤمنة التي لجأت إلى الله بعدما نفذت كل حيلها، ولم تجد سوى الدعاء والصلاة حلًا لتصبر على ما هي فيه.

تعالوا معي أحبتي أذكر لكم الذي حدث تحديدًا بعدما ترك محارب مؤمنة.

غادرها متوجهًا إلى قصر الجنرال مستدعيًا أحد أعوانه لإحضار أليفة حتى يذهبوا بها إلى منزلها مقابل أخذ الخطاب، وسمعت حديثه يلدس التي فهمت أن أليفة اختطفت وأن مؤمنة في خطر ما بين لحظةٍ وضحاها، وتذكرت ما قاله الجنرال من قبل أيام حينما سمعته يقول لمحارب أن عليهم عدم التعرض لمؤمنة أو لأحدٍ من ذويها كي لا يبلبلوا الرأي العام ضدهم مرة أخرى، وأن على محارب فقط مراقبة ومعرفة أعضاء منزل أليفة ليحصلوا على الخطاب بطريقةٍ لا تثير شك أحد من المترقبين للموقف، وهذا ما لم تستطع يلدس إبلاغه لمؤمنة حتى اليوم، ولعل الله عز وجل هو من ألهمها بالحل، لقد جاذفت وتعمدت أن تقول لصديقتها أثناء مرور الجنرال عليهما ما يلي:

"إنني فرحة جدًا بشأن اختطاف جدة مؤمنة، إنها فتاة تتلاعب بالأديان وهذا ما لا نقبله، إنها سيئة تُسيء للأديان كي تحصل على مكاسبها الخاصة".

بتلك الكلمات باغتت يلدس الجنرال الذي لم يُعقب بكلمةٍ واحدة واستدعى محارب وواجهه بشأن مخالفته لأوامره، ولم يفكر المحارب في إجابةٍ مخالفة لما فعله، وأخبر الجنرال أن الخطاب سيكون بين يديهم بعد أقل من ساعة واحدة.

ـ وبذلك يعرف العالم كله أننا سرقنا منها الخطاب وأخذناه بقوتنا ومساومتنا للفتاة على حياة جدتها، وبعدما كان العالم متشككا في أن مؤمنة معها خطاب وبمعرفته أمر الاختطاف سيتأكد من صحة ما تقوله مؤمنة وبذلك نخسر قضيتنا بأكملها، أنت متسرع يا محارب والانتصار لا يكون إلا بالتريث، الانتصار للمفكرين، وتلك الفتاة التي تصفها بأنك كسرتها هى في حقيقة الأمر مفكرة من الدرجة الأولى، والمفكر لا يكسر بتلك السهولة التي تتخيلها ولا يهزم إلا بضربة قاضية لا يمكنه من بعدها أن يفكر، بطريقة أو بأخرى عليك إطلاق سراح جدة تلك الفتاة مفهمًا إياها أن أعوانك فعلوا ذلك دون علمك أو علم الجنرال وأنهم لا يريدون إلا الحق، وإن كان مع مؤمنة خطابًا فهم لن يكرهوا لها أن تظهر برائتها أمام الجميع وعليك إقناعها أننا نؤمن أننا نعيش في وطنٍ واحد ومصلحتنا واحدة.

دُهش محارب من حديث جنراله ولم يجعله الجنرال في الحيرة كثيرًا وقبل أن يسأل أوضح له الجنرال أنه بذلك الموقف سيستخدم الخطأ الذي ارتكبه في صالحهم أمام الجميع حتى ما إن لم تقدم الخطاب في المحكمة أبعدوا الشبهات عن أنفسهم.

ثم من بعد ذلك نظر الجنرال لمحارب بثباتٍ وربت على كتفه وقال:

ـ لا تقلق، لن تسلمه فقط، وسنأخذه منها في الوقت المناسب وبالطريقةِ المناسبة التي لا تشكك أحد فينا، وبالوقت الضائع

الذي لا تستطيع فيه مؤمنة تصرفًا، عليك تنفيذ ما أخبرتك به ومعرفة كل عناصر واتجاهات أفراد منزل أليفة.

أخيرًا دق باب المنزل وباغتتهم أليفة بدخولها وحدها دون أن يصطحبها أحد، وسردت لهم كل ما حدث تفصيلاً ولم تفهم مؤمنة ولم يدرك أحد ممن استمع إلى الجدة ما معنى أن يتركها محارب ويخبرها أن تعلن لمؤمنة أن تسلم الخطاب الذي معها للمحكمة، وهرولت مؤمنة نحو خزانتها لتطمئن على الخطاب فردت الدماء إلى عروقها ورجعت إلى الجدة ثانية؛ فوجدت طه يحتضنها ويسألها عن أمر وجعها وما الذي يجعلها لا تستطيع أخذ نفسها؟

نطقت الجدة بكلمةٍ واحدة بوهن:

ـ "**حمزة**".

ـ حمزة! "**رددت مؤمنة الكلمة بتعجب**".

أخذت الجدة نفسًا عميقًا ثم قالت:

ـ إنني شعرت به اليوم، لم أشعر أنه توفى، إنه حي قلبى يقول ذلك وما كذب عليّ قليى ذات مرة، كنت أشعر أنه بالقرب لأقصى مما تتخيلون، لا تنسوه من بعدي وأكرموه حين تجدوه، وبلغوه مني سلامًا وأخبروه أن جدته ما تخلت عن البحث عنه يومً.

وإثر تلك الكلمات بكت أليفة طويلًا ثم قالت:

ـ للوطن الله وللمسلمين سلام الله وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

ثم فاضت روحها إلى السماء صادمة الجميع بفراقها فجأة للحياة.

تؤمن مؤمنة أن ذلك قضاء الله لكنها ورغم ذلك ظلت تقول أن السبب الرئيسي في موت أليفة هو محارب الذي أوهن قلبها، قلب امرأة كبيرة لا تتحمل خطفًا ولا إهانة ولا تفكيرًا زائدًا، وأقسمت ألا تترك حق جدتها التي تركتها للحياة وحدها، وبكت مؤمنة كما الجميع وجع فراق من كانت سندها ومن كانت لها بالأمل والصمود بالمرصاد.

كان ذلك فصلًا جديدًا من الألم في حياة مؤمنة ولم تستطع الصمود أمام فراقها لجدتها وسقطت مغشيًا عليها لا تتخيل مفهوم حياتها دون جدتها.



"أنت تستحق نسيانًا لا رجعة فيه"

هل أخطأت حين أحببتك من أعماق قلبي دون شرطٍ أو قيد؟ وهل ارتكبت حماقة بأن ربطت مصيرى بك؟، وكيف لى أن أتوقف عن الحماقة وأنا أحبك كما لم تحب امرأة رجلًا من قبل وكما لم يفعل قلبي مع أحدهم قبلك؟لقد علمتني كيف يكون الحب وكيف لي أن أصون قدسية من أحب، وأمسكت يدي بقوةٍ فتشبثت بك ثم من بعدها أفلت أنت يدي بكل قسوةٍ ودون أدنى شعورٍ بالذنب، لماذا يا طه فعلت بي ذلك؟، أتعطيني الأمل في أن تكون لي للنهاية ثم تشعرني بعدما أصبحنا تحت سقفٍ واحد أنك تفلتني وأنك لا رغبة لك بي كزوجة؟!، قل لي بأي ذنبٍ تعاقبني؟!، ألأنني أحببتك فوق نفسي فتتركني تائهة بين أفكاري وتخميني للأسباب التي جعلتك بعيدًا عني لهذا الحد، ماذا عليّ أن أقول الآن؟، أأبوح بأنك تستحق نسيانا لا رجعة فيه وأنني أخطأت حين تمسكت بك فوق كل شيء؟، أأعلنها لك صراحة يا طه أنني أريد أن يكون هناك انفصالًا بيني وبينك خوفًا من أن تأتيني يومًا لتبوح لي بأنك لا ترغبني؟ وأنني أقسم لك أنني لن أقوى على حدث منك كذلك.

الذي يحيرني حقًا معاملتك الطيبة لي رغم عدم اقترابك مني، إنني لا أستطيع فهمك يا طه، لقد أربكتني بصنيعك وأخاف أن أظلمك بتفكيري هذا أو أن أبوح لك به فتغضب مني؛ وأنا امرأة حين تقع في الحب لا تقوى على غضب رجلها، لكنني أقسم لك أن تفكيري أجهدني وكل ما أرغب فيه هو أن أطمئن أنك لا زلت على عهدك ووعدك لي.

دخل طه على يمنى وهي على تلك الحالة من التفكير الذي أجهدها فانزعج لما رأى زوجته على تلك الحالة التي لا يطيقها عليها، لم يكن بحاجة لأن يسألها عن خطبها، لقد أدرك جيدًا ما الذي تفكر فيه واكتفى باحتضانها وهو يقول:

أحبك ولن أرضى عنك بديلًا.

فبكت يمنى بحرقةٍ كيف يقول لها ذلك وهو يمتنع عنها ولم يقترب منها ولم يمارس معها الحب ولو لمرة واحدة وكلما اقتربت ابتعد هو.

- لم أعد أفهمك يا طه؟ "**قالت يمنى والدموع على وجنتيها**".

ابتسم طه ثم قال:

- المشكلة ليست أن تفهميني، المهم أن تثقي بحبي لك، أريد أن أطلب منكِ شيئًا، أخبري والدتكِ أنكِ تحملين مني طفلًا وأنكِ ترغبين أن تذهب هي وآدم معكِ إلى الطبيب لتطمئني على حملكِ.

اندهشت يمنى من طلب طه، هو يعلم جيدًا أنه ما لمسها فكيف لها أن تحمل طفلًا منه، وأقسم طه على يمنى أن تفعل ما أوصاها به وأن تثق في رجلها الذي لن يفكر يومًا في أن يؤذي قلبها الذي هو جزء منه.

ارتبكت يمنى لكنها ورغم ذلك فعلت ما طلبه منها زوجها وبرت بقسمه.

وفي مساء اليوم التالي فعلت يمنى ما طلبه منها زوجها، ولم تفرح أميرة كثيرًا بشأن ما أعلنته لها ابنتها، حتى أنها فكرت في رفض طلبها للذهاب معها، لكنها وفي اللحظة الأخيرة وافقت على اصطحاب ابنتها إلى الطبيبة، وذهب مع أميرة آدم غصبًا عنه وأمسك طه بيد زوجته حين استدعتها الطبيبة للدخول، وكأنه يقول لها:

- "**لا تقلقي بشأن شيء**".

لم تكن يمنى مستوعبة أي شيءٍ مما يحدث ومشيت وراء قلبها منفذة لكل ما يقوله طه واثقة في أن رجلها لن يضرها في شيء مهما كانت طلباته غريبة.

بعد السلام طلبت أميرة من الطبيبة أن تطمئنها على يمنى وأن تعلن لها عن المدة التي انقضت في حملها وعمر الجنين في رحمها.

وصمت الجميع كي تأخذ الطبيبة وقتها في التشخيص قبل أن تعلن لهم عن تقريرها، انتهت الطبيبة من فحصها وأصابها الدهشة قبل أن تباغت الجميع بما اكتشفته.

جلست الطبيبة على مقعدها بعد أن طلبت من يمنى أن ترتدي ملابسها وأخذت الطبيبة نفسها ثم وجهت بصرها نحو أميرة وهي تقول:

- **"أعتذر لإبلاغي أن يمنى ليست حاملًا، والأدهش أنها ما زالت عذراء، أي أن غشاء بكارتها لم يفض بعد فكيف لها أن تكون حاملًا؟!"**.

وتنفس طه الصعداء إنه ما أتى بيمنى إلى الطبيبة إلا ليعلن لأهلها أنها ما أذنبت يومًا في شرفها وأنها طاهرة عفيفة لم تخذل ربها في نفسها.

اتجه طه نحو يمنى واضعًا يده على كتفها وهو يقول لها:

- **"الآن أنا لكِ وأنتِ لي، الآن رُدت إليكِ كرامتكِ أمام الجميع، كرامتكِ التي هي جزء مني، الآن يا حبيبتي أريد طفلًا عظيمًا مثلكِ اليوم قبل الغد"**.

ارتاح طه نفسيًا برد كرامة زوجته إليها ورغم انفعال آدم وأميرة الذين لم يصدقا أن كل ما حدث بشأن ضياع شرفهما في يمنى ما كان صحيحًا وأنه كان مجرد لعبة من الجميع عليهما ليرد آدم شرف دانة، وكان للجميع ما أرادوا إلا أن طه لم يلتفت إليهما داعيًا الله أن يحفظ له زوجته من كل سوءٍ ومن كل وجع.

لم تفرح يمنى في مواقف الحياة بأكملها ومواقفها مع طه بمثل ما حدث لها في ذلك الموقف، إنها ما توقعت أن كل البعد الذي فعله طه معها ما هو إلا ستارًا لحبه العظيم لها، إنها اليوم تلوم نفسها ألف مرة لأنها ظنت للحظة أن طه لا يحبها ولا يقدس مفهوم امرأة وهبته قبلها.

"يا الله ثبت قلبي على حبك، وهبني ثبات قلب طه على حبي، وثبتني على حبه، واجعلنا نعيش على طاعتك وطاعة رسولك العظيم واحفظ لي زوجي ولا تؤذني فيه"، ذلك هو حال قلب يمنى أثناء رجوعها مع زوجها إلى المنزل، وقبلها أُنزل الستار

عليهما ليمارسا الحب في أسمى معانيه ولتصبح اليوم يمنى زوجة طه الذي دعى الله قبل أن يلمسها أن يهبه منها طفلاً قريبًا غير بعيد.



"لم أكن بطلة لأغفر لك"

أيام قاسية مرت على مؤمنة التي تنتظر محاكمتها كأنها مجرمة حرب، الأوجع أن مجرمين الحرب لا يحاكمون، بل ويقدسهم البعض ويعتبرهم أبطال حياة ويبررون لهم تصرفاتهم باسم محاربة الإرهاب، ويقعون في وهم أنهم ليسوا الإرهابين الحقيقين بل إنهم المدافعين عن السلام، مغيبون هم عن واقعهم المؤلم.

كل يوم يمر تشتاق مؤمنة لأن تسلم الخطاب إلى المحكمة التي من المفترض أن تكون عادلة، وتخشى أن يأتي يوم يُسرق أو تضيع منها الورقة التي فيها ملاذها الوحيد، الأوجع من ذلك رؤية بعض المسلمين لمؤمنة ونظراتهم المشككة فيها والتي تستنتج مؤمنة منها أنهم يقولون عنها:

- **"وما أدرانا؟ لقد عاشت بفرنسا ولسلطة المال قدرتها على القلوب والأحكام، إنها قد تكون كاذبة متلاعبة بحقوقنا في المواطنة لتصل إلى الشهرة لا أكثر"**.

لم تكن مؤمنة في كثير من الأحيان تتحمل تلك النظرات فتستعين بعزلتها ووحدتها وسجادة صلاتها ودعاء قلبها لرب العالمين ليرفع عنها كل ذلك الوجع التي تمر به.

وقبل المحاكمة بيوم واحد جلست مؤمنة تفكر ما الذي يتوجب عليها فعله، أتهرب من كل ذلك الجحيم؟ وهي تستطيع فعل ذلك حيث أن ذلك مقترح محامي القديسة رفقا "**مارك**" عليها ولقد اقترح عليها مساعدته لها للهرب ورجوعها إلى فرنسا وكل ما عليها هي أن توافق ليبدأ الأمر فورًا.

لكنها ما تربَّت على الهروب، إنها ما اعتادت ترف اختيار مصلحتها الشخصية وتفضيلها عن أي شيءٍ سواها، ثم إنها إن فعلت ذلك لربما تثبت التهمة على نفسها ولن تكون ذات شرف أمام نفسها أولًا لانساحبها، ثم من بعدها أمام الجميع، ولربما من اتخذها قدوة ترك القضية ويأس من هدفه بما أن قدوته لم تعد ذات شرف.

إنها متخوفة من حديث مارك الأخير لها عن أنها لن تستطيع مواجهة الظلم دون سقوطٍ وأن الهروب أحيانًا فيه ثمة انتصار، لكنها ورغم كل التخوفات العقلية التي تفكر فيها إلا أنها تمسكت بموقفها بأن تواجه الأمر بصلابة؛ لتنتصر بحق وكما يجب أن يكون، أو ليكن الموت انتصارًا لها على كل خذلان وكل ظلم.

وقبل المحاكمة بيوم واحد اتجهت مؤمنة الواقف الحراس عند بيتها وكأن السجن حُكم بِهِ عليها قبل المحاكمة نحو غرفة طه ويمنى، ثم استدعت دانة المنعزلة في غرفتها منذ وفاة الجدة أليفة كي لا ترى ذل آدم لها بعدم إعطاءها حق حريتها عنه بالمعروف.

وكم تمنت مؤمنة أن تكون القديسة رفقا والجدة أليفة موجودتين ليقوينها على مواجهة تلك الأزمة لتتجاوزها كما كل المرات السابقة.

اجمتع الأربعة وتحدثت مؤمنة بالهدوء المعتاد وقالت:

ـ إنني أعلم أن موقفي لن أُحسد عليه إذا حدث لذلك الخطاب شيئًا أو أنه لم يصل للمحكمة لأي سبب من الأسباب، وإنني اليوم أضعه بين أيديكم لتسلموه لمارك فور وصله غدًا للمطار.

ـ مارك!!

ردد طه اسم مارك مندهشًا.

ـ إنه صمم أن يأتي ليكون لي محاميًا غدًا بعدما علم أنني لم أوكل أحدهم للدفاع عني، إنه لم يدرك حتى الآن السبب المؤلم لهذا، ولم يدرك أن كل المحامين الذين قبلوا قضيتي هُددوا في أولادهم وفي حياتهم ولذا فضلوا الانسحاب على المجاذفة التي لن تكون في صالحهم، "**قالت مؤمنة التي أصابتها دموعها غصبًا عنها**".

ـ أرجوكِ توقفي عن البكاء، سيحدث الله خيرًا قريبًا، "**قالت دانة التي ارتبكت وهي ترى مؤمنة على غير ما يرام**".

ـ دعيني أبكي، كي أكون صلبة غدًا مهما حدث في المحاكمة، لا أريد غيركم يرى دموعي أو ضعفي، إنني أعلم أنكم لن تشمتون لوجعي، أما غيركم فلا أضمن ألا يصيبه الفرح لوجعي، "**قالت مؤمنة التي انهارت من البكاء**".

أخذ طه الخطاب من مؤمنة وجلس الأربعة من بعدها يقرأون سورة يوسف فهدأ قلب الجميع، ونام الأربعة ليلتها ولسان حال قلوبهم يقول "**اللهم نصرًا قريبًا لأننا لم نعد نتحمل وجعًا جديدًا، فأصبنا بفرحك يا الله**".

جاء الصباح وكل يحمل قلقه في قلبه دون أن يخبر به غيره ودق باب بيت أليفة، إنهم الحراس يستدعون مؤمنة لترحل معهم إلى المحكمة، ولا أحد يدرك لماذا يستدعونها في السادسة صباحًا، أي محاكمة ستحدث في ذلك الوقت؟، ولم يكن لدى مؤمنة طاقة للسؤال وخرجت معهم دون أدنى سؤال واستودعها كل من طه ويمنى ودانة لحين لقاء جديد في المحكمة.

خرجت معهم مؤمنة كمذنبة لا كبريئة حتى يثبت إدانتها ومن بعد خروجها خرج طه ويمنى ودانة لاستقبال مارك في المطار وتسليمه الخطاب والتوجه معه نحو المحكمة آملين في رجوع مؤمنة معهم إلى المنزل، لكن منذ متى والأحلام تتحق كما نرغب ومنذ متى وانتصر الحق دون وجع ودون السقوط لمرات عديدة؛ فأثناء عودة طه ويمنى ودانة بالإضافة إلى مارك الذين استقبلوه في المطار؛ استوقف السيارة ملثمين وأنزلوا الجميع من السيارة طالبين منهم الخطاب المكتوب بخط رفقا.

- الخطاب مع مؤمنة، "**قال طه دون أدنى تفكيرٍ وأيدته في ذلك زوجته وابنة عمه**".
- بل معك، "**قال الملثم الأول والذي أمسك بطه وصوب سلاحه في وجه زوجته، وأخرج الملثم الثاني الخطاب من سترة طه بسهولةٍ وكأنه على معرفة مسبقة بمكانها، إنهم لم يتكلفوا بالتفتيش في الجميع، إنهم مدركين لهدفهم تحديدا وهذا ما سهل عليهم المهمة**".

وركب الملثمين السيارة تاركين ذوي الحق في دهشتهم وعجزهم عن فعل أي شيء من شأنه إيقاف الظلم.

ماذا يجب عليهم فعله الآن؟ وبأي وجهٍ سيلقون مؤمنة؟ وبأى وسيلة سيدافع مارك عن مؤمنة؟ وبأي حق سيتركون مؤمنة التي يدركون جيدًا مصيرها؟ وبذلك كل السينارهات المؤلمة جاءت في خلد الجميع.

في المحكمة وقفت مؤمنة خلف القطبان واندهشت من ظهور آدم وأميرة قبل ظهور مارك وطه ويمنى ودانة، إنها ما توقعت حضورهم فكيف لهم حضورًا قبل الجميع، لعل قلوبهم رفقت بها ولعلهم تذكروا موقفا واحدًا كريمًا منها ليكرموها بحضورهم اليوم، وباغتت أميرة مؤمنة بمواساتها وتشجيعها وفعل آدم كما والدته، ودخل مارك ومن خلفه طه ويمنى ودانة إلى ساحة المحكمة، دخلوا هائمين لا يدركون بأي كلمةٍ ينطقون وبأي قلب يجرؤن على إعلان سرقة الخطاب منهم، ولم يتحدث أحدهم إلى مؤمنة في الأمر، فقط واسوها بكلماتٍ من شأنها رفع عزيمتها في موقفها ودخل القاضي الذي من شأنه أن يحكم عدلًا وسمح القاضى لمارك بالحديث رغم دهشته أن لمؤمنة محامي، وقال مارك بشجاعة الدفاع عن الحق:

- **"أنتم تحاكمون من لا ذنب له بذنبوكم وهذا ما لا يرضى عنه رب ولا إنسانية".**

نطق مارك بتلك الكلمات فانقلبت القاعة رأسًا على عقب ثم تحدث مجددًا قائلًا:

- **"ما شأنكم بدينها إنها ما دافعت إلا عن حق سواء كانت مسلمة أو مسيحية؛ فحقوقها في المواطنة مشروعة وهذا ما لا يختلف عليه عقل، قال مارك تلك الكلمات مغيرًا في خطته السابقة التي كان منتويًا عليها**

ولم يردعهم بأنها مسلمة الأصل وأن تهمتهم لها كونها تتلاعب بالأديان هو من قبيل العبث".

لكن من أين له قول ذلك وهو لا يمتلك الخطاب أو دليل مادي ليدل على صدق حديثه، ولم يتمهل القاضي لسماع مارك مجددًا وقال:

- **"قد سمعت أن لديكم خطاب من شأنه إثبات أن مؤمنة مسلمة ولم تتلاعب بالأديان يومًا فلتقدمه أفضل من كل ذلك الهراء"**؛ فبهت مارك ومن قبله طه ولم يستطع الإجابة على ذلك الطلب طالبًا أن تؤجل الجلسة حتى يأتي له بالخطاب ولم يسمع القاضي لطلب مارك وحكم على مؤمنة دون أدنى شعورٍ بالذنب بالسجن طيلة حياتها بتهمة لا تمت لقلبها بصلة، وحين سمعت مؤمنة الحكم الظالم عليها قالت بشجاعةٍ وبأعلى صوتها: **"المسجونون الحقيقيون هم أنتم، إنكم لن تعرفوا معنى الحرية إلا إذا تخلصتم من الظلم، إنكم تظلمون أنفسكم قبل ظلمكم لنا، الحرية بالنسبة لنا أن نناضل في وجه ظلمكم، والسجن بالنسبة لنا نضال إذا نحن أحرار، أما أنتم فلتحصلوا على حريتكم عليكم أن تناضلوا ضد أنفسكم وهذا ما لا تستطيعون فعله، إننا إحرار رغمكم".**
- لقد سرقوا الخطاب يا مؤمنة، **"سمعت مؤمنة طه وهو يصرخ بتلك الكلمات".**
- لكنهم لن يستطيعوا سرقة عدل الله يا طه، **"قالت مؤمنة قبل أن يسحبها سجانها إلى المكان الذي لا يليق بها".**

عاد الجميع إلى بيت أليفة بما في ذلك مارك الذي اندهش من كم الظلم الواقع على البعض في بلدٍ من المفترض أن كل مواطنيها سواسية، وبكت يومها يمنى ودانة بحرقة على الوجع الذي حل بمؤمنة، ودخل آدم غرفة أميرة ليتحدث معها وتحدث معها بفرح المنتصر، كان انتصاره انتصارًا مزيفًا لكنه فرح به كما والدته.

- لقد انتصرنا عليها وسنحصل على مال أمين منها بواسطة محارب، وسنرجع إلى فرنسا بعد الوعد الذي برمه الجنرال، لقد كان ذكاء منا أن نقبل عرضه في تسليمه الخطاب الذي يدينه مقابل إرجاع مال أمين لنا، فبعد أن تحجز الحكومة على أموال مؤمنة وتوريط أماليا وسليم في قضايا المتاجرة في الأعضاء لنرجع نحن إلى فرنسا غانمين، والأكثر ذكاء فينا أننا تريثنا وتجسسنا وسمعنا مؤمنة وهي تعطى الخطاب لطه ثم خططنا لنذهب لهم ملثمين، وأخذنا الخطاب منه وذهابنا إلى المحكمة لنثبت أننا ليس لنا شأن في شيء هذا هو الأروع، "**قال آدم**".
- الذكاء الحقيقي من وجهة نظري كان من جهة كريسينا التي استطاعت توريط أماليا وسليم في القضايا بمساعدة رجال لها بفرنسا مقابل إغراء الجنرال المادي لها، سوف يعطيها فوق مال رفقا الذي بحساب مؤمنة مليون دولارًا، "**قالت أميرة معقبة على كلام ابنها**".

وسمعت يمنى ذلك الحديث القاسي من خلف الباب ودخلت عليهم لتصدمهم بسماعها لحديثهم لتصرخ بوجه فعلتهم المخجلة وقالت يمنى وهى تصرخ:

- أتساعدون من لا دين لهم ضد ابنة دينكم، بأي قلب فعلتم ذلك؟، وبأي ذنب فعلته مؤمنة لتفعلوا ذلك ضدها؟، أنتم لا قلب لكم.
- بأي ذنبٍ! بأخذها مال أمين قوة منا ورفضها رده إلينا، "**قال آدم بعصبية**".

وباغتته يمنى حين سمعت ذلك الحديث من أخيها ولم تطق صبرًا على السر الذي أقسمت عليها مؤمنة ألا تبوح به إلا إذا رُد آدم إلى ربه كما أوصاها أمين من قبل، وأخبرتهم أن مؤمنة كتبت حق آدم في شيك وسلمته لها على أن تعطيه لآدم في الوقت المناسب خوفًا من أن تسجن أو تعدم ولا تستطيع رد المال لصاحبه، ولقد فعلت مؤمنة معها في حقها كما أخيها فكتبت لها شيك بنصيبها ولقد قامت بصرفه.

باغتتهم بكلماتها الصادقة ثم انهارت؛ فدخل طه ومن بعده دانة ليفهموا الأمر وليصدموا بأن الطعنة التي أصابت مؤمنة السبب فيها أقرب الناس إليها، وأنتم تدركون كم يكون مؤلمًا على الفرد أن تأتي أوجاعه ممن لا يتوقع أن يخذلوه أبدًا.

ولما انهارت يمنى رق قلب أميرة لدقائق وطلبت من ابنتها الغفران ودون أن تفكر يمنى للحظةٍ قالت وهي تبكي:

- **"لم أكن يومًا بطلة لأغفر لكِ كل ذلك الأذى الذي اقترفتيه بحق قلبي منذ أن ولدت، البطلة الحقيقة التي تغفر هي مؤمنة؛ غفرت لكِ أفعالك معها بفرنسا لتحتويك في بلدها فكان المقابل وجعًا وخيبة"**.

ولما وجدت دانة الأحداث بتلك القسوة كان رد فعلها بأقسى ما يكون، وظلت تبكي وهي تقول موجهة الحديث لآدم:

- "**لا أريدك أن تكون رجلي لتلقي عليّ يمين الطلاق الذي لا رجعة فيه، كن رجلًا ولو لمرة واحدة بحياتك ولا تتمسك بامرأة لا ترغبك ولا تأمن على قلبها معك**".

وانتهز آدم الفرصة وقبل الأمر مقابل أن تعطيه يمنى الشيك ودون أدنى ترددٍ سلمت يمنى الشيك لآدم وهي تقول له:

- "**سيحرقك ذلك المال لأنك أصبحت عبدا للمال، ونسيت أن الله أحق بالعبادة من تلك السلطة الفانية**".

وانفصلت دانة عن آدم ولم يطق طه صبرًا على وجود آدم وأميرة بالمنزل فقام بطردهما، فابتسمت أميرة تلك الابتسامة السمجة، وأخبرته أنهم سيعودون لفرنسا في القريب وأن عليه الانفصال عن يمنى لأنها لا تقبل أن تعيش ابنتها ببلد بها من الحرب والإهانة ما يكفي لأن يهاجر سكانها الأصليون عنها فكيف لمن عاشت بفرنسا أن تعيش ببلدٍ كتلك؟!وصمت طه وأجابت يمنى بكل الحب الذي تمتلكه لرجلها وقالت:

والله لن أرضى ببلدٍ غير تلك التي يعيش بها زوجي ورجلي ووالد ابني الذي في رحمي.

- ابننا!! "**ردد طه مندهشًا والذي لم تخبره زوجته بذلك مسبقًا**".

- لنربيه على منهج الإسلام وعلى ما يحبه الله ورسوله، "**قالت يمنى**".

فدنا منها طه وقبَّل يدها ثم سجد لله يشكره على هبته العظيمة، ثم قام ونظر إلى أميرة وهو يقول:

- **"والله لن أرضى بامرأة غير يمنى بديلًا ولن أخذل قلب تمسك بى رغم كل ما أعانيه من ظروف"**، ثم نظر إلى زوجته وهو يقول:
- **"والله لأظل أهبكِ من الحب أعظمه وليكن رسول الله في معاملته لزوجاته قدوة لى في معاملتي لكِ، أحبك"**.



شهيًا أن تنتصر، لكن الأشهى أن يكون انتصارًا مبنيًا على الحق، وألا يهدم أناس لا ذنب لهم في طريق بطولتك، للتذكروا دومًا أن الانتصار أن تكون على حق رغم كل ما تتعرض له من مغريات الحياة.

لم يكن في قاموس الجنرال أو رئيس الجامعة أو محارب تلك المعاني، إنهم مؤمنون أن السعادة هي أن تنتصر رغم كل شيءٍ وكل شخصٍ وكل إنسانيةٍ وكل عدل، فرحوا بانتصارهم على مؤمنة؛ لقد كانتْ عقبة أمامهم رغم أنها فتاة لم تتجاوز الثلاثين بعد، كانوا يفكرون في ردة فعلها قبل الإقدام على عمل من شأنه إهانة الأقليات المسلمة في الوطن، والآن لم يجدوا أمامهم سوى الفرح العظيم بانتصارهم عليها وسجنها دون وجه حق بل وتشويه صورتها أمام ذويها من المسلمين وهذا الأصعب.

بعد تلك الواقعة بأسبوعين حجزت الحكومة على كل أرصدة مؤمنة البنكية وأصبحت تحت تصرف الجنرال وأعوانه، ولقد اقترح محارب على جنراله ألا يرسلوا المال المتفق عليه إلى كريستينا؛ فرفض الأخير لكونه لا يريد أي تصرفٍ أحمق من كريستينا من شأنه إفساد كل ما قاموا به، ولقد أوفوا بعهدهم إلى كريستينا التي لا يهمها شيئًا في

الحياة سوى المال، ثم من بعد ذلك قاموا بأخذ الشيك من آدم وصرفوا له مال أبيه، ثم أخبروه وأميرة أنهم من الممكن أن يرحلوا في أي وقتٍ إلى فرنسا، لقد تورطت أماليا وسليم بعدما استطاعت كريستينا فعل ذلك وحولت من المستندات التي تدين أميرة لتدين أماليا وسليم وذلك عن طريق سلطة المال الذي أغرت به بعض المقربين من أماليا في الشركة ليورطوا وليسجنوا أماليا وسليم ولتعود أميرة إلى فرنسا خالية من الذنب، منتصرة انتصارًا زائفًا بخيانتها لمؤمنة وللمساعدة في سجنها، وجعًا أن يخونك من احتويتهم وقت حاجتهم وأي خيانة؛ إنها خيانة من شأنها تدمير حياة وشرف إنسانة لا شأن لها بشيء، لمؤمنة الله حتى لو انفض من حولها كل البشر.

واليوم عيد آخر بالنسبة لرئيس الجامعة الذي عاد إلى منصبه ليقوم في أول قرار له بعد عودته بفصل كل المسلمين الذين يقومون بالتدريس بالجامعة، وكانوا ثلاثة من بينهم كريم الذي ما تألم لفصله؛ بل لكونه يريد أن يظل بمنصبه لعله يستطيع معرفة شيء من شأنه فضح ألاعيب رئيس الجامعة، وليحاول إنقاذ مؤمنة من وجعها، وأعاد كريم إلى القاهرة مُرحلًا دون أدنى إنسانية ولم يستطع مقابلة مؤمنة قبلها، لكنه استطاع أن يفعل ذلك مع طه الذي أوصاه أن يخبر مؤمنة أنه ما رحل عن تلك البلد ليأسه وإنما مجبرًا وأوصاه أن يخبرها أنها كانت بمثابة الأخت التي تشجع بها في أيام كثيرة على الانتصار على الحزن الكبير الذي بداخله، وأنه لن ينساها كما الجميع مهما فرقت بينهم الظروف، وآخر ما قاله كريم:

- **"وأخبرها سلامًا على صمودها رغم ما تعرض له قلبها من أذى".**

ورحل كريم عائدًا إلى مصر متذكرًا أوجاع فلسطين التي أخذت منه والدته عن ظلم، وأوجاع الأقليات التي أخذت مؤمنة عن سطوة كره، وأوجاع تفرق المسلمين التي أخذت أحلام الشباب ووهبتهم الكسرة والذل أمام العالم كله.

في الطائرة جلس كريم مهمومًا شاعرًا أنه تخلى عن القضية وأنه كان يجب عليه أن يهرب لأية منطقةٍ في البلد ليساند طه في قضية مؤمنة، إنه يشعر أنه تخلى عن مؤمنة لكنْ ماذا كان يجب عليه أن يفعل ولقد ترك حبيبته عاجزة القدمين بمصر وذلك إثر القصف الذي حدث بفلسطين وفقده والدته وفقده أقدام حبيبته، كيف له أن يُعرض حياته للخطر لشيءٍ غير مخططٍ له، شيء عشوائى لن يترك أثرًا من شأنه إنقاذ الوضع المأساوي الذي يعيشه الأقليات، كيف يفعل وهو الذي وعد حبيبته قبل أن يسافر أن يعود لها سالمًا، لقد أقسمت عليه بحبه ألا يذهب لفلسطين لأنها لن تتحمل فيه فقدًا وإن كان فليرحلوا إليها معًا ليكون الموت معًا، وعليه الآن أن يبر قسمها مثلما برت هي قسمه عليها من قبل في أن تعود معه إلى مصر لأنه لا يتحمل فقدها فيكفيه أنه فقد والدته، كيف له ألا يعود إليها وهو الذي وعدها أن يذهب إلى تلك البلد للتدريس هناك لا أكثر، وأن يعود لها سالمًا كما تركها، كان كريم يعلم جيدًا أنه لم يقبل عرض الجامعة من أجل أن يدرس هناك فقط، أو من أجل المال وحسب، وأنه ما ذهب إلا لمساعدة الأقليات هناك لعل قلبه يشفى قليلًا من الوجع الذي يلازمه إثر فقد والدته، وإثر ما حدث لأقدام حبيبته، لكنه بالنهاية ما استطاع أن يُكمل بخطة غير مدروسة، إنه لو أكمل بعبثية لن تستطيع حبيبته أن تصمد في الحياة وحدها ولن يستطيع والده أن يتحمل فقدا قاسيا كهذا، وفضل كريم أن

يعود إلى مصر ليرتب أوراقه ثانية ويفي بوعده للزواج من حبيبته، ثم من بعد ذلك ليفكر ماذا عليه أن يفعل بالقضية ولقد قرر أيضا أن يساند مؤمنة من مصر خيرا له من أن يُقتل بين لحظةٍ وأخرى كهاربٍ أثبت تهمة مساندته لمؤمنة على نفسه.

ولقد عاد كريم إلى مصر واستقبلته حبيبته التي قال لها:

- "**المحبين يوفون بعهودهم ولقد وفيت**".



لم يخرجها من ذاكرته، ظلت في خلده طوال الوقت، لم يرغب في أن يتركها وشأنها، وطلب المحارب من الجنرال أن يتوسط له ليكون سجانًا على زنزانة مؤمنة ويترك حراسة الجامعة، ما الذي برأسه وما الذي يريده منها؟، ألم يكفيه كل ما حدث لها من ألم ليجعلها تراه كل يوم لتتذكر كل ما مر بها من وجع وقتل وفقد؟، من أي شيءٍ خلقت يا محاربٍ؟، أخلقت من كبرياءٍ وعدم رحمةٍ أنت؟، ألم يُخلق فيك ثمة إنسانية واحدة لتترك مؤمنة وشأنها؟

بعد أسبوع من طلب محارب قُبل طلبه وأصبح سجانًا لمؤمنة، دخل عليها في أول يوم استلم عمله فيه فوجدها تقرأ في كتاب الله فانفعل كما لم يحدث له من قبل وأخذ منها الكتاب بالقوة وهو يقول لها:

- من سمح لكِ بإدخال ذلك المصحف إلى هنا؟
- محارب!! "**قالت مؤمنة في دهشةٍ غير مصدقةٍ أن سجانها تغير ليصبح ذلك الشخص الذي لم تعد تتحمل رؤيته**".

سخر محارب من دهشتها من كونها لا تتوقع أنها ستلتقي به ثانية، سخر من نفسيتها المحطمة التي لا ترغب في رؤية أحد ممن آذاها في حياتها، أخبرها محارب أنه سيكون لها بالمرصاد وأن عليها الالتزام بأوامره وإلا اشتد عقابها، وعليها ألا تحاول إدخال القرآن إلى سجنها ثانية، وابتسم فرحًا لكونه من وجهة نظره أحزنها بأخذ المصحف منها، فلم تستطع مؤمنة صبرًا وأعلنت له أنها تحفظ كل كلمةٍ في كتاب ربها، وأنه لن يستطيع سحب إيمانها القلبي كما سحب مصحفها من بين يدها.

- أما زال لديكِ القدرة على كل ذلك الثبات؟، إن إيمانكِ هو من أوصلكِ لتلك الحالة، "**قال محارب ساخرًا**".
- الإيمان هو الشيء الذي يجعلنا أحرارًا رغمكم، لتعلم أنني حرة ولن يهزمني شيئًا طالما أن الله أقرب إليّ من حبل الوريد، "**قالت مؤمنة بثباتٍ أكبر**".
- ستتركي إيمانكِ قريبًا، أعدكِ، "**قال محارب متحديًا**".
- أعدك أن يكون الموت حينها أحب إلى قلبي من حياةٍ بلا إيمان، "**قالت مؤمنة**".

ما الذي يعطي الحق لإنسان أن يهين الآخر في إيمانه بتلك الدرجة، وما الدافع الذي يجعل أحدهم يعامل الآخر بدونية وبكبرياء وأن يظل يؤلمه نفسيًا إلى هذا الحد؟

خرج محارب بعدما أمر الحرس أن يدخلوا الطعام إلى جميع من في السجن عدا مؤمنة على ألا يعطيها أحد من طعامه شيئًا.

بأي عدل هذا الذي يجعل إنسانًا يمنع عن الآخر أساسيات الحياة؟، وفعل الحرس كما أمرهم محارب وأمروا الجميع بأن يتناولوا الطعام دون أن يلتفتوا لمؤمنة، أو أن يعطوها ممن منحوه لهم شيئًا، لكن هناك بعض المساجين الذين يمتلكون بعضًا من الرحمة؛ تناولوا جزءًا صغيرًا من الطعام واستحوا أن يكملوا بقية وجباتهم رغم جوعهم إحساسًا منهم برفيقتهم فنالوا أشد العقاب من الضرب حتى تناولوا كل طعامهم ليفلتوا من العقاب.

كل كلمات المواساة التي قالوها رفقاء مؤمنة بعدما خرج الحراس لا تشفع لذلك الألم النفسي الذي تسبب لها فيه محارب، لكن ما أثلج قلبها هو تذكرها لقول الله تعالى "إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا"، ومن أصدق من الله قولًا.



"من لشفاء الخيبات إلا الله"

"لا تحزنوا ولا تندموا السجن حرية ما دام نتيجة لنضال، لقضية تؤمن بها، السجن يا رفقاء ليس وصمة عار ما دام ليس لذنبٍ اقترفتموه، فمرحبًا بالجدران الأربعة والنافذة الحديدية التي لا تستطيع إفلات عصفورٍ لتدخل إلى الغرفة العتمة التي لا يطيق حيوان السكن فيها لمدة تزيد عن ساعتين متتاليتين، محبة مني يا رفاق إليكم ليمر الوقت هنا في معية الله أهبكم تعليم القرآن وشرحه وحفظه للذين يرغبون؛ فمن شاء فيدي ممدودة إليه بالحب، لنستغل ذلك الوقت في عبادة الله، ولتكن صحبتنا هنا تحت شعار الحب في الله"، تلك هي الكلمات التي قالتها مؤمنة بثًا لروح الحياة في نفسها وفي رفقائها داخل السجن نتيجة لما رأته عليهم من الحزن والبكاء بعد خروج محارب ومعاونيه، قد حزنوا لنصف الحياة التي يعيشونها، وقد بكوا لنصف الآدمية التي هم عليها، وقد غضبوا لاستعباد أحدهم لهم دون وجه حق، وقد توجعوا لما هم عليه من خيبة الأمل في رؤية نور الشمس من جديد، لكن من لشفاء الخيبات إلا الله ومن للحق سوى الله ومن ينزل رحمته على من سكن قلبه الوجع والخوف سوى المطلق، فلمؤمنة ورفقائها

العدل الذي لا ثاني له، التفتت بعض الفتيات حول مؤمنة من بينهم فتاة تسمى هاجر دخلت إلى تلك الزنزانة البائسة قبل مؤمنة بعامين نظرًا لأنها رفضت أن تصمت عن قول الحق حينما حدثت حادثة لا إنسانية فيها بالمنطقة التي تعيش فيها وهي أخذ معاون الجنرال طفلًا بمنطقتها عنوة ليدفنه حيًا أمام مسمع ومرأى الجميع ليردعهم عن إتمام احتفالاتهم بعيد الأضحى المبارك، وواجهت هاجر ذلك الظلم بقولها "**لا تفعل**" وتلك "**اللا**" كانت بمثابة النهاية لها ووضعت بالزنزانة دون محاكمة، تلك الزنزانة التي يكون الموت أرحم للإنسان من أن يدخل فيها، الموت يكون حدثًا مفزعًا للأهل لكن معروف المصير، أما تلك الزنزانة فلا مصير لها ولا معرفة للأهل بها ولا رحمة ولا عدل، وجعًا أن تعيش كأنك ميت.

لم تكن مؤمنة تدرك من أين جاءتها تلك البطولة، هي تحتاج إلى من يواسي قسوة شبابها ومن قبل ذلك ذل طفولتها الأولى، لعله الله حين يقول للشيء كن فيكون.

المهم بعد دعوة مؤمنة لرفقائها جلست إلى جوارها هاجر فتشجع الباقون والتفوا حول مؤمنة بادين استعدادهم لإزهار حياتهم بحفظهم وتفسير كلام الله عز وجل، كل من في الزنزانة جلسوا إلى مؤمنة إلا فتاة واحدة جلست في ركن ركين من الزنزانة ورفضت أن تنضم إلى الجميع، كما رفضت من قبل أن تنشئ أي حديثٍ بينها وبين أيةِ واحدةٍ حاولت أن تمارس معها حق البوح والتسلية بالكلام العابر، حتى أنها لم تنطق باسمها إلى أحدٍ منهم، حتى أن البعض اعتقد أنها خرساء لولا أنها أحيانًا قليلة كانت تنطق بكلمة واحدة أو كلمتين على الأكثر ثم تصمت من جديد وكأنها لم تنطق حرفًا.

حاولت معها مؤمنة لكنها أبت أن تذهب مع مؤمنة وكورت يدها على أقدامها وأدخلت رأسها بين يدها معلنة أنها لن تخضع لدواعي الأمل من جديد، فيكفيها خيبات كثيرة بعد آمال عريضة، لله الأمر.

جلست مؤمنة بين الفتيات تقرأ عليهن آيات الله ثم من بعد ذلك تفسره مثلما فسره لها شيخها القديم بفرنسا؛ فتطمئن قلوب الجميع ويهدأن بعد بكاءٍ مرير لا أحد يشعر به، إلا أن ذلك الوضع لم يستمر كثيرًا؛ فلقد مرضت هاجر بعد استمرارية هذا الحدث بأسبوع ولقد ارتفعت درجة حرارتها لما فوق الأربعين، وأصاب الجميع الخوف على رفيقتهم ولم يفتح السجانين عليهم باب الزنزانة منذ مرض هاجر، ولمدة ثلاثة أيام ورغم صراخهم لم يفتح لهم أحد كأنهم حشرات منسية لا يتذكرونها، وإن تذكروها يكن الضرب والإهانة هما المصير الأول لهم.

دخل الحارس عليهم ليضع لهم بعض لقيمات الخبز المتعفن ليشبعوا بها لوعة بطونهم لكنهم لم ينظروا إلى الطعام الذين كانوا يتلهفونه حتى لو كان متعفنًا لكن ذلك قبل مرض صديقتهم، وتلهف الجميع الحارس ليطلبوا منه نقل هاجر إلى المسشفى لكنهم في النهاية صمتوا وتراجعوا خوفا ممن قد يتعرضن إليه إذا باحوا بطلبهم، واستجمعت مؤمنة قوتها واستعانت بربها وقالت للحارس وهو يستعد للخروج:

- هاجر أصابتها الحمى ومن العدل أن تتلقى العلاج في إحدى المستشفيات.
- أنتم كائنات درجة ثانية ليس من حقكم طلب أي شيء، "**قال الحارس بكبرياء**".

- ستموت، بحق الإنسانية ساعدني، "**قالت مؤمنة مترجية الحارس**".
- فلتموت، "**قال الحارس دون أن يظهر أي شعور بالذنب أو العاطفة تجاه المريضة**".
- لترسل لي محارب سأتفاهم معه، هو رئيسك ولعله يفهم معنى ذنب أن يستبيح حياة إنسانة، ولعلك لا تستطيع تصرفًا دون إذنه فأرسله لي، "**قالت مؤمنة قبل أن يغلق الحارس باب الزنزانة بثوان معطيًا لها ظهره دون أن يجيبها بحسن نواياه تجاه هاجر المتكورة على الأرض لا حول لها ولا قوة**".

وخرج الحارس فاستقبله محارب وسأله عن سبب سماعه لصوت مؤمنة عاليًا وعن سبب شجاعتها في طلبها لرؤيته فأخبره الحارس بما حدث ثم حياه وغادره، غادر محارب الذي ظل يفكر في امرأة لم تحاول أن تتناقش معه حينما منع الطعام عنها وأهانها، لم تتحاور معه بشأن وجعها ولم تصمم أن تفعل، لكنها الآن تناضل ولديها أمل في أن تناقش جلادها من أجل غيرها غير مهتمة بعواقب ذلك، إنها تمسك بقشة الأمل التي تنقذ بها رفيقتها التي مر على معرفتها بها أقل من أسبوعين، وظل المحارب يسأل نفسه عن الدافع وراء ما تفعله مؤمنة الآن، إنه بالتأكيد ليس لشهرة فأي شهرةٍ تلك التي ستبحث عنها وهي متيقنة أنها لن تخرج إلى الحياة مجددًا، لعله إيمانها كما تقول هي دومًا، إيمان بالرفقاء اللواتي هن على دينها، هكذا اعتقد محارب أن مؤمنة تناضل لكون هاجر على دينها وأعتقد إن لم تكن على دينها فلن يتحرك لمؤمنة ساكنًا.

تنفس محارب وأخرج كل ما يدور بعقله تجاه مؤمنة محاولًا الانشغال بأى شيء آخر غير تصرفات تلك الفتاة التي تربكه في كثير من الأحيان.

في مساء ذلك اليوم والتى لم تستطع مؤمنة فعل أكثر من الاسعافات الأولية لهاجر التي ازدادت حالتها سوءًا، وفي أثناء فزع الجميع على هاجر باغتتهم الفتاة المتكورة في ركن الزنزانة والتي لا تتحدث إلا قليلًا باتجاهها نحوهم وإعطائها لمؤمنة عقارًا من شأنه تحسين حالة هاجر، ولم تنطق مؤمنة بكلمة وأخذت العقار وأعطته لهاجر بعدما أطعمتها بعض اللقيمات التي قد وجدها بقية الرفقاء بالكاد في وسط العنف الذي ألقى به الحارس إليهم، ومن بعد ذلك راحت هاجر في نومٍ عميق لم تحصل عليه منذ ثلاثة أيام.

وحينها ذهبت مؤمنة إلى الفتاة المتكورة وقالت لها:

- لا أستطيع أن أسمح لنفسي بالتدخل في شئونكِ رغمًا عنكِ، أنتِ متحفظة وأنا أحترم ذلك ولن أتجاوزه، واسمحي لي أن أقدم لكِ العرفان بالنيابة عن هاجر، وسأكون سعيدة إن قررتي يومًا أن أكون لكِ صديقة.

واستعدت مؤمنة بعد تلك الكلمات لأن تترك الفتاة كي لا تزعجها لولا أن استوقفتها الفتاة بكلماتها:

- إنني لست مسلمة، لقد نشأت لأسرة مسيحية ولقد سمعتكِ تحكين لهاجر ذات يوم أنكِ تربيتي عند امرأة مسيحية وأن تلك القشة هي التي استخدموها ضدكِ لتدخلي إلى هنا، كم تمنيتكِ اليوم ثابتة على نهجكِ المسيحي كى لا أشعر بالغربة معكِ.

- إنني لم أكن يومًا مسيحية، إن رفقا ذاتها أسلمت في آخر أيام حياتها، ولقد ربتني على الإسلام، ولقد أحببت ديني عن قلب وعقل معًا فيما بعد، وهذا لا يمنع أن أكون صديقتكِ.

ابتسمت لأول مرة التي باحت باسمها أخيرًا؛ إنها تدعى مادلين جرجس والتي دخلت إلى تلك الزنزانة على حد قولها لدفاعها عن الحق الإنساني لأطفال المسلمين ولمسلمين الأقليات في الحياة، إنها على حد قولها لن يكون إيمانها قويًا إلا إذا اعترفت أن للآخر حق الحياة في سلام وحب، وأن أبويها إعتقادًا منهم أنها أسلمت لدفاعها عن حق المسلمينً أدخلوها إلى تلك الزنزانة بواسطة القس الذي يعرف رئيس ذلك السجن دون أيةِ رحمة منهم لابنتهم التي أقسمت لهم ألفا أنها لن تتنازل عن المسيحية، ولن تحيد عن دينها، وأن دينها لم يقر أبدًا بذلك العنف ضد أي بشري، لكنهم لم يؤمنوا بحديثها وعاقبوها على تهمة ليس فيها بمذنبة، عاقبوها لإنسانيتها ولفطرتها السليمة في رفضها للعنف والدم والكره الذي يحدث بوطنها.

- من أين جئتي بالعقار الذي لم تبخلي على هاجر به، سألت مؤمنة وفي عينها الدمع والشغف من قسوة الآخرين على من يستخدمون إنسانيتهم ولو لمرةٍ واحدة في حياتهم.
- أحدهم هنا يساعدني، وقد ساعدني به حينما مررت بنفس مرض هاجر منذ ما يقرب من شهر، ولن أستطيع أن أبوح لكِ باسمه، ليس لعدم ثقتي فيكِ وإنما لخوفي على من يعرض نفسه للخطر من أجلي.

وربتت مؤمنة على كتف مادلين وهي تفكر في إحساس أن يجاذف أحدهم بنفسه من أجل الآخر، ولم تفكر مؤمنة طويلًا حيث

أدهشتها مادلين التي قادها ذكاؤها لمعرفة ما الذي تفكر فيه مؤمنة جيدًا فقالت:

ـ إنه الحب، أعظم شيء يمكن لإنسان أن يعيش لأجله، لقد أحبني كثيرًا كما فعلت أنا معه، لم يهمه ما أنا عليه وأقسم لي أنه سيظل على عهده وإن طال الظلم والقهر. إنه الحب الذي لم يدق على قلب مؤمنة ولو لمرةٍ واحدة والتي ظلت تبحث عنه وهي حرة كثيرًا ولم يسعدها بمجيئه، الآن لم تعد تفكر فيه لقد يأست منه وغادرت المقاعد الاحتياطية لأنها أدركت أنه لن يأتي عليها يوما لينزل اسمها في قواميس العشاق، وأعلنت أنها خارج التشكيل وخارج الآملين الطامعين في حب عظيم كذلك الذي أحبه عظماء الأدب وكذلك الذي مارسه عظماء التاريخ وكبار الفلاسفة.

"لتبعدني يا الله عن التفكير في شيءٍ ليس لي ولتبعد قلبي عن كل رغبةٍ في الحب، ولا تزد على أوجاعي وجعًا بحلمٍ أو أملٍ جديد، لقد رضيت بما أنا فيه فساعدني على تجاوز التفكير في كل ما ليس هو لي"، قالت مؤمنة التي لم تستطع أن تمسك دمعها من النزول".



"يأتي عوض الله حينما ينفض الجميع من حولك"

لم يعد لدى الجميع ذريعة أمل في لقاء مؤمنة، يمنى التي فقدت أميرة وآدم وهم على قيد الحياة كان فقدًا مؤلمًا لكنه أفضل من كارثية الحياة معهم دون مبادىء ودون أدنى إيمان بفتاة لم ترتكب ذنبًا لإهانتها والوقوف مع جلاديها بتلك القسوة، لكن ورغم أن أهلها أعطوها وجعًا إلا أن الله وهبها عوضًا، لقد وضعت اليوم طفلها الأول وبذلك وهبها الله أملًا جديدًا في الحياة، كما أعطى طه إيمانًا قويًا باستمرار البحث عن قشة واحدة لتظهر مؤمنة للحياة ثانية، وفرحوا بالطفل ولاكتملت فرحتهم لو كانت مؤمنة بينهم اليوم.

دخلت دانة مباركة لطه وليمنى على هبة الله لهما فباغتتها يمنى بقولها:

ـ أي اسم تختارينه للطفل سنوافق عليه.

وبذلك السؤال أسعدت يمنى دانة بإدخالها في نطاق الأسرة بعد شعورها المرير بالغربة، ولم تتردد دانة بإعلان الإسم الذي اختارته وقالت:

ـ سأكون سعيدة إن سميتموه "**حمزة**".

قالت الاسم وغادرتهم متجهة إلى غرفتها لتبكي ولتتمنى أن يعود حمزة إليها، إنها في أشد لحظات حياتها لأخيها لأنها تعلم جيدًا ألا أحد يستطيع انتشالها من غربتها سوى أبٍ أو أم أو أخ أو زوج صادق والأب والأم ليرحمها الله، والزوج لم يكن صادقًا ولم تكن هي زوجة بمعنى الكلمة، أما الأخ فلديها من الأمل أن يعود ليأخذها بين أحضانه ولتبكي له أوجاعها ليتحملها دون أن يتضرر منها ولو لمرةٍ واحدة، إنها لم تعد ترغب في الزواج ولا الاعتراف بأن هناك زواجًا رائعًا يمكن من خلاله أن نتحمل قسوة الحياة، إنها ما عادت تؤمن بالرجال ولا بقدرتها على الاختيار الصائب وتخجل أن تدعو ربها أن يرزقها رجلا يُصلح ما انكسر في قلبها لأنها على دراية كاملة أنها كانت المذنبة الأولى في حق نفسها وبحق دينها وعائلتها، وانهارت دانة من البكاء وظلت ليلتها تدعو الله عاشرًا وبنفس الحرقة الأولى أن يغفر ذنبها وأن يثلج قلبها بأن يعيد حمزة إليها وليحنو عليها ويعطيها ولو إشارة واحدة أنه غفر لها ذنبها التي ستظل تستغفره عليه ما دامت حية.

وأكمل حمزة الصغيرة في الحياة أسبوعًا وبأول يوم في الأسبوع الثاني هاتف مارك طه يسأله عن رؤيته لمؤمنة، وصُدم حينما أعلن له طه أنه إلى اليوم لم يتمكن من معرفة أين سجن مؤمنة لا أن يراها، وأغلق مارك الهاتف متذكرًا الوعد الذي برمه على نفسه لرفقا في أن يكون سندًا لمؤمنة كما كانت هي بالنسبة له، وظل يفكر في خيط رفيع يعيد به المحاكمة من جديد لتظهر على الأقل مؤمنة وليعرفوا أين سجنها، ولقد تذكر كلمات مؤمنة في المحكمة عن أن رفقا قد أتت لها بشيخ من صغرها أفهمها دينها جيدًا، وداعبه الأمل في أن يجد ذلك الشيخ كورقةٍ رابحة في إعادة محاكمة مؤمنة، فلو أدلى بأقواله ولو أظهر

دليلًا ماديًا واحدًا معه لأنقذ مؤمنة ولأثبت لمسلمين العالم أنهم تسببوا في الأذى النفسي لها بسبب تصديقهم تهمة بشعة كتلك عليها ودون أن يتحروا الحقيقة بالكلية، وأن على الجميع إعادة إحكام ضمائرهم والنظر بعين الحق والعدل لما تعرضت له مؤمنة وما يتعرض له أقليات العالم في كل مكان من أذى جسدي ونفسي، وأن من حق الجميع أن يعيشوا دون خوفٍ من إنهاء حياتهم بواسطة المختلف معهم في المعتقد بين لحظةٍ وضحاها.

بعد مكالمة مارك لطه بيومين أخيرًا عثر على عنوان شيخ مؤمنة في أوراق موكلته القديسة رفقا، وفرح بالعنوان انتصارًا للعدل الغائب الذي لم يشهر سيفه في وجه ظلم فتاةٍ كل حلمها أن تصبح مواطنة، وأن تمارس إيمانها دون خوف، ورغم أن مارك عثر على العنوان ليلًا إلا أنه لم يستطع صبرًا لصباح اليوم التالي، وركب سيارته وتلهف عنوان الشيخ لكنها الخيبة التي لم تكن متوقعة لمارك؛ فلقد صدمه جار الشيخ عند وصوله وسؤاله عليه بإخباره أنه قد رحل إلى مصر، وغادر فرنسا بلا رجعة وذلك من أجل أن يعيش مع ابنته التي تزوجت من عالم أزهري مصري، وللحيرة لم يستطع مارك الحصول على عنوان الشيخ في القاهرة من الجار وذلك لعدم ترك الشيخ عنوانه لجاره، إنها الأقدار التي حولت أمل مارك إلى خيبة، وتفكير من جديد في حل جذري لمعرفة سكن الشيخ حتى لو اضطر مارك إلى أن يغادر فرنسا قاصدًا مصر ليساعده ذلك في مهمته تجاه مؤمنة، لكن الأمر بالنسبة لمارك لم يكن سهلًا، فأن يقرر السفر إلى القاهرة للعثور على شيخ لا يعرف عنه سوى اسمه الثلاثي "**عبد العدل موسى التهامي**" خاصة أنه لا يعرف أحد في القاهرة فكيف له أن يجازف للسفر للبحث عن قشة وسط مائة مليون بشري، وارتبك مارك من جديد ولم يبح بشيءٍ

من هذا لطه إلا بعد أسبوعين من ذلك الحدث، ولعل تأخره في إخبار طه كان له أثره السلبي في الإبقاء على مؤمنة في سجنها لمدة أكبر، لعله الله لم يأذن حتى الآن لفك كرب مؤمنة ولعل في ذلك حكمة نجهلها نحن البشر بعقولنا الجزئية ويعلمها رب البشر بإدراكه الكلي، وأخيرًا وبعد أسبوعين باح مارك بما حدث لطه، طه الذي فور معرفته بالأمر تذكر كريم الذي هاتفه قبل مهاتفة مارك له بيوم واحد ليطمئن على مؤمنة والذي لم يثلج قلبه بذلك الاتصال، كريمٌ الذي أخبر طه بأنه تزوج من حبيبته ففرح له الأخير كأخ من دم واحد، وسرعان ما عاود طه الاتصال بكريم وأخبره طه وجعًا لَما حدثَ لمؤمنة من إخفاء قهري والنقطة الجديدة التي أعلن مارك له عنها، والتمس منه مساعدة مارك حينما يزور القاهرة ومحاولة الوصول إلى الشيخ، ولم يفكر كريم ولم يتردد للحظة في قبول الأمر، كريم الذي ظل يسجد لله شكرًا لتهيئته للأمر ليعود للقاهرة، ذلك القدر الجميل الذي سيجعله يساعد مؤمنة في المكان المناسب، إنه الله العظيم الذي يقدر لنا الأجمل لكننا لا ندرك جمال القدر إلا متأخرًا، واستعد كريم لاستقبال مارك في الموعد الذي حدده الأخير وهو الجمعة التي توافق التاسع من شهر نوفمبر، لطالما آمن كريم أن نوفمبر يأتي بما يأس منه أن يحدث، وهو الآن يسجد ويدعو الله أن يكون هذا النوفمبر كما عهده دومًا، وكما يتوقع منه آتيا بالأمل الجديد، والبُشرى العظيمة لفك كرب فتاة كان قدرها الظلم في موطنها، وهذا هو الأمر الأقسى، فأن يكون ظلمك يقبع في موطنك، أن يأخذوك قهرًا وظلمًا وتعسفًا في بلد غير تلك التي قدر الله أن تكون موطنك؛ فهذا أقل وجعا بكثير من أن تجد جلاديك في الموطن الذي من المفترض أن يكون آمانًا بالنسبة لك.

"فلا سلام على الذين يؤذون غيرهم
دون أدنى شعور بالذنب"

أن تستخدم الأشياء المادية استخدامًا عادلًا فهذا من حق الشركات المنتجة، أما أن تحدد للإنسان أن يُستخدم لعمر معين وتُسمي ذلك استخدامًا عادلًا فهذا والله عين الظلم، الإنسان لا يمكنه أن يستخدم آخر ولو لدقيقة واحدة كأنه يستخدم جهاز الحاسوب الخاص به، إنهم قرروا أن يستخدموا يلدس لخدمة قصر الجنرال حتى تصل الثلاثين من عمرها، هي منذ طفولتها لم تختَر العمل بل أُجبرت عليه ووافقت عليه والدتها لأجل عدم الفقد وقسوته، والآن وبعد زواجها ترغب في ألا تكمل في ذلك العمل وأن تكتفي ببيتها وزوجها، زوجها الذي لم يعد يطيق صبرًا لإهانات امرأته التي تتعرض لها أثناء ذلك العمل كخادمة عند من لا إنسانية لهم، طالبها سامر أن يكون لديها من الشجاعة لتطلب من رئيس العمل أن تستقيل عن عملها.

- أي استقالةٍ التي تتحدث عنها يا سامر! الاستقالات لمن عمل عن رضا منه وبأجر، أما عني فلقد رضيت والدتي بأن أعمل مقابل ألا أُقتل في طفولتي، إنني أخذت مكسبي مقدمًا من وجهة نظرهم وهو أن أبقى على قيد الحياة، ذلك المكسب

الذي من المفترض أن الله قد وهبه لي بالمجان ودون مقابل، إنني مملوكة على غير رغبة مني، ولأفك ذلك القيد عني عليّ أن أختار مقابله الموت، أو الانتظار لأربع سنوات أخريات حتى أتم الثلاثين ويستغنون عن خدماتي.

قالت يلدس تلك الكلمات وهي تخفي نفسها في أحضان زوجها، زوجها الذي لم يستطع ردًا على قسوة كلمات يلدس التي ستمتثل في الصباح لعملها في قصر الجنرال من جديد، وأول من التقت به في الصباح هو محارب الذي لم يكن على ما يرام، فلأول مرة ترى وجهه شاحبًا بتلك الدرجة، فنادها سائلًا إياها عن الجنرال وأخبرته أنها ستخبره بوجوده بالخارج، ولما أذن له جنراله بالدخول لم يتحدث محارب بكلمة واحدة لعدم استطاعته فعل ذلك.

ـ ما الأمر أيها المحارب؟

قال الجنرال الذي لم يشعر بما يحدث لمحارب من ألم إلا بعدما غاب المحارب عن الوعي؛ فاستدعى الجنرال يلدس وبعض الخدم وأمر يلدس أن تخلع سترة المحارب الخارجية ليستطيع أن يأخذ نفسه لحين استدعاء الطبيب، وأثناء ذلك أصاب يلدس الدهشة التي لم تجعلها تُكمل عملها متوقفة عن إكمال خلع سترة محارب؛ فصرخ الجنرال بوجهها آمرًا إياها أن تكمل ما بدأته ثم لتذهب من بعد ذلك لاستدعاء الطبيب، وفعلت يلدس مثل ما أمرها الجنرال به، ثم انسحبت من بعدها لتأخذ ركنًا في القصر لتجلس فيه باكية لا يشعر بها أحد متمنية أن تلتقي بزوجها لتسرد له ما صدمها بمحارب.

وجاء الطبيب الذي شخص حالة محارب بأنه إجهاد وهبوط في الدورة الدموية كاتبًا له على مجموعة من الأدوية آمرًا إياه أن ينتظم في تناولها، ولم يهتم الجنرال بأمر الطبيب لمحارب في أن يأخذ قسطًا من الراحة، وأمره بعدما شعر أنه خرج من نوبة الإغماء أن يذهب لزنزانة مؤمنة ليمنعهم من صلاة الجمعة غير شاعرًا بمرض رجُله الذي لم يُأخر له أمرًا من قبل، وكيف له أن يشعر به ولقد أقصى الانسانية والرحمة من قاموسه جانبًا وأصبحت سلطة الكره لمن هم على غير قناعته هي أول شيءٍ يفكر فيه كل صباح؟! فلا سلام على الذين يؤذون غيرهم دون أدنى شعورٍ بالذنب، وغادر المحارب قاصدًا السجن وأثناء ذلك كَمِن في نفسه حديث قاسيًا على نفسه، إنه ولأول مرة لا يشعر بالأمان في قصر الجنرال، لقد كان يعتقد فيما سبق أن قسوة الجنرال تلك على من لا يؤمنون بما يؤمن به، أو على من لا حق لهم في الطمع في السلطة التي ينعم هو بها، أما أن تكون لا إنسانيًا مع من يساعده على الحفاظ على عرشه هذا ما لم يتوقعه محارب أبدًا، فأي عدل أن تنال من كرامة من كانوا لك سندًا وعونًا.

ودخل محارب السجن وكابوسية أفكاره محاصرة له من كل اتجاه حتى أنه دخل إلى مكتبه ولم ينفذ أمر سلطانه الذي ما أغدق عليه بكرم الإنسانية في أن يأمره أن يستريح كما أمر الطبيب، وما دام لم يشعر به جنراله شعر هو بنفسه ونفذ هو أمر طبيبه في الراحة، فعلى أي شيءٍ يهدر صحته لأجل رجلٍ لا يشعر برجاله ولا يهمه إلا سلطانه، ومن سيحرص على راحتك النفسية إن لم تكن أنت أول الفاعلين، حتى أنه في ذلك اليوم لم يعطِ الأوامر لرجل من أعوانه لينفذ أمر قطع الصلاة على زنزانة أقليات المسلمين، ذلك اليوم الذي ظلت مادلين

تقف لمؤمنة ورفقائها عند باب الزنزانة لتسمع أرجل القادمين لتنبههم بذلك لأنهم لم يعد لهم قدرة على تحمل ألم الضرب والركل بالأرجل، ووقفت مادلين تراقب من لم ينفذ أمر سلطانه والذي لم يفعل ولم يأتِ، وقفت وساندتهم إيمانًا منها أن الله هو الحب والتسامح الإنسانية وأنه من العدل أن يمارس الآخر إيمانه في سلام وإيمانا منها بأنه ليس عدلًا أن تهان فتيات لم يرتكبن أية حماقة، وكُل ما رغبوه هو حق العيش بكرامة وعدل وإنسانية.

وانتهوا من صلاتهم وفرحوا بعدم دخول محارب ورجاله عليهم ككل مرة، وفرحوا أكثر باستطاعة مادلين توفير ماء الوضوء لهم وذلك عن طريق حبيبها الذي باحت به لمؤمنة أخيرًا، إنه ذلك السجان الذي رفض أن ينقل هاجر إلى المستشفى، والذي صرخ بوجه مؤمنة عندما طلبت منه أن يكون به نوع من الرحمة، وهو نفسه الذي وفر العقار لهاجر، لكنه لم يستطع إظهار الرحمة لهاجر أو لمؤمنة وإلا كُشف أمره عند المحارب، ونال أشد العقاب بالإضافة إلى إبعاده عن الزنزانة التي شهدت حبه لمادلين، والذي لا يطيق صبرًا على البعد عن الفتاة التي لا تؤمن بإيلام الآخر، إنه هو الآخر على دينها لكنه راهب يعمل بأحد الأديرة، ولقد كُلف من قبل رئيسه أن يذهب إلى ذلك السجن ليراقب كل تصرفات مادلين، وقد أتى إلى السجن متوعدًا للفتاة التي اعتقد أنها غدرت دينه؛ فلم يجد منها إلا كل جميل وكل إنسانية وكل رحمة، لقد أتى إلى السجن ليعمل وفقًا لقواعده الصارمة أيًا كانت، لكنه خالف كل قاعدة غير إنسانية في حب مادلين، وخالف كل ما يلوث فطرته الإنسانية وأقسم أن يساعد كل رفيقات مادلين في الزنزانة

لأنهم مثلها على حق، لكن دون أن يظهر ذلك لأحد وإلا كانت عواقبه غير محموده.

ـ تُرى ما الذي جعله لا يُغدق علينا بعقابنا، "**تساءلت مؤمنة في نفسها تجاه محارب**".

ووجدت أن ذلك الحدث ليس عابرًا ولم يكن أبدًا مصادفة، إنه لشيءٍ في نفس محارب لا يعلمه إلا الله، الأغرب أن الطعام الذي دخل لهم في ذلك اليوم كان شهيًا، إنه اللحم المقدد والخبز الطازج، إنهن وكأنهن يُحلمن، كيف ذلك؟! إنهن اعتدن لقيمات الخبز المتعفنة، وحينما ينعمون عليهم كانوا يدخلون لهم بعضًا من الجبن وهذا نادرًا أما أن يكون الطعام لحمًا فهذا من دواعي الدهشة، وتناولن الفتيات الطعام في ذلك اليوم بشهيةٍ وقد عرفوا من الراهب أن ذلك الطعام على نفقة محارب، ولقد أمره ألا يبوح بذلك خارج السجن.

لعل محارب حين فعل ذلك كان يعاقب الجنرال على عدم إنسانيته ورحمته لمرضه، ولعله كان يستمتع بمخالفة أوامر ذلك الجنرال ويُمني نفسه أنه تابعًا له، وأنه من الممكن مخالفته وأنه قد يعيش دونه ودون قصره، الله أعلم بما في نفسه، لكن كل ما لاحظه الراهب عليه أنه في أشد لحظات حياته كابوسية وأحزنها وأكثرها صراعًا وهذا ما ظهر على شحوب وجهه الذي عاوده مجددًا نتيجة لكثرة تفكيره.

فى مساء ذلك اليوم الغريب شعرت الفتيات بحركة سريعة في الخارج وارتبكن خوفًا من أن يكون هناك قرارًا من شأنه إيذاء إحداهن وتكون الوليمة التي قُدمت لهم ما هي إلا تنفيذًا لرغبة الميت قبل تنفيذ الحكم عليه، وفُتحت بوابة الزنزانة وسحب حبيب مادلين مؤمنة إلى

الخارج وعينه ثابتة على مادلين المذعورة على رفيقتها والتي لم تستطع صمتًا، واستوقفت سجانها وراهبها وحبيبها وسألته:

- أين ستذهب بها؟ وترجته بعينها أن يعيدها إليهم سالمة كما أخذها، ولم يستطع الراهب أن يجيب حبيبته بذلك العطف الذي ما رغب أن يفعل شيئًا سواه، ذلك لأن زميله السجان الآخر جاء إليه ليسرع؛ فاضطر الراهب آسفًا أن يبعد مادلين بقسوة وأن يصرخ فيها وقلبه يتمزق وجعًا وهو يقول لها:

- **"لا شأن لكِ بها، وإلا عوقبتي بصلب جسدكِ بالكامل، ما شأنكِ أنتِ بفتاة مسلمة".**

وخرج وداخله ينزف من قسوتهِ على حبيبته لكنه واسى نفسه بشعوره أن ذلك أفضل بكثير من استبعاده عن السجن، وأن سلوانه أن يبقى إلى جوار مادلين إلى أن يستطيع إفهام الكنيسة أن مادلين ما غادرت دينها لكن هذا يلزمه التريث حتى يصدقونه في القول.

خرجت مؤمنة ولقد ألقت حمولها على ربها تناجيه في قلبها ألا يكون في استدعائها وجعًا جديدًا لها أو لأحدٍ ممن قد ينفطر قلبها عليه، ومرت الثواني التي انتظرتها لمعرفة الأمر كسنواتٍ عجاف على قلبها، وأخيرًا نطق الحارس بما يرغبون، إنهم يريدون منها الكشف على محارب الذي دخل في نوبة إغماء، ماذا على مؤمنة الآن أن تفعل وهي تقف أمام من تعتبره السبب الرئيسي في وفاة جدتها، أمام سفاح الأطفال، أمام الذي لا يهمه قلوب الأمهات وعجز الآباء على حماية فلذات أكبادهم، أتقدس مهنتها وترى ما الذي فيه، أم ترفض الأمر وتجنب انسانيتها جانبًا وتتركه؟ لكن كيف ودينها دين الإنسانية ورسولها نبي الرحمة، في الأخير استجابة مؤمنة لإنسانيتها وكشفت

على محارب وخاصة بعدما هطلت الأمطار، وانقطعت الاتصالات عن المكان المهجور الذي يكمن به السجن، وشبه تيقنها أنه لا طبيب سينجده في تلك الحالة الجوية القاسية، واستنتجت مؤمنة أنه يعاني من نفس الذي كانت تعاني منه هاجر، إنه يعاني الحمى بالإضافة إلى انخفاض ضغط الدم، يلزمه أن يدخل المستشفى تلك التي لم يسعف هاجر بها حين كان يلزمها ذلك، ولولا عناية الله ما نجت هاجر منها.

وأدلت مؤمنة بالذي من المفترض أن يحدث ولم يستطع أحد أن يأتِ لهم بسيارة إسعاف، وكيف لهم في ذلك الجو القاسي والاتصالات المنقطعة؟، وما كان لمؤمنة إلا أن تعطيه من ذلك العقار الذي أعطت منه هاجر من قبل، مستعينة بمادلين المتبقي معها من العقار ثلاثة حبات منه، وكادت أن تغادره لولا أن سمعته يهلوس بكلماتٍ باغتتها جعلتها تُدهش مما يفكر فيه، لقد قال:

- "**يبدو أنني ظلمت مؤمنة**"، لربما هي هلوسات لا معنى لها ولا صلة لها بما يكنه في قلبه وعقله، لكنها في الأخير كلمات أثرت في نفس مؤمنة حين سمعتها.

وجلست مؤمنة إلى جواره وكأن الكلمة التي سمعتها منه كانت بمثابة اعتذار رسمي لها، لكن الكلمات أحيانًا لا تفي بإخماد كل الألم الذي في قلب الإنسان، وعلى الرغم من اندهاشة مؤمنة لكلمات محارب الذي داهمه المرض، إلا أن هذا لم يكن إلا شافعًا له لتجلس مؤمنة لتتابع حالته المرضية، الكلمة حركت شرف المهنة لديها لا أكثر من ذلك.

في الصباح أفاق المحارب وصمت في حضرة دهشته لوجود مؤمنة، ولما وجدت مؤمنة من المحارب تحسنًا اتجهت نحو باب

المكتب الحارس عليه الراهب راجية إياه أن يعيدها إلى زنزانتها، ونظر الراهب إلى المحارب الذي رمقه بعينيه لينفذ للفتاة ما رغبت به، ودخلت مؤمنة إلى زنزانتها وفرح بها رفقائها كأنها الناجية من الموت، وعلى الطرف الآخر ولأول مرة تنازل محارب عن كبريائه وسأل الراهب عما حدث بالتحديد؛ فباغته الراهب بكل التفاصيل التي وقعت منذ دخوله في نوبة إغماء إلى جلوس مؤمنة إلى جواره طوال الليل، وأُدهش المحارب لإغداق فتاة في كرمها الطبي عليه رغم أن المآسي التي حدثت بينهما لا حد لها.

وظل يفكر في ذلك الفارق بين تصرف الفتاة وما فعله جنراله، إذًا الأمر هو كرم إنساني أخلاقي في البداية، ومؤمنة عبَّرت بسلوكها عن دينها، وعبَّر الجنرال بتصرفه عن أنه لا يمت لكل إنسانية بصلة، وبعد تفكيرٍ وصراع مرير حدث في عقل محارب؛ استجمع قوته وذهب إلى زنزانة مؤمنة وأمام كل رفقائها قال وبصوتٍ مسموع:

- "**شكرًا لكِ**" وصمتت مؤمنة أمام شكر محارب معلنة بذلك أنها لا يلزمها منه شكرًا بقدر ما يلزمها منه شجاعة انصاف للعدل.



" كم كان يلزمها من الوجع كي تشعر بالذنب"

كم كان يلزمها من الألم كي تعود إلى الحق، من الفقد كي تعترف بخطأها، ومن الوجع كي تشعر بالذنب، وها هي أميرة تتعرض للألم والوجع والفقد، لقد فقدت آدم إلى الأبد، لن ترى أعينها من جديد ابنها، لقد عادت نفسه إلى خالقها في مشهدٍ مرير لا يشعر بمرارته غير عبدٍ يعرف ربه عن حق.

لم ينفعه المال، إنه كان السلطة التي أفقدته حياته، أنه وحينما حصل على مال والده أمين لم يتأخر للحظةٍ في شراء سيارة فخمة ولقد استخدمها في نزواته، سهراته في الملاهي الليلية، وشهواته النسائية، وذات ليلةٍ كابوسية على أميرة جاءها مكالمة من المستشفى الفرنسي تُعلن لها عن فقدها لابنها نتيجة لحادث صادم لآدم ولصديقته صوفيا، ولقد كانا في حالةٍ من غياب الوعي وذلك نتيجة تأثير الكحل في جسديهما.

لم تنطق أميرة بكلمةٍ مصدومة فيما أُعلن عنه معترفة أن أمين كان على حق حين منع المال عنهما، وأوصى ألا يحصلوا عليه إلا حينما يستقيم آدم لكنه جبروت أفكارهم جعلهم يستخدمون كل ما هو غير شرعي لإذلال مؤمنة، ولإجبارها على مخالفة وصية أمين، الآن

ماذا يفعل المال؟، إنها السلطة الملعونة إن قررنا أن نستخدمها فيما لا يرضي رب ولا عبد.

لو يأخذون منها كل أموالها ويعيدون لها ابنها ما ترددت أبدًا لكن هيهات أن يحدث، لقد قُضِيَ الأمر.

ودخلت أميرة في نوبة من الاكتئاب وتركت الشركة التي سعت إليها طويلًا للطامعين، ولم تعد تخرج من بيتها، وفضَّلت الوحدة على كل مباهج الحياة، وتحجر الدمع في عينيها، وتآمرت جميع ذنوبها عليها، وأصبحت لا تفكر في شيءٍ إلا في تلك المعاصي التي ارتكبتها بحق نفسها وأولادها وزوجها، إنها لم تستطع أن تبني أسرة عظيمة، ونسيت في غمار حبها للمال أن تربي أولادها على ما قاله ربها العظيم، إنها المذنبة الوحيدة في حق آدم وما وصل إليه، وإنها المذنبة الأولى في حق يمنى التي تعرضت للتدهور النفسي ولولا طه ما كانت الآن بخير، الآن أصبح كل تفكيرها أنها امرأة لا تستحق الحياة حتى لا تُذنب بحق أناس آخرين واختارت إنهاء حياتها وفعلت ذلك في ليلة الخامس والعشرين من شهر يناير بإلقاء نفسها من الدور التاسع من البرج الذي تسكن فيه وذلك بعد أن أرسلت بريدًا الكترونيًا لابنتها يمنى تقول فيه:

"لم أكن أمًا مثالية لأطلب منكِ أن تترجي الله أن يخفف ما سألقاه بعد موتي، لكنني أطمع في أن تفعلي ولتغفري لي كل ما ارتكبته من حماقةٍ بحقكِ وبحق مؤمنة، أوصلي لها مني اعتذرًا، وإن قُدر لكِ الذهاب لفرنسا مع زوجكِ فلا تبخلي على مدفني ومدفن آدم بوضع زهرة التوليب عليه".

المذنبة أميرة

ولم تستطع يمنى امتلاك نفسها ودمعها، ولولا الله ما استطاعت أن تنجو من وجع فقد والدتها ومن قبلها آدم، ولولا مساندة طه لها على تجاوز ذلك الموقف ما استطاعت يمنى أن تفعل، ورغم كابوسية ما اقترفه آدم وأميرة إلا أن يمنى نسيت كل تلك الأوجاع، وتمنت أن يعودوا للحياة وليرتكبوا بحقها حماقات أخرى أكثر من تلك التي فعلوها.

ورغم بشاعة ما فعله آدم بحق دانة إلا أنها كانت تدرك جيدًا أن عليها النصف من تلك الحماقة، وظلت هي الأخرى تدعو لهما أن يغفر الله لهما ما تقدم من ذنبهما وما تأخر.

ليلتها أيضًا وبعد أن بكت يمنى وجعًا، ظلت تقسم على طه أن يكون أبًا عظيما لابنته على أن تفعل هي الأخرى معها، وأن لا يتركوها للأمراض النفسية لتفعل بها ما لا يحمد عقباه.



"لتشهر إنسانيتك فتأتيكِ رحمة الله"

لقد أشهرت مؤمنة إنسانيتها منذ أسبوعين في مواجهة ما ألم بمحارب من مرض، ولم تكن تدرك أن إشهار الإنسانية ما هي إلا وجه من رحمة الله على نفسها قبل أن تكون لغيرها.

فبعد أسبوعين من ذلك الحدث استدعى حارس يُسمى "**جبران**" مؤمنة مدعيًا أن محارب يطلبها ولم يستطع أحد أن يستفسر عن الأمر، وحتى مادلين لم تستطع معرفة الأمر لأن راهبها في إجازة ولن يأتي إلا مساءًا، إذا فهو على وشك الوصول ولقد أخبرها أنه سيذهب لرؤية والده المريض ليطمئن قلبه عليه، وخرجت مؤمنة مع جبران لا تستطيع رفضًا رغم رفض قلبها لألف مرة أن تخرج معه، لكن شجاعتها خانتها في ذلك الموقف وغادرت الزنزانة متجهة نحو مكتب محارب، ودخلت فلم تجد محارب، ونظرت إلى جبران فوجدت على ملامحه الغدر، وحاولت الخروج من المكتب إلا أنه قد أوصده بالأقفال وانتابها الفزع مصدومة بالغدر الذي في طريقه إليها، وجذبها جبران نحوه فصفعته على وجهه دون أدنى تفكيرٍ في العواقب التي لن تكون أقسى من أن يأخذ شرفها؛ فخلع عنها حجابها وجذبها من شعرها وقبَّل وجهها وعنقها ورماها على أريكةٍ فدفعته ليس بقوةِ الأنثى وإنما بقوة عدم رغبتها في

فقد شرفها؛ فارتطم بمزهرية وضعت على المكتب فكُسرت لاندفاعه نحوها، وكان ذلك بمثابة إعلان هزيمة له فاستعاد كبرياؤه وحيوانيته واتجه نحو مؤمنة خالعًا عنها ثيابها ممسكًا بيدها حتى لا تفلت فريسته من يده وحينها كُسر الباب عليهما، إنه محارب دخل قبل إعلان جبران انتصاره ببضع ثوانٍ معدودة مبعدًا إياه عن مؤمنة بفضل قوته التي تفوق قوة جبران لمرات ونهره وأخرجه إلى خارج المكتب ورجع إلى مؤمنة التي وجدها متكورة تحاول تغطية جسدها بيدها الصغيرة وما تبقى من ثياب فخلع سترته وغطاها بها ثم أمر الراهب الذي عاد أن يأتي لها بثيابٍ جديدة ففعل بما أُمر.

ولوقع الصدمة على مؤمنة ظلت صامتة ولم تنطق بكلمة واحدة إلى أن عنَّفها محارب بقوله:

ـ ما الذي جاء بكِ إلى هنا وما الذي دفعكِ للخروج مع جبران خارج زنزانتكِ؟

وفي البداية لم تستطع مؤمنة ردًا؛ فأمسك محارب بذراعها آمرًا إياها أن تنطق بما حدث وإلا سيعتبرها أنها ترغب في جبران وأنها جاءت معه عن رغبة منها، فآلمها حديثه وقالت لقد أخبرني أنك تريدني ولم تُكمل حديثها حتى وصفها محارب بالغباء؛ لأنه دومًا يرسل لها الراهب حين يريدها، فصمت لدخول الراهب بالثياب الجديدة عليهما فأخذها محارب من يده وألقاها في وجه مؤمنة وهو يقول:

ـ ارتدي ملابسكِ واتركي غبائكِ قليلًا.

وخرج قبل أن تجيب مؤمنة بكلمةٍ ودخل عليها بعد خمس عشرة دقيقة فوجدها على ثيابها القديمة ولم تستبدلها فقال لها:

ـ لكم أمنحكِ من الوقت حتى تفعلي ما أمرتكِ به؟

ـ أريد أن أعود إلى الزنزانة، سأستبدل ثيابى هناك، "**قالت مؤمنة**".

ـ سأمنحكِ خمس عشرة دقيقة أخرى لتفعلي بهما ما أمرتكِ به ولتتركي التخلف جانبًا، أم أنكِ تريدين أن تذهبي لزنزانتكِ بهيئتكِ تلك للتباهي بطمع أحدهما في جسدكِ؟، وإياكِ أن تنطقي في الزنزانة بما حدث.

قال محارب وخرج تاركا لها المكتب ليعود إليها ليجدها فعلت ما أمرها به ليباغتها بقوله:

ـ ذلك الموقف ردًا لموقفكِ معي أثناء مرضي.

لم تشكره مؤمنة أتشكره على كبريائه حتى وهو في أوج أفعاله الإنسانية، وأمر محارب الراهب أن يعيدها إلى رفقائها بعدما استدعى جبران ليحقق معه فيما حدث، جبران الذي لم يستطع نطقًا فيما وجهه إليه من أسئلة ففصله محارب عن العمل بحجة أنه فعل شيئًا في السجن دون أن يوجه له أمرًا.

هو الله عز وجل القادر على دفع مآسيك بواسطة ألد أعدائك إذا رغب فإنه يقول للشيء كن فيكون.

ورجعت مؤمنة إلى رفقائها شاحبة الوجه لا تستطيع سردًا لما حدث، فقط طلبت منهم أن يتركوها لوحدتها حتى تهدأ، لعزلتها التي تؤمن أنها الشيء الذي يستطيع أن ينقذها من حمق الحديث وأوجاعه التي لا تستطيع في أغلب الأوقات أن ندفع أذاه متمنين أن يعود الموقف لنرد به على المتحدثين ردودًا أفضل من شأنها إنقاذ لكرامتنا.

لقد كان محارب بالفعل يرد جميل صنع مؤمنة كي لا يشعر أنها صنعت له شيئًا من شأنه كسر كبرياؤه بالنسبةِ لها، لكنه بعدما فعل شعر ولأول مرة في حياته أنه إنسان، لقد أدرك معنى أن يتصرف بإنسانية وأن يُلقي بالرحمة على من يستطيع، ماذا حدث بقلبك يا محارب وما ذلك الشعور الذي يداهمك لأول مرة؟ لقد انتاب المحارب الكرم الإنساني لأول مرة لدرجة أنه يتمنى أن يتكرر الموقف ذاته ليداهمه ذاك الشعور مرة ثانية.

في مساء ذلك اليوم دخل الراهب على المحارب ليجده هادئًا، ملامحه تعلوها الرضا، الابتهاج يسيطر عليه فتشجع وسأله:

ـ أهناك شيء من شأنه جعلك على تلك الدرجة من الابتهاج؟

صمت محارب لا يستطيع ردًا، فبماذا عليه أن يجيب وكيف يصف الشعور الذي يدين لمؤمنة به؟ واكتفى محارب بالتبسم وترك الراهب محارب لحريته الشخصية في عدم البوح عما به واكتفى قبل أن يخرج من المكتب بقوله:

ـ **"لا تُفلت ما يبهج قلبك"**.



"لتشهر حُبك قبل فوات العمر"

«رئيس سجن الأفعى.
تحية كريمة إليكم ثم أما بعد.
نرجو من سيادتكم التكرم بمساعدتنا لمرة أخرى، الأمر يخص مادلين جرجس لتتكرم وترسلها مع الراهب إلى الدير ليصلب جسدها لتفوق من تصرفاتها ثم من بعدها سنعيدها إلى مصير السجن.»

الراهب الأكبر. بيشوي

ذلك هو البريد الإلكتروني الذي وصل إلى رئيس سجن الأفعى المسجون فيه مؤمنة، وكذلك مادلين، واستدعى رئيس السجن محارب آمرًا إياه أن ينفذ أمر الراهب الأكبر على أن يصطحب الراهب ومادلين إلى الدير الذي يكمن في الصحراء.

اتخذ محارب الأمر وأعلن للراهب الذي يجب عليهم فعله تحديدًا فبُهت الراهب ولم ينطق بكلمةٍ، فقال محارب له ثانية:

- عليك إحضار مادلين جرجس من زنزانتها؛ فوقف الراهب لا يستطيع حراكا خاصة بعدما علم بأمر الصلب فاستنكر

محارب موقف الراهب الذي وقف صلبًا وقال بشجاعةٍ إن أصل كل الأديان المحبة والإنسانية، إن الله لا ينزل من السماء أمر من شأنه الإضرار ببشر، فكيف لي أن أشترك في صلب مادلين وهي لم تخطِء، أيخطىء الإنسان إذا دافع عن إنسانية الآخر، والله ما كان أبدًا بصحيح.

لم يجب محارب الراهب واتجه نحو الزنزانة وأمر مادلين أن تتبعه؛ فرفضت الأخيرة خوفا ورعبا من خوض المصير المجهول مع محارب، ولما رأت مؤمنة الزعر في مادلين فقامت من مجلسها رغم عدم استطاعتها لمواجهة أي شيء ورغم عدم التئام وجعها من موقفها الأخير، ووقفت في وجه محارب وسألته عن الأمر الذي يريد مادلين فيه فأجابها بقوله:

- ستصلب بأمر الراهب ثم سنعيدها إلى هنا ثانية.

- إذا ستأخذني إلى الموت، فلتتوقف قليلًا لأودع رفيقاتي.

قالت مادلين بعد أن تملكتها الشجاعة حين شعرت أنها من الممكن أن تموت بطلة لدفاعها عن الرحمة والإنسانية وخرجت واستطاعت أن تفلت يد مؤمنة التي كانت تتشبث بها لأقصى درجة، والتي بكت لهدر كرامة إنسانة بالصلب الذي من الممكن ألا يتحمله جسد الفتاة فيأوي بها للموت لمجرد قولها في وجه الظلم لا.

وقبل أن يخرج محارب توجه بالسؤال إلى مؤمنة:

لماذا تدافعين عن من هي ليست على دينك؟ديني دين المعاملة والسلام والإنسانية، لتضطلع عليه لتعي أن الله العظيم لا يرضى بظلم.

بُهت محارب وخرج ومن قبله مادلين متجهين نحو مكتب محارب ووجدت في وجهها الراهب فاختبأت خلفه وهمست بأذنه

لا تقلق الله لن يفلتنا ما دمنا دافعنا عن الحق، فأدمعت أعين الراهب والذي انتفض لحبه وقال في وجه محارب:

- إنني أشهر لك حبي لها، لتشهر أنت إنسانيتك وتساعدني في الحفاظ عليها، لتأخذ رحمة الله وتجرب متعتها يومًا.

رحمة الله وإشهار حب!، أي حب!، لم تكن تلك الكلمة أو سابقتها تدخل قاموس محارب يومًا، ولم يحظ بها يومًا، ولم يشعر بها، هل الحب يمكنه أن يبث الشجاعة في نفوس أصحابه لتلك الدرجة؟! الدرجة التي جعلت من الراهب بطلًا يشهر حبه أملًا في إنقاذ محبوبته، الحب الصادق الحق هو فقط من يستطيع فعل ذلك، صمت محارب لمدة تزيد عن الخمس دقائق معلنا بذلك لحياديته للموقف وعدم استطاعته قولًا، وأخيرًا نطق بعد طول صبر:

- لنعلن لرئيس السجن أن مادلين مصابة بالحمى ثم لنرى رد الفعل.

وأخذ محارب والراهب مادلين إلى الزنزانة ثانية وقال موجهًا الحديث لمؤمنة:

- لقد أعدتها سالمة ولتفكري في كيفية إظهارها مريضة بالحمى أمام رئيس السجن إذا مر ليتأكد من صدق أقوالنا.
- كل ذلك الموقف من أجل ماذا؟ "**قالت مؤمنة مندهشة**".
- لأجل إشهاره للحب بشجاعة، "**قال محارب وهو يشير إلى الراهب بنظره**".

أتؤمن أنت بالحب يا محارب أم أن ذلك حادث جديد على نظرتك لمن حولك؟، قالت مؤمنة في نفسها لكنها لم تمتلك أن تقول تلك الكلمات وصمتت في وجه كرمه الإنساني للمرة الثانية وتمنت حينها أن يعتاد محارب ذلك الإغداق.

احتضنت مؤمنة مادلين قائلةً سيُحدث الله أمرًا، وسمع محارب تلك الكلمة العظيمة "**الله**" أي إيمانٍ هذا الذي تتحدث به تلك المؤمنة؟ وماذا فعل ربها بقلبها لتطمئن؟ وصمت محارب وخرج بعد أن أخرج الراهب من الزنزانة وفعل محارب مع رئيس السجن مثلما اتفق مع الراهب، واندهش رئيس السجن لموقف محارب الشاذ بالنسبةِ لتصرفاته السابقة، ولكن ذلك الاندهاش كان شافعًا لأن يوافق على رأى محارب في الانتظار لحين شفاء مادلين حتى لا يشاع من جديد أنهم سببًا رئيسيًا في قتل الناس، وكان شافعًا أيضا لأن لا يبحث رئيس السجن عن صحة أقوال محارب بشأن مرض مادلين، وأرسل إلى الراهب يعلن له مرض مادلين فأيد الراهب ترك الأمر لحين شفاء مادلين.



"لتغدق كرمك على الآخرين
إن كان ذلك بمقدرتك"

أخيرًا وصل مارك إلى القاهرة، وأغدق عليه كريم بكرم الضيافة، وجلسا سويًا يفكران من أين لهما أن يبدآ في رحلة البحث معترفين بحقيقة كون الأمر ليس سهلًا، معترفين أنهما يحتاجان إلى الصبر لحين الوصول إلى الشيخ عبد العدل موسى التهامي، وكان اعترافهما ذلك بمثابة عين الحكمة كي لا يفقدان شغفهما للوصول إلى ما يرغبان بسهولة، وكان يهاتفهما طه في اليوم لأكثر من ثلاث مرات طمعًا في أن يجد أملًا واحدًا في معرفة طريق مؤمنة على الأقل بواسطة الوصول إلى شيخها، إنه يريد وزوجته كما دانة فك حصار الفقد الغير معروف مصيره على مؤمنة فيكفيهم مرارة فقد مصير حمزة من قبل، حمزة البعيد الغير منسى على مر كل تلك السنوات، الموصى عليه من قبل الجدة أليفة وهي على فراش الموت.

في مساء ذات يوم ولما وجدت يمنى حالة دانة مزدادة سوءً اقترحت على طه أن يخرجوا ثلاثتهم لعل دانة تفيق مما هي عليه من وجعٍ، ووافق طه وخرجوا وأثناء سيرهم اقتربوا من منزل يلدس ووجدوا

يلدس تتجه نحو منزلها، لم تكن يلدس على ما يرام، كانت لتوها عائدة من قصر الجنرال، لم تكن تريد سوى أن تلتقي بزوجها، لتُلقِي نصف صدمتها عليه ليغدق هو عليها بكرم حبه لها، لم يكن لديها استطاعة أن تتحدث إلى بشرٍ سوى زوجها واحترم طه ويمنى ودانة ذلك الشعور، فقط أدخلوها إلى منزلها وخرجوا داعين الله أن يفق كرب قلبها.



"محبة مني"

"لا تفلت ما يبهج قلبك".

كانت وسيلة تعذيب من نوع باهظ في القسوة تلك التي أمر الجنرال أن تُنفذ في زنزانة مؤمنة، تلك الزنزانة الرطبة التي لا تصلح لضيقها ولقذارتها أن يعيش بها آدمي واحد، الآن الأمر الذي صدر أن يزداد على الساكنين فيها خمسة رجال للإقامة بها ليستخدموا معهم الضغط النفسي، وقد كانت حكمة الجنرال حين فكر في ذلك أن يضغط عليهم عاطفيًا، وأن يستخدم شيطانهم في أن يرتكبوا معًا معصية ضد إيمانهم العظيم الذين يتباهون به يوميًا أمام رئيس السجن والحراس والعالم ليصورهم ويشوه صورة الإسلام أمام الجميع من جديد.

كان ذلك بمثابة الصدمة فكيف للفتيات أن يسكنَّ مع غير محارمهم والعكس، وكان ذلك الأمر صريحًا لمحارب الذي لم يستطع تلك المرة إلا تنفيذًا؛ لقد حاصره الخوف من أن يشك أحد في أمره وأدخل بنفسه الرجال إلى الزنزانة دون أن ينطق بكلمة فداهمته مؤمنة بقولها:

- "**لقد كان عليك أن تموت بعد أن ألقيت بشهامتك ليد غيرك**"، وكاد الحارس الخلفي لمحارب أن يصفعها لولا إمساك المحارب بيده ليمنعه من أن يؤذي مؤمنة، وهو شخصيًا لا يدرك لماذا منعه؟ ولماذا لم يفعل هو معها ذلك؟ هل أحداثه الداخلية أصبحت مختلطة عليه فلم يعد يرغب أن يتصرف بأي شكلٍ من جديد من شأنه زيادة ضغوطاته النفسية الواقعة عليه، أم أن ثمة أمر قلبي حدث له نحو تلك المؤمنة وهو لا يدرك؟ وانسحب المحارب بعد أن أمر بإغلاق الزنزانة واتجه نحو مكتبه فوقع نظره على المصحف الذي قد كان سحبه من مؤمنة في أولى أيام دخولها سجن الأفعى فأمسكه بيده وفتحه، الأغرب أن الكلمات التي وقع عليها نظره دخلت قلبه من حيث لا يحتسب، شعر وكأن شيئًا فطريًا فيه يقول له: "**ذاك هو الحق**"، لكن أفلت تفكيره من ذلك الحديث ووصفه بالعبث ودخل الراهب عليه وهو على تلك الحالة وكاد أن ينسحب لولا استوقاف محارب له وداهمه بسؤاله: أدين مؤمنة يدعو إلى العنف؟
- كيف وقد كانت تُنشد السلام، انظر بعقلك لكل الأحداث التي مرت بينك وبينها وبين الجنرال ورئيس الجامعة، إن قال لك عقلك أنكم كنتم عادلين بشأنها فألقي كل إنسانيتك خلفك من جديد واستمر فيما كنت عليه، وإن قررت أن تحكم عدلا على الأحداث فلا تفلت ما يبهج قلبك، لقد سألتني لأقول لك دين الإسلام يدعو للعنف للأني على المسيحية،

لكن كيف لي أن أقول لك ذلك ولقد درست القرآن وأنا في رهبنتي حتى أنني اليوم أبحث عن الحق لأتبعه.

وغادره الراهب بعد أن ألقى عليه كلمات هزت وجدانه منها "**لا تفلت ما يبهج قلبك**"، ما الذي يبهج قلبي؟ سأل محارب نفسه وأجابها بأن الذي يفعل ذلك ودون أدنى كبرياء هو أن أشهر إنسانيتي دومًا وأن لا أكون في حزب الظلم حتى وإن كان أشد قوة، وشيء آخر لم يكن محارب يريد لفرط عدم تصديقه أنه حدث لقلبه، إنه يبتهج حين يراها، إنه على الأغلب يحب، نعم يحب، تلك الكلمة التي لم تدخل قاموسه يومًا اليوم تُردد وتغوص في دواخله، لقد انتاب قلبه الوجع العشقي والدقات التي من شأنها تغيير كل تصرفاته فقط ليلفت نظر من يحب إليه، إن الدافع الأكبر لكل تصرفاته المنافية لما كان عليه في السابق أن قلبه وأخيرًا أشهر في وجهه أنه يحب، وعليه أن يعترف هو نفسه بذلك ويجنب كبريائه ويشهر لنفسه على الأقل أنه يحب "**مؤمنة**"، نعم يحبها، يحبها رغم كل الأحداث التي مرت بينهما، يحبها رغم معرفته مصيرها، يحبها رغم نفسه التي ما توقعت من قبل أن تضعف لامرأة، إنه يعشق إنسانيتها التي جعلته يمارِسها ليتذوق حلاوتها، خوفها على رفقائها فجعلته دون وعي منه يصادق الراهب، وهو الذي لم يكن يومًا يؤمن إلا بأن الصداقة ضرب من ضعف، وبعد أن دار في نفس محارب كل ما سبق أدمعت عيناه فأمسك ورقة كانت أمامه وقلمًا وكتب:

"**محبة مني إليكِ رغم اختلافنا، رغم قسوة ما حدث بيننا ورغم كل ما تمرين به الآن وقد كنت سببًا فيه، محبة مني لخُلقكِ، لدينكِ، لإيمانكِ العظيم، لصمودكِ، ليتنا نستطيع**

تجاوز كل ذلك لنكن معًا بعيدًا عن كل تلك الأمراض الفكرية والمجتمعية التي نعيشها في ذلك الوطن، محبة منى لقلبك يا مؤمنة، فلتعذري خيبتي الأولى في كوني نصرت عليكِ أحدًا من قبل، ولتغفري لرجلٍ لم يعلموه في المدارس سوى الكره، لم يكن لدي أحدًا ليُدرِّس لي كيف أشهر الحب والإنسانية في وجه الجميع، وخانتني فطرتي إلى أن التقيت بجميل أفعالك، وفطنتي تؤكد أنكِ كنتِ على العكس مني ووجدتِ من علمكِ الحب والصمود والشجاعة في الحق، فاقبلي محبتي واغفري جهلي".

تلك الكلمات كتبها محارب من قلبه ودمعه دون أن يُفكر، كتبه بتلقائية منه دون أن يهتم لعناده أو يعي لما قد يترتب عليه من تغير في فصول حياته القادمة، كتبه لإيمانه به لا لتنفيذ إيمان أحد آخر كما اعتاد في كل أحداثه السابقة؛ فذلك هو الحدث الأول النابع من كيانه هو، لا تنفيذًا لكيان سلطانٍ لا يعي مفهوم أن يعيش إنسان ولو لمرةٍ واحدة في حياته.

وأطبق محارب الخطاب ودسه في جيبه واستعاد قوته التي قد تركها ليقوى قلبه على الاعتراف واتجه إلى زنزانة مؤمنة ليجدها تتحدث إلى أحد الرجال الخمسة يُسمى: "**نايل**"، فاستشاط غيظًا فلعلها الغيرة فلا غيرها من شأنها أن تفعل في الإنسان ما لا يطيق صبرًا عليه، فدخل إلى الزنزانة وسأل بغلظة المحب لا بغلظة الحارس:

- ما الذي يحدث بينكما؟

فأجابت مؤمنة بعفويةٍ:

- كنا نقسم الزنزانة والحيرة تأخذنا في كيف لنا هذا وهي صغيرة لا تكفي لفردين.
- لا تقسيم للغرفة، ليس لديكما الفرصة لذلك، إن ذلك مخالفة للقوانين.

قال محارب معاندًا لنفسه، نفسه التي ترغب في إخراج الخمسة رجال من الزنزانة الآن قبل العشر دقائق القادمة لكنه حينما وجد محاورة بين مؤمنة وغيره أفسد عليهما تشاورهما وخرج من الزنزانة لا يرى أمامه من فرط ما به من غيرة، خرج مستاءًا من عجزه الأول عن فعل شيءٍ يرغبه، إنه ساخطًا على عجزه عن إشهار حبه في وجه مؤمنة، وكيف له أن يفعل وهو يدرك جيدًا رد فعلها، ورفضها له بمثابة خنجر مسموم وضع في قلبه، وفضل على هذا الأساس أن يكتم حبه لأجلٍ غير معروف على أن يُقتل بوجيعة رفض قلبه.



"لتؤمن بقدر الله فيأتيك جميل صنعه".

أخيرًا عرف كريم ومارك مكان الشيخ عبد العدل، إنه يسكن في شارع الإذاعة بجليم الواقعة بالإسكندرية وتوجهوا إلى العنوان فورًا ليجدوا ما لا يكن متوقعًا، الشيخ أصابته انتكاسة قلبية وهو الآن يجري عملية جراحية بالمستشفى الألماني بالإسكندرية، ولم يتأخر كريم في صحبة مارك للذهاب إلى المستشفى ليلتقوا بابنة الشيخ وزوجها، ولم ينطقوا بما جاء بهم إليهم وظلوا صامتين احترامًا للموقف، وظلوا منتظرين خروج الشيخ من غرفة العمليات ليطمئنوا بداية عليه، ولقد خرج الشيخ من بعد وصولهم للمستشفى بساعتين ودخل العناية المركزة ومُنع عنه الزيارة؛ فاستأذنوا ابنته وزوجها في المغادرة، زوجها الذي استوقفهما ليتعرف على هواياتهما فأخبره بكل شيء فوعدهم أن يهاتفهم فور استعادة الشيخ لعافيته ووعدوه هم بزيارة أخرى للاطمئنان على الشيخ لا لغرض آخر، ورحلوا خائبين منتظرين لطف الله ليشفى الشيخ حتى يتمكنواً من التحرك ثانية لأمر مؤمنة، إن قدر الله له حكمته التي يجهلها البشر هذا ما علينا الإيمان به وحمد الله على أقداره حتى لو خالفت مطامعنا وأمانينا.



"لتَبُح لربك بما يؤلمك وستتجاوزه بفضله"

ـ (لتبحث عن هويتك، أنت مسلم الأصل)

ذلك هو البريد الإلكتروني الذي صُدم محارب به حينما وجده في صندوق بريده الوارد وهدأ من روعه حينما قال لنفسه لعلها رسالة مرسلة عن طريق الخطأ وتجاهل الأمر كأنه لم يكن، أتدرون ما قصة ذلك البريد الإلكتروني؟ فلتأتوا معي لأخبركم سره، أتتذكرون يلدس حينما أمرها الجنرال بفك سترة محارب فاندهشت لما رأته، لقد رأت يومها بكتف محارب ثلاثة أحرف يماثلون الثلاثة حروف اللواتي على كتفها؛ فاستنتجت مما لا يدعو للشك أن محارب أصله مسلم، وأنه يُستخدم ضد المسلمين لما أنشأوه عليه من كرهٍ وعدواوةٍ لهم، وتذكرت يوم أن كانت طفلة ودخل مجموعة من الأطفال ذوي الزي الموحد من بعد ما دقوا على كتفها الحروف ليفعلوا بهم مثلما فُعل بها، ولم تستطع يومها أن تبوح بما في نفسها لأحد وانتظرت إلى أن عادت إلى زوجها يوم أن التقت بطه ويمنى ودانة، ووجدوها على غير ما يرام، حينها وأول ما التقت بزوجها باحت له بما في نفسها فكانت دهشته، أمن يخاف المسلمين منه مسلم مثلهم؟ أمسلم الأصل هو من يقتل اخوته وأهله دون وعي منه بقبح ما يفعله؟! أهم بهم من الذكاء الشيطاني ما يجعلهم

يجندون أطفال المسلمين ضد أقليات المسلمين فإذا قُتل أحد الطرفين فلا ندم ولا حزن ولا بكاء عليه؟!!

كم أن هذا موجعٌ فوق أنه محبطٌ.

يومها ولما رأى سامر في يلدس خوفًا لم يلحظه عليها من قبل أغدق عليها بحنان قلبه ونامت يومها والدمع على خديها لا تستطيع إيقافه.

في مساء تلك الليلة التالية اتجه طه مع زوجته وابنة عمه نحو منزل سامر ليطمئنوا على يلدس؛ فصعقوا مما سمعوه من كون محارب أصله مسلم وقرروا كما عاداتهم ألا يصمتوا عن الحق ومنذ متى وهم يتراجعون عما يرونه حق؟ ولقد فكروا أن يتحدثوا إليه مباشرة لكن الذي بينهم وبين محارب ليس من شأنه أن يصدقهم بكل تلك السهولة بل من شأنه أن يزداد الأمر سوءً.

لقد اتفقوا على إرسال تلك الرسالة له عبر بريده الإلكتروني ثم من بعدها بفترة إرسال رسالة مشابهة ليرتبك هو ويبحث بنفسه ويصل لحقيقة نفسه دون ضغط من أحد.

في مساء ذلك اليوم الذي أُرسل فيه لمحارب أنت مسلم الأصل دخل عليه صديقه الراهب وقد ظهر على ملامحه الإحباط، ولقد أعلن لمحارب عن سبب استيائه حينما سأله حيث أنه علم من مصادر مقربة له في الدير أن الراهب الأكبر سيرسل قريبًا خطابًا من شأنه طلب مادلين للصلب بعدما انتهت حجة مرضها، وأنه لن يطيق صبرًا على أذى مادلين ولم يفكر محارب في الأمر كثيرًا ولقد نطق بما لا يتوقعه الراهب أن ينطق به:

- أترغب في تهريبها؟ "**قال محارب بصلابة**".

ـ ليتني أستطيع أن أفعل، "**أجاب الراهب**".

ـ لنستطع معًا.

قال محارب الذي أذهل الراهب بقوله والذي شك في أن يكون الأمر مجرد كمينًا له ليعاقب على محاولته تهريب مادلين وفي النهاية قال الراهب لمحارب:

ـ سأسلمك أمرى وأن أثق بك.

ففهم المحارب أن الراهب يلمح لشكه في تصرفه تجاهه فقال وهو يبتسم:

ـ في السابق كان عليك أن تخاف أما الآن فكن على ثقة أنني لم أعد كالسابق، إننى لا أستطيع أن أخسر شعور صداقتي بك ولم أعد أستطيع أن أعيش إلا كإنسان هو فعل الحب.

قال محارب ولم يستطع أن يتراجع عن قوله وكيف له محو كلمة قد نطق بها.

ـ فعل الحب!! أتحب يا رجل؟

ـ قال الراهب وهو يربت على كتف محارب ثم قال له:

ـ من؟

ودون وعي من محاب باح باسمها قائلًا إنها "**مؤمنة**" ثم بعدما نطق بالاسم أعلن لصديقه عن عدم رغبته في إكمال التحدث في هذا الأمر إلا بعد إنقاذ مادلين.

تغير محارب بفعل الحب، الحب الذي يجعل أكثرهم بخلًا أكثرهم كرمًا، وأكثرهم قسوة أكثرهم لينًا، وأكثرهم كرهًا أكثرهم حبًا، تلك هي قواعد الحب منذ قدم الزمان والتي لن تتغير على مدى الزمن.

اتفق محارب مع الراهب أن يُسهل له مع مادلين السفر إلى خارج البلاد على ألا يعودوا إلا حينما يتيقن أن الخطر قد زال عن محبوبته، محبوبته التي قرر الزواج منها رغم كونه راهبًا لكنه الحب يغير ما لا يتغير، واستدعى الراهب ومحارب مادلين من زنزانتها وأخبروها أن تكون جاهزة لمغادرة زنزانتها البائسة فور إخبارها بذلك، وذلك للسفر إلى بلدٍ آخر مع راهبها، واندهشت بداية حينما علمت أن الذي سيساعدها في ذلك محارب المشهور بقسوة القلب، وعادت مادلين إلى زنزانتها تهمس في أذن مؤمنة بكل ما حدث، مؤمنة التي أصبحت مدهوشة بتصرفات محارب، معجبة بشجاعته في التخلي عن كل ما لا يليق بكونه إنسانا، محبة لكل صمود له أمام عدم سيره وراء كبريائه ووضعه لغروره وجبروته جانبا، عاشقة لتمرده على كل ما ليس بعدل، لمقاومته لكل حماقة ارتكبها في حياته من قبل.

وفي مساءِ ثالث يوم وقبل نهار اليوم الذي من المفترض أن تنفذ فيه مادلين أمر الصلب وذهاب راهبها بها إلى الدير ليعود بها إما مشوهة نفسيًا أو واقفًا في جنازتها، كانا قد خرجا من باب السجن في هدوءٍ لمساعدة محارب لهما في ذلك، وكانا على متن سفينة من شأنها إخراجهما من كل ظلم، وقبل أن تغادر مادلين السجن لم تكن إلا مؤمنة مودعة لها حيث كان الجميع غائبون عن الوعي بفضل جرعات المنوم الموضوعة لهم، وللحراس في الطعام وبكت مؤمنة لفراق رفيقتها داعية لها أن تصل للحق كما القديسة رفقا قبل لقائها لربها.



"لا غفران لمن تسبب في هشاشتنا النفسية"

خبر صدم طه ويمنى ودانة كما فعل في كريم ومارك، لقد التقى الشيخ عبد العدل بربه في صباح اليوم الموافق الثالث من شهر فبراير فضلًا على ذلك أعلنت ابنته أنها لا تستطيع مساعدة مؤمنة كونها لا تعرف عن صدق مكان أوراق المغفور له، وانطفىء الأمل في ذلك الخيط وبكى الجميع شعورهم بدفن الحق وعاد مارك إلى حيث أتى شاعرًا أنه لم يحقق وصية القديسة رفقا، ولم يرد لها جميل صنعها فيه في ابنتها مؤمنة واعتزل الناس لشعوره بعدم استطاعته مقاومة كل ذلك الظلم البشري، وأحب الوحدة والظلام على كل اقتراب من شأنه إحباط المتبقي من نفسيته، وراح في وحدته يناجي ربه أن يخرجه من كل أوجاع تلك الحياة، وأن يلتقي به قريبًا غير بعيد، هو اليأس والظلم الذي يجعلنا أحيانًا نُفكر في الموت كوسيلةٍ للهروب من كل ما من شأنه إضافة وجعًا جديدًا لنا.

لا غفران إذا لمن أوصلنا لتلك الحالة من النفسية الهشة لأن تلك الحالة أقسى من الموت وأقسى من الفقد لكنهم لا يشعرون، فإن يوصلك من حولك لحالة اليأس حد حب الموت على الحياة هذا لو تعلمون وجع لا يشعر به إلا من مر بالحالة نفسها، فليجعلنا الله صامدون أمام تلك الحالة لو وصلنا إليها يوما سواء من حبيب أو من صديق أو من وطن.

"يا الله أبعد قلبي عن كل ما يؤذيه"

(كن شجاعًا وابحث عن أصلك لتنعم بإسلامك)

تلك هي الرسالة الثانية من أسرة أليفة ويلدس مع زوجها إلى البريد الإلكتروني الخاص بمحارب، وتلك المرة ارتبك محارب ولم يمر الأمر عابرًا كما في المرة السابقة، وظل محارب يفكر في حقيقة الأمر لولا استدعاء رئيس السجن له ولبقية الحراس وأعلن رئيس السجن عن هرب الراهب مع مادلين، ولم يظهر المحارب كما الجميع إلا دهشة وأظهر عدم معرفته للأمر وانهار رئيس السجن من حدوث أمر كهذا داخل سجنه الذي لم يحدث فيه ولو لمرة واحدة أمرًا مشابهًا لذلك.

وأمر رئيس السجن أن يخرج بعض السجانين ليبلغوا المداخل الرئيسية للبلاد عن مواصفات الراهب ومادلين والبحث عنهما في كل مكان داخل البلاد، لم يكن حينها يعلم أن السفينة التي قد رتب محارب الأمر معها أخرجتهما من البلاد سالمين، كما أمر محارب بالإضافة إلى بعض الحرس الآخرين إحضار كل من في زنزانة مادلين؛ فدخل محارب وبقية حراسه وتلهف المحارب مؤمنة كي لا يؤذيها باللمس أو الإهانة أحد من الحراس فوجدها تنظر إلى بقية الفتيات اللواتي تُهن

من الحراس بفعل الضرب والشتم؛ فأمر الحراس أن يأخذوا الرجال ويتركوا الفتيات ليصطحبهم هو إلى رئيس السجن؛ فنظرت له مؤمنة ولأول مرة نظرة امتنان وخرجت معه هي ورفقائها متجهين إلى مكتب رئيس السجن الذي أمر أن يعاقب الجميع أشد العقاب ان لم يبوحوا بما يعلمون عن أمر مادلين، واهتزت قلوب الفتيات للأمر وأصابهم الزعر خوفًا من الألم النفسي اللواتي شعرن أنهن سيتعرضن له أكثر من خوفهم من الألم الجسدي وأقسمن أنهن لا يعرفن عن الأمر شيئًا، إلا مؤمنة التي صمتت عن القسم فلاحظ ذلك رئيس السجن فقام من مجلسه وشق ملابسها فأظهر عورتها فلم يطق محارب أمرًا كذلك وانتفض لها وذهب نحوها قائلًا لرئيسه ألا يغضب لتلك الفتاة وأنها سوداء ليست من أصله ولا تليق به وأن يتركها له، وأخرج المحارب مؤمنة من المكتب ووضعها كما أمره رئيسه في غرفةٍ منعزلة على أن يأخذها هو، تلك الغرفة البعيدة عن بقية الزملاء الذين تعرضوا للسب وللضرب ثم عادوا إلى الزنزانة، وخافت مؤمنة من أن يهاجمها محارب كما وعد رئيسه لكنه ربت على كتفها مطمئنًا إياها بأنه لن يقترب منها، وسيكذب على رئيسه بأنه فعل، دهشها من جديد وكأنه رجل لا تعرفه وكأنه ولد من جديد وشعرت لأول مرة من كل المواقف المتتالية أن هناك رجلًا يخاف عليها، لكن كيف لها أن تشعر بذلك مع عدوها الأول ومن هو على ليس دينها وبكت حينما غادرها محارب، بكت لشعورها الذي يداهمها لأول مرة في حياتها، بكت لعدم استخدام قلبها استخدامًا عادلًا فيوم أن استخدمته استخدمته مع من ليس على دينها، بكت لكونها ممتنة لكون محارب عدوها في حياتها، وظلت تنفي بكبرياءٍ حبها له وكيف لها أن تحب من كان سببًا رئيسيًا في وضعها

في ذلك المكان، كيف لها أن تطيع قلبها في رجلٍ تعتبره قاتل جدتها الأول، كذلك قاتل أطفال لا ذنب لهم في شيء.

(يا الله أبعد قلبي عن كل ما يؤذيه وعن كل ما ليس لي، يا الله قلبي ليس ملك يدي فلا تجعل شقائي بسببه)، هذا هو الدعاء الذي أصبح عليه حال قلب مؤمنة.

ها هي مؤمنة فقدت الأمل في أن تحب وحينها فقط داهمها محارب بوجوده وأصبحت تُفكر فيه أكثر مما تفكر في أي شيء آخر، مؤمنة التي لم تعترف بذلك الحب وأعلنت أنه مجرد دهشة لتصرفات رجل تغير تمامًا عما كانت تراه عليه في السابق، هو الحب لا قوانين ولا دستور له يأتينا بغتة من حيث لا نحتسب.

وخرج محارب لرئيسه وأعلن له كذبًا أن مؤمنة لم تعترف بشيءٍ رغم أخذها غصبًا وأنه ومن خبرته يرى أنها لا تمتلك خبرًا عما حدث.

وإثر ذلك الحادث استقال رئيس السجن بأوامر عليا من منصبه وتولى ذلك المنصب مؤقتًا محارب الذي اتخذ أول قراراته أن يخصص للرجال الخمسة زنزانة أخرى غير زنزانة الفتيات وبتلك الفعلة نال تفكير مؤمنة فيه لأكثر مما كانت عليه.



"فخر لك أن تكون مسلمًا"

في مساء ثالث يوم من تولي محارب منصب رئيس السجن استدعى مؤمنة وباغتها بقوله:

ـ ما الذي ينقصكِ هنا؟

ـ ماذا أذلك السؤال موجه لي؟ "**قالت مؤمنة**".

ابتسم محارب فداهمته مؤمنة برغبتها في أن ترى أهلها لكن هذا الطلب كان من الصعب على محارب تنفيذه على الأقل في الوقت الراهن، فهو لم يكن يريد أن يكتشف أمره في الدفاع عن مؤمنة حتى لا يفقد منصبه وتتعرض مؤمنة لأبشع وسائل العقاب ممن سيخلفه لكنه وعدها أن يطمئن أهلها عليها، أهلها الذين لا يعرفون ومنذ سنة ونصف شيئًا عن مكان سجنها، ولم تستطع مؤمنة إلا امتنانًا أمام كرم محارب الإنساني الذي اعتادته منه في الفترة الأخيرة، حتى أنه تركهم ينظفون الزنزانة وأصبح يعطيهم فرصة لرؤية أشعة الشمس والشعور بدفئها يومًا بعد يوم وهذا في السابق كان من المحرمات.

وحل الظلام في ثاني يوم من طلب مؤمنة واستعد محارب متخفيًا للذهاب إلى منزل أليفة حيث أهلها وصدمهم بدخوله إلى المنزل بأدبٍ جم لم يعهدوه عليه من قبل.

- محارب!! "**قال طه الذي فتح له باب المنزل**".
- نعم لدي رسالة هامة من مؤمنة إليكم، "**قال محارب صادمًا الجميع بذكره لاسم مؤمنة**".
- ماذا عن مؤمنة؟

قالت دانة بلهفةٍ فنظر لها طه ألا تتحدث؛ ففعلت وشعر محارب بأن دانة أحرجت فتحدث هو ليغير الموقف وأعلن لهم أن مؤمنة بخير وأفضل بكثير من أيامها الأولى في السجن وقبل أن يسألوه رؤية لها أو عن عنوان سجنها قال لهم أن أمر رؤيتها به من الخطر عليها أكثر من الأمان لها؛ فصمتوا دهشة لرسالة محارب المطمئنة لهم فمنذ متى ومحارب يأتي برسائل من شأنها الابتهاج، وصمت طه قليلًا ثم باغت محارب بسؤاله:

- أعرفت وتأكدت أنك مسلم؟
- أأنتم من ترسلون لي كوني مسلما؟ "**سأل محارب**".

لم يستطع طه كذبًا أمام سؤال محارب ونطق صدقًا بكل الأحداث التي أخبرتهم بها يلدس فطلب محارب من طه أن يأتي بيلدس إلى منزلهم لفهم الموقف تحديدًا، وأمن طه محارب على زوجته وابنة عمه ولا يدرك إلى الآن كيف فعل ذلك، وذهب إلى منزل يلدس واصطحبها مع زوجها إلى منزله وأعلنت يلدس لمحارب أنها تمتلك حروف اسمها على كتفها وأنه هو الآخر يملك حروف اسمه الأصلي على كتفه وهذا دليل قاطع على كونه مسلمًا، ونظر محارب إلى الحروف التى في كتفه فلم يستطع رؤية واضحة حتى أتوا له بمرآة لينظر فيها فوجد ثلاثة أحرف وهما (ح / ع / ش) تلك الحروف التي نطق بها أمام الجميع فاقتربت دانة من محارب لترى الحروف ولمست كتفه حتى أنها أثارت

ضيق طه لاقترابها بذلك الشكل من أجنبي، طه الذي سحبها من يدها وأبعدها عن محارب، وخرج محارب من المنزل بعد أن اتفق مع يلدس أن تساعده ليدخل غرفة نوم الجنرال لفتح خزانته الخاصة لعله يجد ضالته فيها أو يتأكد من شخصيته لأنه يدرك جيدًا أنه إذا ذهب ليأخذ الحقيقة من فم الجنرال لنهره وما باح له بالصدق.

وبعد ذلك الحدث بيومين استطاعت يلدس إدخال محارب إلى غرفة نوم الجنرال واستطاع هو بخبرته فتح خزينة الجنرال الخاصة وصدم بما وجده، لقد وجد ملفات كثيرة كل ملف مكتوب عليه اسم من أسماء أعوان الجنرال، وسحب الملف المكتوب عليه محارب وفتحه ودهش مما وجد فيه ومما كتب فيه والذي وجده كالتالي:

اسم الشهرة: محارب.

الاسم الأصلي: حمزة عابد شهيد.

الديانة: مسلم الأصل.

معلومات أخرى: اختطف منذ صغره أثناء قتل والده وعمه في الحادثة المشهورة.

ثم كُتب من بعد ذلك الحادثة تفصيلًا فصُعق محارب من حقيقة نفسه، أأستخدم في قتل ذويه لصالح من قتلوا أهله من قبل؟، كاد أن ينهار لولا أن تذكر لقب عائلة مؤمنة إنه يشابه لقبه "**شهيد**"، أمؤمنة ابنة عمه؟، ولم يستطع محارب أن يفكر لأكثر من ذلك لكون يلدس استعجلته في الخروج من الغرفة لكون الجنرال يقترب من الوصول، وخرج محارب من القصر أقصد حمزة لا يستطيع حديثًا غير مصدقٍ ما توصل إليه من حقيقة نفسه لولا أن نظر إلى المستندات التي صورها بهاتفه لاعتقد أنه في كابوسٍ لا أكثر من ذلك، وفكر أن يذهب للجنرال

ويقتله لولا خوفه على مؤمنة، فتراجع عن الأمر وتوجه إلى منزل جدته أليفة متذكرًا كل ما فعله بها، نادمًا عليه، باكيًا على عدم إنسانيته السابقة، وأول ما دخل احتضنته دانة قبل أن تقرأ المستندات لشعورها القوي أن ذلك المحارب هو نفسه حمزة أخيها، ولم يكذب قلبها عليها تلك المرة وأكدت الأوراق التي أطلع عليها طه ويمنى ذلك؛ فتذكر طه كلمات جدته الراحلة من كونها كانت تشعر في اليوم الذي رحلت فيه بحمزة ولم تكن تعلم أن حمزة هو محارب الذي كان معها لساعاتٍ طويلة، وبكى طه كما دانة ويمنى وفعل حمزة مثلهم واحتضنه طه بعدما أفلت دانة منه بأعجوبة وقال له:

- "**فخر لك أن تكون مسلمًا**"، في البداية كان طه مرتبكًا في قبول حمزة، لكنه تذكر وصية جدته ألا يهان حمزة حين يجدوه وها هو فعل بالوصية.
- أسيقبل ربكم مني قربًا بعد كل ما اقترفته من ذنب؟ "**سأل حمزة**".
- تقصد ربنا الرحيم الغفور الذي يقبل التائب أينما كان.

ثم أدخل طه حمزة ليتوضأ بمثل ما علمه وقال له فلتقل:

- "**أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله**"، وفعل حمزة شاعرًا أن الحياة لأول مرة أصبح لها هدفًا ساميًا عظيمًا على عكس كل الأيام المنقضية.

لم يكن حمزة ليشهر إسلامه لولا شعوره بحلاوة الإنسانية التي أقرت بها مؤمنة في كل تصرفاتها، والتي تيقن أنها نابعة من دينها العظيم، كان لديه انجذاب قوي في الآونة الأخيرة أن يتعرف على دين مؤمنة وتحدث إلى الراهب في هذا الأمر كثيرًا قبل رحيله، وقرأ طويلًا

في المصحف الذي كان قد أخذه من مؤمنة، لذلك لم يتأخر ثانية حين سنحت له الفرصة في إعلان إسلامه فلقد كان له قابلية لذلك حتى قبل أن يعلم أنه مسلم الأصل.

وتلك الليلة جلس إلى جوار أخته دانة طويلًا التي عبرت له عن كم احتياجها له رغم كل ما كان بينهما، وطيَّب حمزة خاطرها إلى أن غرقت في النوم.

وتذكر مؤمنة وحالها في السجن فهب من مكانه وتوجه إلى الخارج بعد أن أفهم طه أن عليه الذهاب لمؤمنة وما كان من طه إلا الموافقة.



"ذات الدين"

ركب حمزة سيارته متوجهًا إلى السجن الذي فيه ابنة عمه وحبيبته وذات الدين والإيمان القوي، لمؤمنة التي فعلت به لخلقها ولإنسانيتها ولدينها ولجمال إيمانها ما لم يكن لأجمل نساء الأرض أن تفعله به، وظل يُقسم على نفسه أن يدافع عنها بكل ما يمتلك من قوة وعقل ليعوض كل ذلك الأذى الذي تعرضت له بسببه لمجرد أنها كانت صاحبة دين عظيم كالتي هي عليه، ودخل السجن واتجه إلى الزنزانة فوجد مؤمنة ورفقاتها نائمات فرجع إلى مكتبه وأمسك بورقة وقلمًا، الورقة والقلم الذي يعتبرهما صديقان له بعد رحيل الراهب وكتب التالي:

"إلى ذات الدين، إلى ابنة عمي مؤمنة، لتغفري لي جهلي بجميل دينك وتعاليمه، ولتعلمي أن سلوككِ العظيم ما كان إلا وجهًا للدين العظيم الذي أصبحت الآن عليه، الله يغفر يا مؤمنة كما قال لي طه، فلتغفري لي أنتِ أيضًا كل ذنوبي تجاهكِ".

تلك هي الكلمات التي على إثرها بكى حمزة قدره المؤسف الذي جعله في نظر مؤمنة ألد أعدائها.

في نفس ذات الليلة باتت مؤمنة تؤنب ضميرها على تفكيرها فيمن هو على غير دينها، فلم تكن تعلم أن الله عز وجل غير الأقدار بين ليلة وضحاها.

في صباح اليوم التالي استدعى حمزة مؤمنة من زنزانتها وأمرها ألا تخرج من الزنزانة تحت أي ظرفٍ نظرا لكونه سيذهب لقضاء أمر هام ولا يرغب أن يحدث لها مثلما حدث سابقًا.

باغتها بكلماتٍ لم تجد لها تفسيرًا ورجعت إلى زنزانتها لا تستطيع فهما، وكان الأمر الذي يريد حمزة قضاءه هو البحث عن الخطاب الذي يثبت حق مؤمنة وبرائتها، وذهب لمنزله وفتش طويلًا حتى وجده، ومن بعدها سجل فيديو بكل ما حدث واقترفه هو والجنرال ورئيس الجامعة وكريستينا وحتى آدم وأميرة تجاه مؤمنة، وسرد المؤامرة كاملة بالمستندات بالفيديو وذهب من بعدها إلى منزل أليفة وسلم الفيديو وكل المستندات التي تُثبت براءة مؤمنة أمام العالم لطه آمرًا إياه أن يُخبر مارك بكل ماحدث، وسمع طه أمر حمزة لأول مرة وأخبر مارك بكل ما حدث والذي قرر السفر لوطن مؤمنة فورا لبدء الإجراءات، من كان يصدق أن براءة مؤمنة يمكنها أن تكون على يد ألد أعدائها!

"ألقيت عليك محبة مني"

أتتذكرون ذلك الحارس (جبران) الذي اعتدى على مؤمنة يومًا وأنقذها من بين يده حمزة؟، ذلك الحارس كان فطنًا فلقد لاحظ الطعام النظيف الذي يدخل للزنازين، والماء النقي والتهوية الكاملة للسجن بأمر من محارب والمعاملة الحسنة الغير معتادة فشك في الأمر، وظل يتجسس على محارب حتى صوره وهو يعامل مؤمنة بإنسانيةٍ لم يعتَدَها عليه من قبل كما ترقبه حتى تيقن من أنه يدخل بيت مؤمنة خلسة ليلًا وكثيرًا فذهب للجنرال ووشى بمحارب عنده، الجنرال الذي لا يهمه محارب لأنه يدرك أصله جيدًا كونه مسلمًا، لا يهمه دمه إن شعر بخيانته للحظة، ولم يطمئن الجنرال للأمر واستدعى محارب وأمر حارس آخر وأمام محارب أن يقتل مؤمنة بعد أربع وعشرين ساعة، وذلك عن طريق أي شخص يقبل المال ويعمل في سجن الأفعى، وبُهت وجه محارب وحاول أن يظهر عكس ما يبطن وتحدث الجنرال إلى محارب يومًا في أشياء ثانوية لا تليق باستدعائه، وغادر حمزة الجنرال بعد ما يقرب من ستين دقيقة كانوا أطول دقائق عاشهم حمزة، وتذكر أمنية مؤمنة في أن ترى أهلها واحتار بين أن يهرب بها دون رؤيتهم وخاصة وهو يدرك تمام الإدراك أن أمر الهروب به نسبة كبيرة من الخطورة، فهو لم يرتب للأمر الذي يحتاج إلى وقت كما أيام الراهب ومادلين وخاصة أن الوقت لا يستوعب تخطيطًا محكمًا للهرب خارج البلاد، وجاذف في

أن يفعل بكل من في السجن مثل فعلته السابقة بوضع جرعات المنوم في الطعام وأن يأمر مؤمنة ألا تأكل لترى أهلها وقضى الأمر وفعل حمزة بما انتوى عليه والتقت مؤمنة بطه ويمنى ودانة وباغتوها بحقيقة محارب كونه حمزة، ولم يكن هناك وقتًا لأكثر من هذا للحديث فأخذ حمزة مؤمنة التي تركت أمرها له وفر بها خارج السجن كما غادر طه ويمنى ودانة السجن متجهين إلى منزلهم فدهشهم مارك بوصوله من فرنسا آملا أن يكون ثمة خيرًا لمؤمنة على يده.

سار حمزة مع مؤمنة غير مدركين أين لهم من قبلة وصمت الاثنين في حضرة الخطر الذي يحيط بهما وتذكر حمزة كلمات الراهب حين قال له:

- "**لا تفلت ما يبهجك**"، والابتهاج الآن بالنسبةِ لحمزة هو أن يعترف بحقيقة حبه لمؤمنة لكنه لا يعرف من أين له أن يبدأ ليشهر حبه الأول والكبير لمؤمنة درجة أنه فكر في أن يكون على دينها من قبل أن يعرف أصل هويته وباغتها بقوله: "**ألقيت عليكِ محبة مني، فلتغفري لي ولتقبلي حبي**".

فصمتت مؤمنة لا تستطيع ردًا فبماذا تجيب على ابن عمها وقاتل الأطفال وألد أعدائها والذي كان على غير دينها ومن تعتبره قاتل جدتها وسجانها، ورغم حيرة قلب مؤمنة إلا أنها فضّلت الصمت أمام ذلك الإشهار وذلك الاعتراف بالحب، الحب الذي ظلت طوال عمرها تبحث عنه وعندما التقت به وجدته على تلك الدرجة من الحيرة، كان بودها أن تقول له وأنا ألقي عليك بمثل ما ألقيت لي به لكنها لم تستطع نطقًا وفضّلت أن تكتم حبها في قلبها وأن لا تبوح بدقات قلبها المتسارعة عنه.

"إشهار براءة"

لم يتأخر مارك في أخذ المستندات من طه ورفع قضية لإثبات براءة مؤمنة لظهور أدلة جديدة، وقبل ذلك استطاع مارك وكريم بث المستندات والفيديو الذي قد سجله حمزة على الفضائيات، ومن ثم هيج الرأي العام من جديد وأثبت للعالم كله براءة مؤمنة، وندم الناس على ما ظنوه بمؤمنة، وما رموها بها ظلمًا وخرج الناس للميادين يهتفن "**لتظهروا مؤمنة**"، "**مؤمنة لم تكن مذنبة**"، "**لتكن لديكم الشجاعة في مواجهة الأمر**"، لكن من سمع للجميع؟ لا أحد.

ولما رأى الجنرال ورئيس الجامعة أن القضية فتحت من جديد فاستشاطوا غيظًا وأمروا الحراس أن يجدوا محارب ومؤمنة بأيةِ وسيلة وعلى من يجدهم قتلهم مقابل مبلغ مالي ضخم وكان الحارس (جبران) الذي أظهر حقيقة حمزة للجنرال أكثرهم حماسًا ليس طمعًا في مال وإنما طمعًا في سلطة، والاقتراب من المجد السياسي، وظل يبحث عن حمزة ومؤمنة إلى أن وجدهم في الصحراء قرب السجن في مكانٍ لم يتوقعه أحد غيره.

وقال في وجه حمزة:

- "**لقد انتهى مجدك ومن العدل أن يبدأ مجدي بعد كل تلك السنوات، وهذا لن يحدث إلا بموتكما**"، وإثر تلك الكلمات أخفى حمزة مؤمنة خلفه وما إن فعل حتى وجد رصاص الحارس ينفذ في قلبه؛ ففزعت مؤمنة فقال لها حمزة وهو في حضرة الموت: "**من العدل أن أموت كذلك على يد حارس ضعيف النفس مثلما كنت أنا سابقا**"، فقالت له: "**عليك أن تكون صلبًا لنكن معًا، إنني لم أحب رجلًا في حياتي بمثل ما حدث لي معك، إنني ألقي عليك بمثل ما ألقيت عليّ به**".

وكان إشهار حبها له بمثابة عمرهِ كله وكان الموت شهيًا له لأنه هو الشيء الوحيد الذي جعل مؤمنة تعلن حبها له بشجاعةٍ ويرى خوفها عليه، ورحل حمزة ولم يكتفِ الحارس بذلك وأطلق رصاصه بدماغ مؤمنة وهو يقول:

- "**الآن بدأ مجدي**"، **فقالت وهي تحتضر**: "**للوطن الله وإنني راضية تماما الآن عن كل ما مررت به بحياتي واثقة أن العدل يومًا سيكون، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله**".

وفاضت روح مؤمنة إلى الله وتلك هي كابوسية الحياة التي نعيشها، وبدأ ضرب جديد من الوجع للأقليات المسلمة على يد الحارس الذي تربى في مدارس الكره، والذين درسوا له كيف يكون قاتلًا لمن لا ذنب

لهم، الحارس الذي أصبح مقربًا من الجنرال بمثل محارب القديم، ورُفضت القضية التي رفعها مارك بحجة وفاة مؤمنة المقيد قضية قتلها وحمزة ضد مجهول، كل ذلك لأن سلطة المال فرضت نفسها على سلطة العدل، لكن إن لم تحكم المحكمة البشرية عدلًا فلسوف تحكم المحكمة الإلهية عدلًا يوم العرض عليها.



فلتبتسمي يا ذات الدين حتى وإن كنتِ تحت التراب وليعوضكِ الله في جنة الخلد بخيرٍ لم تكوني تتخيلي أنه سيكون يومًا ولتعلمي أن عوض الله خير وأبقى.



في أواخر كتابتي لفصول تلك الرواية كنت قد أعلنت حدادي وحزني على الحق والعدل المصابان بسرطان الموت، ولقد شعر بي يومًا أحد الذين يربطنى بهم صلة الإنسانية، الصلة التي هى في رأيي تعادل صلة الدم، فشكرًا لكل من شعر بحدادي على أبطال روايتي.

لأبي وأمي وإسراء العزيزة كونوا بالقرب دومًا فلا حياة دونكم.

الكاتبة

للتواصل مع الكاتبة

عبر الفيس بوك.



https://www.facebook.com/fatma.alsheshen

أعمال أخرى للكاتبة.

- رواية أوجاعهن.
- رواية اللهم حبًا صادقًا.
- رواية نلتقي في الجنة.


تَشكيل للنَشر والتَوزيع